جامعة وهران 2
كلية العلوم الاجتماعية
قسم علم الاجتماع
مذكرة لنيل
شهادة الماجستير
في **علم اجتماع العـــائلة**

الزوجان والعلاقـــات الأسرية

من إعداد الطالبة
قرطي فائزة

تحت إشراف الأستاذ
فسيان حسين

تشكيلة لجنة المناقشة :

اسم و لقب الاستاذ	الرتبة	الصفة	مؤسسة الانتماء
بوشيخاوي اسمهان	أستاذة	رئيسة	جامعة وهران2
فسيان حسين	أستاذ محاضر أ	مقرر	جامعة وهران2
غربي عبد الإله راضية	أستاذة محاضر أ	مناقشة	جامعة وهران2
شارب دليلة	أستاذة محاضر أ	مناقشة	جامعة وهران2

الموسم الـــجامعي
2016/2015

تشكرات

أقدم تشكراتي الخالصة إلى كل من ساعدني في القيام بهذا العمل المتواضع:

إلى كلّ أساتذتي الأفاضل وعلى رأسهم الأستاذ فسيان حسين لإشرافه بكل تواضع على المذكرة في تقديم النصائح وما وُهب من علم بدون تقتير.

وإلى كافّة عمال كلية العلوم الاجتماعية، وأخصّ بالذكر عمال المكتبة على تقديم يد العون.

وبدون أن أنسى أن أقدّم شكري إلى جماعة المبحوثين على قبولهم بمنحي قسطا من وقتهم وسرد حياتهم حيث من خلالها استطعت الوصول إلى أدق المعلومات بصفة ملموسة من الواقع.

إهـــداء

أهدي هذه المذكّرة إلى كل أعضاء عائلتي:

إلى أعزّ ما لديّ في هذا الوجود والأقرب إلى قلبي، أبي العزيز وأمّي الغالية التي ساعدتني بدعواتها ورضاها للوصول إلى هذا العمل المتواضع. أطلب من الله تعالى أن يطيل في عمرهما.

وإلى أقرب الناس إليّ بعد والديّ، زوجي الذي ساندني ودعّمني طوال سنوات الدراسة لبلوغ هذه الدّرجة، أشكره على إخلاصه ووفائه للرابط الزوجي فأطلب من الله عزّ وجلّ أن يصون علاقتنا الزواجية.

كما أقدّم تشكراتي الخالصة إلى أسرة الزوج عامّة وأخصّ بالذكر والديّ زوجي على مؤازرتهم لي في إتمام هذا العمل.

وإلى قرّة عيني وجوهرة حياتي، ابني الحّبوب وابنتي الحّنونة، يحفظهما الله من شرّ هذه الدنيا وبلائها.

مقدمة

مقدمــة

الفرد يولد في مجتمع موجود قبل وجوده يحمل قوانين ومعايير ومعتقدات داخل النظام الثقافي السائد في المؤسسة الاجتماعية الأسرية التي ينتمي إليها، ونشأ ضمنها واكتسب من خلالها حدود السلوك حيث يتم الضبط الاجتماعي.

يقول "دوركايم": منذ أن تصبح الحياة وسط المجتمع ضرورية، يتوجب علينا الالتزام بعدد من القواعد. إذ إنّ للنظام الاجتماعي مقتضياه الخاصة. ويقتضي القيام بهذه الواجبات أن يكون "الوعي الجماعي" قادرا على إنتاج رسالة "تطبيع" ونشرها. يحدد التلقي الجيد لهذه الرسالة تصرفاتنا. فنحن نمتثل لضرورات وتعليمات (...) ويتجذّر هذا القبول شبه ضمني في التقليد وهو يؤدي دور "المنظّم"[1]

ويعتبر الزواج من أهم المواضيع التي تهتم بها الأسرة -في علاقتها مع الفرد- تقوم بعملية التنظيم الاجتماعي لمراحل الزواج بدءا من الاختيار لقرناء الأزواج مرورا بمرحلة الفصل في القرار النهائي ضمن علاقات التعاقد الأسري، وهذه الفترة تعتبر حاسمة لما لها من رمزية اجتماعية قويّة في بناء العلاقة الزوجية، فالعائلة تعدّ بناء اجتماعي يحمل أهم وظيفة اجتماعية تتمثل في تنظيم الروابط الزواجية وفقا لمعايير مقولبة في نظام سوسيوثقافي لإنشاء أسرة زوجية تحت نظام تقليدي، أين الضمير"نحن" يلعب دورا كبيرا في بناء الروابط الأسرية إلى غاية الفترة ما بعد الزواج.

إنّ العلاقات الزواجية في المجتمع الجزائري مبلورة منذ سنين في ظل العلاقات العائلية حيث يتم اختيار الزوجة بإشراف الوالدين. وبموجب التحولات الاجتماعية التي عمّت المجتمع مع انتشار التعليم والعمل لكلا الجنسين، بدأ الاختيار الفردي للشريك يتبدى تدريجيا مع توسّع شبكة العلاقات الاجتماعية. كما أنّ الزوجة في علاقتها مع أسرة الزوج لم تعُد المرأة التقليدية المحصورة أعمالها ضمن المجال الخاص فقد تعدّدت أدوارها وأوضاعها بعدما اقتحمت المجال العام.

[1]. معجم مصطلحات علم الاجتماع، تأليف جيل فيريول، ترجمة وتقديم: أنسام محمد الأسعد، مراجعة وإشراف: بسام بركة، دار ومكتبة الهلال: بيروت ، الطبعة الأولى 2011. ص.158.

وعلى إثر هذه التغيرات تولّد لنا فضول لمعرفة إلى أي مدى مسّ التغيير المفاهيم المتعلّقة بموضوع الاختيار لقرناء الأزواج؛ كما أردنا بلوغ أهم ما يميّز التفكير الأسري التقليدي، حيث نرصد بنية العلاقات الأسرية بعد الزواج.

فموضوعنا إذن يهتم بفترتين متعاقبتين، إذ يمكن القول أنّه يحمل شقّين؛ الشق الأول خاص بالفترة ما قبل الزواج، يهدف إلى معرفة كيف يتم بناء العلاقة الزواجية في مجتمع عمّت فيه التشوبات بين الجنسين وبين مختلف الفئات الجزائرية الاثنية. أما الشق الثاني يهدف إلى إعطاء نظرة حول واقع الزواج لمعرفة مضمون العلاقة الزواجية ومعنى الرابط الزوجي في علاقته مع العائلة.

وتطرّقنا في دراستنا هذه إلى الإطار المنهجي يتضمن المراجع الأساسية التي ارتكزنا عليها، المنهجية المتبّعة مع تحديد مجتمع البحث.

وخصّصنا الفصل الأول كإطار نظري ومفهوماتي لدراسة الأسرة، بأنواعها ومقوّماتها ومميزاتها الأساسية ، إلى جانب النظريات المتعلقة بها والتي تخدم موضوع الدراسة.

أما الفصل الثاني فيحتوي على دراسة أهمّ التغيرات الاجتماعية العامّة وأثرها على المجال الخاص في موضوع العلاقات الزواجية بدءا من اختيار الشريك إلى غاية تأسيس أسرة زوجية والدخول إلى واقع الحياة الزوجية

أمّا الفصل الثالث فيحتوي على دراسة العلاقات الأسرية في موضوع الزواج، وإبراز أهمّ النتائج التي غيّرت من نمط الروابط العائلية على إثر القرارات التي يتخذها الفرد في علاقاته الزواجية.

وفيما يخصّ الفصل الرابع يعتبر فصل خاص بتحليل المقابلات بالتفصيل.

1. الإشكالية:

دراستنا تركزّ على موضوع الزواج في بعده العلائقي، وهو من أهمّ النظم الاجتماعية التي تهتم بها العائلة، ويعتبر واقع اجتماعي يرغب كل فرد في إقامة علاقة زواجية وتكوين أسرة؛ تنشأ هذه العلاقة إلاّ بعد مراحل يقرّها العرف الاجتماعي العائلي.

بناء العلاقة الزواجية تحمل بطياتها مضمون الاختيار لقرناء الأزواج والفصل في أخذ قرار الاستعداد للزواج، حيث يتم الإشراف تقليديا من طرف الوالدين وبناء أسرة زوجية تدخل في علاقات تفاعل مع أسرة النسب.

مع التغيرات الاجتماعية، أين ظهر الفرد كفاعل اجتماعي يطمح في بناء علاقة زوجية مع من وقع عليه -أو عليها- الخيار، نشأت علاقة ثنائية في مجال تعارف واسع النطاق؛ ومن المعروف أن الأسرة متمسّكة بأواصرها ودائما تودّ الحفاظ على ثقافتها، كيف ستتقبّل هذه العلاقات لبناء أسرة، وما أثرها بعد الزواج.

ومنه حدّدنا الإشكالية –كسؤال مركزي-:

كيف ينشأ الرابط الزوجي في ظل التغيرات الاجتماعية، وما واقع العلاقة الزواجية؟

ومنه نحاول الإجابة على ما يلي:

إلى أي مدى وصلت حرية الفرد في اختيار الشريك واتخاذ قرار الزواج؟ كما نحاول معرفة واقع علاقة الزوجين بالأسرة الممتدة بعد الزواج.

2. الفرضية :

العلاقة الزوجية كما تُبنى يمكن أن يُعاد بناؤها:

- بنـــاء الرابط الزواجي مقيّد بقرار أسري.
- يعاد بناء الرابط الزوجي بعد فترة من الزواج من طرف الزوجين.

الإطار المنهجي

الإطار المنهجي للدراسة

1. الدراسات السابقة المعتمد عليها:

ركزنا على بعض الدراسات السابقة، لها علاقة وثيقة بموضوعنا. استلهمنا من خلالها مضمون العلاقات الزواجية في زمن بدأت تظهر فيه مؤشرات التغيّر والتطوّر أثّرت على العائلة التقليدية.

هذه العائلة التي يُضفي الأستاذ بوتفنوشت في مرجعه "الأسرة الجزائرية"[1]عن واقعها موضحا كيف أن الآسرة الجزائرية كانت أسرة تقليدية تحمل العقل الجمعي وفق معايير صارمة تعمل على الضبط الاجتماعي، ومبنية على التدرج السلمي بين الأجيال وبين الجنسين. مبرزا التحوّلات التي طرأت على مضمون العلاقات الأسرية في النظام الأبوي.

من أهمّ التغيرات، ظهور الأسرة النووية بعدما تغيّرت مرفولوجية العائلة التقليدية؛ يوضّح بوتفنشت مراحل بروزها في مقال له يحمل عنوان "الأسرة الجزائرية: أي نمط؟"[2] باعتبارها ظاهرة اجتماعية حديثة التكوين؛ معيدا التساؤل في مضمونها أين العادات، التقاليد والرموز المقدسة الحاملة لمشاعر الأخلاق والتضامن طاغية في ذاتية الفرد.

ومنه، الأستاذ قعوسي[3] ضمن نفس الموضوع يشير إلى مرفولوجية الأسرة الممتدة التي تغيرت، وموضّحا رمزية العلاقات بين الأبناء والآباء في المجتمع الجزائري حيث لا تزال الأسر متمسّكة بمعتقداتها الثقافية من حيث المضمون.

أمّا فيما يخصّ واقع العلاقات الزواجية. عدي الهواري[4] يشير إلى أن العائلة رغم التحولات العامّة لا تزال أسرة محافظة متمسّكة بتقاليدها ومعتقداتها، مبرزا دور "الأم" ومكانتها الاجتماعية في علاقات التفاعل مع أعضاء العائلة خاصّة في المواضيع المتعلّقة بالزواج.

---

[1] . BOUTFNOUCHENT Mustapha, (1980), La famille algérienne : évaluation, diffusion, Alger.

[2] . BOUTEFNOUCHENT Mustapha, la famille Algérienne : Quelle modèle ?, revue: changement familiaux, changement sociaux,2006, N°2 Alger.

[3] . KOUAOUCI Ali,(1992), Famille–Femme et contraception : contribution à une sociologie de la famille Algérienne, CENEAP, FNUAP, Alger.

[4] . ADDI Lahouari, (1994), Les mutation de la société Algérienne: famille et lien sociale dans l'algérie contemporaine, opu, alger.

ويواصل الأستاذ فسيان ضمن رسالته الحاملة لعنوان "هوية الذكورة والأنوثة في ظل التغيرات الاجتماعية"[5] في نفس المضمون معنى الأسرة الجزائرية التقليدية وشبكة العلاقات القائمة في نظام الزواج، موضحا علاقة الزوجة بأسرة الزوج.

وفي نفس السياق، دراسة LEMARCHANT [6] أفادتنا كثيرا لفهم العلاقة المعقّدة بين الأدوار والأوضاع ضمن الروابط الزواجية، مُبرزا قوّة مكانة الأم –الحماة- في علاقتها بالزوجين.

كما ركّزنا على دراسة LACOSTE-DUJARDIN [7] تعرّفنا على النمط التربوي التقليدي لكل من الفتى والفتاة ضمن الأسرة الأبوية وأثرها على العلاقات الزواجية قبل الزواج وبعده. وضّح بذلك واقع العلاقات الزواجية بدأءا من الاختيار للشريك إلى غاية فترة ما بعد الزواج حيث يسلّط الضوء على علاقة الأم بابنها ومضمون علاقتها بالكنّة.

بالنسبة لاختيار القرين، .CAMILLERI C [8] أعطى الخطوط العريضة للتطوّرات التي اقتحمت المجال العام أين تبلورت الفوارق الطبقية والعرقية والثقافية بموجب الحراك الاجتماعي المهني والجغرافي، غيّرت بذلك من طريقة تفكير الأسرة في اختيار الشريك وعلاقات التفاعل بعد الزواج بين الزوجين والوالدين.

والأستاذ قعوسي -ضمن نفس المرجع المعتمد عليه- يوضّح مستعينا ببعض الإحصائيات المنتقاة من المراكز العلمية الجزائرية، حيث يستنبط كيف أن زواج الأقارب المفروض في واقع الأسرة الجزائرية انخفض منذ بداية السبعينيات مع ديناميكية التغير الاجتماعي، حيث تبدّلت الاتجاهات والرغبات في علاقات الزواج.

[5] . FSIAN Hocine, Thèse Doctorat d'état, psychologie clinique, identité féminine – identité masculine à propos des relations Homme/Femme en Algérie, université d'Oran, Année universitaire 2005-2006.

[6] . LEMARCHANT Clotilde, (1999), préface: François De SINGLY, Belles filles : avec les beaux parents trouver la bonne distance, le sens social, presse universitaire de Rennes.

[7] . LACOSTE-DUJARDIN Camille, (1985-1996).- Des mères contre les femmes : Maternité et patriarcat au Maghreb, la découverte, paris.

[8] . CAMILLERI Carmel, (1973), jeunesse, famille et développement, essai sur le changement socio culturel dans un pays de tiers monde (tunisie), centre de recherche scientifique, France.

2. المنهجيّة المتّبعة:

في دراستنا للموضوع اعتمدنا على المنهج البنائي الوظيفي حيث ركّزنا على النسق الأسري من الناحية البنائية أين كل فرد سيحتل أوضاع وأدوار يقوم من خلالها بوظائف للحفاظ على الكلية البنائية في علاقة التفاعل بين أجزائها؛ هذه الأجزاء تكوّن الكل المشترك في إطار التفاعل حيث يعدّ المنهج التفاعلي الرمزي كذلك من أهم ما يهمنا في دراسة علاقات الاتصال وطريقة اتخاذ القرارات العائلية، وأثر الفرد في علاقته بالأسرة. كما اعتمدنا على المنهج التطوري ساعدنا في فهم التحولات التي طرأت على الأسرة بين الماضي والحاضر وعلاقتها بالتغيرات التي مسّت الأنساق الاجتماعية الأخرى.

أما من الناحية العملية فقد استعملنا في بحثنا أساليب وأدوات مرتبطة بالمنهج الكيفي ساعدتنا لالتقاط المعلومات والإلمام بالموضوع والتمعّن أكثر في الظاهرة لإدراكها وفهمها وتحليلها.

فيما يخص المرحلة الاستطلاعية اعتمدنا على تقنية الملاحظة المباشرة، والتي أفادتنا كثيرا في فهم واقع العلاقات الزواجية، أين دخلت في حوار مستعملة أسئلة فضولية واستفسارية توضّح لنا واقع المبحوث في اختيار الشريك واتخاذ القرارات الزواجية قبل وبعد الزواج، تبيّنت لنا بذلك الخلفية الثقافية للوالدين في علاقتهم بالأبناء كما استوفينا الغرض في البحث عن علاقــة الشباب -في إطار الموضوع المدروس- مع الأسرة، إذ اكتشفنا أنّه موضوع متداول قابل للنقاش ضمن علاقات التفاعل بين أفراد المجتمع الجزائري -حيث تعرّفنا على مجتمع البحث- فكان حوار لا يتجاوز النصف ساعة أو ساعة على الأكثر.

أمّا المرحلة التحقيقية اخترنا أسلوب المقابلة الحرّة تحت سؤال واحد وممحور يخدم موضوع البحث، موجَّه بأسئلة إستئنافية (كيف، لماذا، ما رأيك في، لو تحكي بالتفصيل عن...) ومجزّءا إلى ثلاث مراحل تتضمّن: تنشئة الفرد عبر المراحل الاجتماعية لحياته من الطفولة إلى الشباب، بهدف التعرّف على الاديولوجية الأسرية التي نشأ فيها والمفاهيم التي اكتسبها عن الزواج والجنس المغاير. مرورا بفترة ما قبل الزّواج حيث نتساءل عن كيفية الاختيار للقرين والتعرّف به وطريقة اتخاذ القرار في علاقته مع الأسرة، بهدف معرفة مدى حريّة سلطة الفرد في هذا الموضوع وإلى أيّ مدى وصلت الضوابط الاجتماعية

الأسرية في اختيار الشريك، وننهي الحوار بما اكتشفه الفرد بعد الدّخول في أسرة حديثة النشأة وهذا لمعرفة واقع العلاقة بين الزوجين والأسرة الممتدة. كما تركنا نوع من الحريّة النسبية في الحوار، أين يبدي المبحوث عن رأيه الخاص وتجاربه في الحياة الخاصّة والعامّة قد تخدم الموضوع. فهي عبارة عن سرد حياة في ضوء العلاقات الزواجية -فكانت تدوم زمنيا من ساعتين إلى ساعتين ونصف تقريبا-.

فقمنا بمقابلة مع إثني عشرة حالة. اخترت أفضل ما يميّز دراستنا والتي تلمّ جميع جوانب مضمون العلاقات الزواجية، وهي سَبع مقابلات قمنا بتحليلها بالتدقيق في الفصل الميداني.

–ونشير أنّنا لم نتخلّى عن التقنيات المستعملة في الدراسة الاستطلاعية بعد الدخول إلى المرحلة التحقيقية-

3. مجتمع البحث

فيما يخصّ مجتمع البحث، كان عشوائي قصدي؛ عشوائي من مختلف الفئات الاجتماعية الجزائرية العرقية والثقافية، وقصدي إذ حرصنا أن نجمع المعلومات من المتزوّجين للإلمام بمراحل السؤال.

كما اعتمدنا على متغيّر السن بهدف التمييز بين الأسلوب القديم والحديث، كما يذكر المفكر الاجتماعي العربي ابن خلدون في كتابه "المقدمة" أننا لا نستطيع فهم حاضر المجتمع دون دراسة ماضيه البعيد والقريب،[9] فمن الوالدين تعرّفنا على التقاليد القديمة وكيفية إدارة موضوع الاختيار لقرناء الأزواج والعلاقات الزوجية، ومنه فهمنا العلاقات الزواجية في حوارنا مع الأبناء حيث اكتشفنا التغيّرات التي مسّت العلاقات الأسرية والقيم التي مازالت تحتفظ بها الأسرة الجزائرية في المواضيع المتعلّقة بالزواج.

ولكن قبل النزول إلى الميدان كان لابدّ أن نعرّج على دراسة نظرية تتطلّب منا تحديد بعض المفاهيم والنظريات الخاصة بالأسرة تخدم موضوع الدراسة.

[9]. (Benham, F Economics, Fifth edition, London, 1987,P.128)؛ نقلا عن: احسان محمد الحسن،علم اجتماع العائلة، دار وائل للطباعة والنشر، ط1، 2005. ص.149.

الفصل الأول

الإطار النظري والمفهوماتي

1. تعريف الأســـرة

يعرف "E.W.Burgess" و"H.J.Locke" الأســـرة في كتـــابهمـــا "The Family" بأنها: "مجموعة من الأشخاص يرتبطون بروابط الزواج أو الدم أو التبني، ويعيشون في منزل واحد، ويتفاعلون وفقا لأدوار اجتماعية محددة، يحافظون على نمط ثقافي عام" ويعدّ هذا التعريف من أشهر التعاريف للأسرة[1].

أما "بيلز" و"هيوجر" يصفان الأسرة "جماعة اجتماعية تربط بين أعضائها روابط القرابة"؛ و"R.H. Lowie" يكتب عن الأسرة قائلا:"هي الوحدة الاجتماعية القائمة عن الزواج...".

أما "فورتس" فتوصل إلى صياغة تعريف يمكن أن يلقى قبولا عند الكثير من الانثروبولجيين حيث اعتبر الأسرة هي "النواة الإنجـــابية"[2]

وفي نفس السيـــاق يـرى "وليم أجبرن W.Egbern" أنّ "العلاقات الجنسية الوالدية هي المبرر الأساسي لوجود الأسرة"[3]. ومنه نشير إلى ما جاء به "هربرت سبنسر" حيث يبيّن لنا أنّ الأسرة "وحدة اجتماعية وبيولوجية"[4]

والأسرة وفقا لتعريف "ميرداك" هي عبارة عن جماعة اجتماعية تتميز بمكان إقامة مشترك، وتعاون اقتصادي ووظيفة تكاثرية لعلاقة جنسية يعترف بها المجتمع[5]

كما يعرّفها "كريستانس" أنهـــا "عبارة عن مجموعة من المكانات والأدوار المكتسبة بالزواج أو الولادة"[6].

ولكن نشير أنّه "مهما اختلف المفكرون في تعريف الأسرة تبقى كل التعاريف لها خصائص بنائية"[7]. ورغم تعدّدها إلا أن العلماء والباحثين اعتبروا بالإجماع أن العائلة هي نسق من بين الأنساق الاجتماعية المكوّنة للبناء الاجتماعي.

---

1. Burgess,E, and Locke, H : The family From tradition to companion ships, Niew york, 1950, PP.7-9) نقلا عن: عبد القادر القصير، الأسرة المتغيّرة في مجتمع المدنية العربية :دراسة ميدانية في علم الاجتماع الحضري والأسري، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، ط1،1999 . ص.ص. 35-36.
2. محمد مهدي القصاص، علم الاجتماع العائلي، كلية الآداب: جامعة المنصورة، 2008. ص23.
3. سعيد محمد عتمان، الاستقرار الأسري و أثره على الفرد، مؤسسة شباب الجامعة ، 2009. ص.16.
4. حسين عبد الحميد رشوان، الأسرة و المجتمع: دراسة في علم اجتماع الاسرة، مؤسسة شباب الجامعة،2003. ص.23.
5. (Murdock, G .P. « social organisation », New york, 1949. P.1)؛ نقلا عن: عبد القادر القصير،سبق ذكره، ص.35.
6. (Christensen,H : »Hand book of marriage and the family »,Chicago, 1964, P.3)؛ نقلا عن: عبد القادر القصير، نفس المرجع، ص.36.
7. عبد الباسط محمد حسن ، علم الاجتماع: الكتاب الأول، المدخل، دار غريب، بدون تاريخ. ص.170.

2. مميزات الأسرة

الأسرة هي "مؤسسة اجتماعية" مرتكزة على تدرّج سلمي تراتبي بين الأجيال والجنسين، فإذا فقدت الأسرة تدرّجها السلمي فقدت وظيفتها كمؤسسة اجتماعية؛ يقـــول "De Singly. F." أنّه لا يمكن تصوّر مؤسسة اجتماعية بدون وجود تدرّج سلّمي وسلطة توجّه النظام تحت قوانين ضابطة تحفظ تماسك المؤسسة.[1]

المرء لا يمكنه اتخاذ أي قرار بمفرده، فيجب المرور عبر الجانب الرسمي للمنظمة الأسرية فيما يتعلّق بمواضيع الزواج، حيث الأسرة تقوم بتوجيه الفرد في انتقاء الشريك، وتقوم ببناء علاقة زواجية بما يناسب معتقدات العائلة.

وفي غور هذه العلاقات تتحدّد الأدوار والأوضاع القائمة على إيديولوجية خاصّة تكوّن بذلك وحدة اجتماعية متناسقة يكتسب من خلالها الفرد معايير وقيم تكوّن اتجاهاته تعطي معنى لسلوكه يكتسب من خلالها هويته الذاتية في تفاعله مع أعضاء الجماعة المنتمي إليها مكوّنا وإياهم شخصية إثنية حيث يعي الفرد بانتمائه العائلي.[2]

باندماج الفرد في المجال العام أين يتطلّع على معالم الحياة ينمي بذلك شخصيته مما يزيد من وعيه فيتأثر بالمحيط الذي يعيش فيه أين يوسّع في شبكة علاقاته خارج المجال العائلي يُفتح له مجال تَعارف مختلف -خاصّة بعد الدخول للمجال المهني- يشعر بذلك بهويّته المستقلّة تدفعه إلى التفكير في الزواج.

يتساءل "Kaufmann"، كيف فكرة الزواج تقتحم فكر الفرد وتثير الرغبة في بناء أسرة؟ ويجيب إذ يخبرنا: "لأن الفرد يصبح واعي أنه أصبح إنسان آخر... فيريد التقدم نحو مستقبل مع أبنائه حيث تَكَوَّن لديه الفكر الأسري الوثيق بمشروع الإنجاب والشعور بالأبوة "projet parental".[3]

---

1. De Singly François , la famille individualiste face au pratique culturelle, paris, VERLIS,2002.

2. أنظر : (FSIAN Hocine, thèse Doctorat d'état, psychologie clinique, identité féminine – identité masculine à propos des relations Homme/Femme en Algérie, université d'Oran, Année universitaire 2005-2006)، ص.109.

3. H.Léridon, C.Villeneuve-Gokalp, Les nouveaux couple : nombre, caractéristique, et attitudes, (Population, n°2, 1988.)؛ نقلا عن: (Kaufmann J.-C., sociologie du couple, 1ère édition, PUF, 1993.)، ص.84.

3. مميزات الزواج

1.3. البعد البيولوجي والاجتماعي للزواج

سناء الخولي في مرجها "الأسرة والحياة العائلية" توضّح تعريف الزواج مُوضّحة أنّه: "يُعتبر شرطا أوليا لقيام الأسرة وواجب اجتماعي مقدّس.. وهو الوسيلة التي يعتمد عليها المجتمع لتنظيم المسائل الجنسية تحت معايير محدّدة في مجتمع تقليدي، يعتبره كظاهرة مقدسة أكدته الشرائع السماوية ويرتكز حول الالتزامات الاجتماعية كنوع من الضبط الاجتماعي".[1] ويشير إحسان محمد الحسن إلى الزواج أنّه: "علاقة جنسية تقع بين شخصين مختلفين في الجنس (رجل و امرأة) يشرعها و يبرر وجودها المجتمع... يستطيع خلالها الشخصان المتزوجين البالغان إنجاب الأطفال"[2] فالعرف العائلي الإسلامي لا يخوّل للثنائي إقامة علاقة جنسية خارج نطاق الزواج.

وفي نفس السياق يعرّف "جورج ميردوك" الزواج في كتابه "البناء الاجتماعي" أنّه: "مجموعة معقّدة من الأحكام والتقاليد التي تنظم العلاقات الاجتماعية والجنسية بين شخصين بالغين من جنسين مختلفين -المرأة والرجل- ينتميان بالأصل إلى عائلتين مختلفتين. وبعد دخولهما في العلاقات الزواجية يكوّنان عائلة..."[3]

أ. <u>البعد البيولوجي للزواج</u>:

الجانب البيولوجي يحمل مفهوم **"التّزاوج"** وهو بُعد غرائزي حيواني باعتبار أن الإنسان حيوان ناطق(*) يحمل غرائز جنسية طبيعية لا يَعترف بها المجتمع خارج نطاق الزواج، فيجب أن تُضبط اجتماعيا من طرف الأسرة حيث تقوم بتنشئة الفرد بما يخدم العرف الاجتماعي.

---

1. سناء حسنين الخولي، الأسرة والحياة العائلية، دار الميسرة، ط1، 2011.

2. (Mitchell, D.A.Dictionary of Sociologie,P.113.)؛ نقلا عن: إحسان محمد الحسن،علم اجتماع العائلة، دار وائل للطباعة والنشر، الأردن، ط1، 2005، ص.48.

3. احسان محمد الحسن، نفس المرجع، ص 102.

*. قال الفلاسفة التابعون لنظريات الإغريق: الإنسان حيوان ناطق، فإنما يعني بهذه الكلمة (النطق) المعارف والعلوم، وليست (خاصة) القدرة على التحدث. ولذلك عبّروا عن العقل بـ"النفس الناطقة" لأنها مستكملة في جوهرها عقل بالفعل. فكان تعبيرهم بـ(الإنسان حيوان ناطق) دليلا على أن مرادهم من النطق العقل، وعلى أن كلمة المنطق تعني عندهم أداة العقل أو أداة العلم... فإذا اعتبرنا الحيوان جنسا فالإنسان نوع من أنواعه، والميزة التي تميزه عنه تمييزا قاطعا هي النطق. **رابط النص:**

http://www.arabic.tebyen.net

يكتب "Claud Lévi-Strauss" في هذا المنوال أنّ "الشيء الذي يفرق بين الإنسان والحيوان، هو أن الإنسانية لا يكن لها وجود إلاّ في قلب مجتمع أين العلاقات الدموية وهوية الانتماء لا تستمر إلاّ في سياق الاندماج الاجتماعي عبر الزواج"،[1] فإنّ "الزواج والتزاوج ليس شيئا واحدا. الأسرة مفهوم سوسيولوجي، أما التزاوج معروف عند الحيوان والزواج عند البشر فقط، فهو نظام اجتماعي يتصف بقدر من الاستمرار والامتثال للمعايير الاجتماعية"[2]

ويفرق "كريستانس" بين الزواج والأسرة بحيث أن الزواج عبارة عن تزاوج منظم بين الرجال والنساء، في حين أن الأسرة عبارة عن الزواج مضافا إليه الإنجاب"[3]

ويضيف "BARBER Bernard" أن الزواج علاقة مستمرة مقبولة اجتماعيا بين رجل وامرأة... وهي تسمح بعلاقات جنسية... وتتم وفق معايير وضوابط معينة... وأهمية الزواج ليس في إقامة علاقة بين شريكين ولكن أهميته تبرز في العلاقات التـي تربط بين عائلتيهما[4] فتتوّلد علاقات أسرية اجتماعية وبيولوجية. علاقات النسب هي نِتاج التعاقد الأسري وتعتبر علاقات تأسّست من خلال قاعدة اجتماعية أَنشأت علاقــة زوجية تتكوّن من الزوج والزوجة يربط بينهما علاقة بيولوجية تهدف إلى إنجاب الأطفال حيث تتكوّن أسرة نووية (♦)

ب. <u>البعد الاجتماعي للزواج:</u>

يحمل الزواج التزامات على الفرد الامتثال لها. اختيار القرين هو تحت سلطة الأسرة وإذا تمّ أي نوع من الانتقاء الفردي يستوجب الموافقة المشروطة من الوالدين حيث

---

[1]. (Claud Lévi-Strauss, Le regard éloigné, Plon, Paris, 1983, P.83.)؛ نقلا عن: (ADDI Lahouari, Les mutation de la société Algérienne : famille et lien sociale dans l'algérie contemporaine, opu, alger, 1994.)، ص.27.

[2]. سناء حسنين الخولي، (2011). نفس المرجع السابق، ص.ص.70-79

[3]. (Christensen,H: « Hand book of marriage and the family »,Chicago, 1964, P.3)؛ نقلا عن: عبد القادر القصير، الأسرة المتغيّرة في مجتمع المدنية العربية: دراسة ميدانية في علم الاجتماع الحضري والأسري، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1999. ص.36.

[4]. محمد مهدي القصاص، علم الاجتماع العائلي، كلية الآداب، جامعة المنصورة، 2008. ص32.

♦. "علاقات النسب ليست بيولوجية وإنما تأسست تلك المجموعة من العلاقات الاجتماعية على أساس العلاقات البيولوجية. وهناك تطورات متقدمة في تكنولوجيا التناسل فكل شخص حي يرتبط بيولوجيا من شخصين آخرين (...) كل إنسان وُلد في شبكة من العلاقات البيولوجية...وبضوء المدلول الثقافي الذي نشأت تحت ضله العلاقات البيولوجية... من ثم نشأ اسم المركز الاجتماعي يمكن تمييزه عن تسميته بيولوجيا باستخدام مصطلحي "أب"و"أم"...وليس بالضرورة أن يجمع الشيئان سويا... فيمثل الزواج نموذجا تنظيميا من الشراكة الجنسية". **جون سكوت، معجم سبق ذكره. ص. 372-376.**

عليه الأخذ بموافقة الأهل وتأييد الإيجاب والقبول،(*) فالزواج هو تعاقد اجتماعي بين أسرتين وقضية اجتماعية ترتكز على الشعائر الدينية حيث يتّبع المجتمع الإسلامي شرع الله ورسوله بقراءة الفاتحة مع وجوب حفل إشهاري يُنشر من خلاله خبر الزواج.

يؤكّد "ادوارد وسترمارك" في نفس المنوال بأن: "الزواج... أساس تكوين ونشوء العائلة. المضمون الاجتماعي للزواج فإنه يتعلق بالموافقة الاجتماعية التي تكون على عقد شرعي توقّعة الأطراف المعنية التي تدخل في إطار الزواج... وما يرافق الزواج حفلة اجتماعية عامّة تشهد وتؤيّد وقوع الزواج بين رجل وامرأة، وهذه الحفلة بكونها حفلة اجتماعية فإنها حفلة دينية وشرعية وقانونية موقرة لها صفاتها الاجتماعية والأخلاقية التي يقرها المجتمع ويتمسّك بها"[1]

إلى جانب الشرعية الاجتماعية الدينية يقابلها عقد مدني بحكم القانون الوضعي الذي يمثّل عقد شرعي بين الجنسين يثبت الزواج قانونيا؛ فـ"الزواج يعتبر ترتيبا بين شريكين وأسرتيهما... ويحدد الحقوق والواجبات لكل زوج اتجاه الآخر... وتتمثل الشراكة في الزواج فقط بحيث يتم الاعتراف بهذه الشراكة من قبل طرف ثالث عن طريق التوثيق لدى الدولة ومن ثم اعتراف الدولة بالزواج"[2]

*. **تعريف الإيجاب والقبول:** عرَّف الفقهاء الإيجاب بأنه: "الكلام الذي يصدر من الولي دالاً على رضاه بعقد الزواج"، وعرَّفوا القبول بأنه: "الكلام الذي يصدر من الزوج أو وكيله، دالاً على موافقته على رغبة الولي"؛ وعرَّف الحنفية الإيجاب بأنه: "الكلام الذي يصدر أولاً، سواء أكان من الزوج أم الزوجة أم الولي"، وعرَّفوا القبول بأنه: "الكلام الذي يصدر مؤخَّرًا، سواء أكان من الزوج أو الزوجة أو الولي". **رابط النص**:

http://www.alukah.net/culture/0/9581/#ixzz3ltQ5iqXJ

أنظر كذلك: حسين عبد الحميد رشوان، الأسرة و المجتمع :دراسة في علم اجتماع الأسرة، مؤسسة شباب الجامعة، 2003، ص.181.

[1]. احسان محمد الحسن (2005)، سبق ذكره، ص.48.

[2]. معجم علم الاجتماع :المفاهيم الأساسية، تحرير :جون سكوت، ترجمة :محمد عثمان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر علي مولا :بيروت ، 2009. ص376.

فالزواج إذن يعتبر مُؤسس العلاقات الأسرية تحت مدلول ثقــافي تنشأ من خــلاله **علاقة زواجية** أوعلاقة زوجية (Couple)(*)[1] بين شخصين لهما شرعية إقامة علاقة جنسية ينتج من صلبهما أبناء.

4. أنواع الأسر ومقوماتها الأساسية

1.4. الأسرة النووية:

تعتبر الأسرة النووية مجموعة اجتماعية محدودة نشأت عن طريق إنجاب الأطفال تتألف من زوج وزوجها وأطفالهما، تتكون من جيلين متعاقبين، وأطلق عليها أيضا الأسرة الابتدائية، حيث تحوي العناصر الأساسية التي يتشكل منهــا أي نظام أسري[2] وتقوم بتنشئة أطفالها، وهي أهمّ وظيفة إجتماعية بعد الإنجاب تحرص عليها الأسرة النووية حيث تتحوّل إلى أسرة توجيهية وإرشادية.

"Talcott Parsons" يوضّح أن الأسرة الزوجية تنشأ من خلال الزواج وهي الأسرة المنجبة والتي نميّزها عن أسرة التوجيه التي وُلد بها الفرد"[3]

ومن جهة أخرى يموّه "راد كليف براون" أن شبكة العلاقات الاجتماعية تنشأ من منطق أن الشخص ينتمي إلى أسرتين، الأولى كإبن وأخ "أسرة التوجيه" والثانية كزوج وأب "أسرة الإنجاب"[4].

2.4. الأسرة الممتدة:

ما يميّز أعضاء الأسرة الممتدّة شراكتهم في: "اللقب، السكن، رأس المال الاقتصادي، وكل الخصوصيات التابعة لـ**"العايلة"** تمنحها شخصية حقيقية"،[5] يعتبر ابن خلدون هذا

*****. وضح لنا الخمار بوقرعة، -في مقاله تحت عنوان الزوجان و الخطاب: نحو وضع إشكالي جديد لمفهوم الزوجين، ضمن مجلة أزواج وتساؤلات: سلسلة بإشراف عائشة بلعربي- ص.13 أنه، استعمل مفهوم الزوجين كترجمة لمفهوم "couple" عوض عن مفهوم زوج، لما يوحي الاعتقاد أننا أمام الرّجل،...فـ*"كل شيئين مقترنين ...فهما زوجان. كل واحد منهما زوج"* **(لسان العرب المجلد الثاني.ص:292.)**

كما أنّ مفهوم زوج يعني: قرين، بعل، زوجة؛ زوجين، زوجي، بين جانبين، مُزدوج، اثنان. **(مرشد الطلاب: قاموس مدرسي عربي عربي، منشورات المرشد الجزائرية، طبعة جديدة منقّحة)**

انظر كذلك : فسيان حسين، رسالة دكتوراه، سبق ذكرها، يوضّح لنا مفهوم الزوجين في نفس المضمون، ص.ص.271-272.

[1]. خصّصنا للضرورة في التحليل، مفهوم الثنائي لعلاقة بين الفتى والفتاة بُنيت في مجال تعارف قبل الزواج. **(تعريف اجرائي محض)**

[2]. جون سكوت، معجم سبق ذكره. ص375-376

[3]. (De Singly François, sociologie de la famille contemporaine, Armand colin, paris, 2007.)،ص.50.

[4]. فاتن شريف، الأسرة والقرابة : دراسات في الانثروبولوجية الاجتماعية، دار الوفاء :الاسكندرية، ط1، 2006. ص.36

[5]. (robert Descloître et Larbi Debzi, Système de parenté et structures familiales en Algérie, Annuaire de l'Afrique du nord, CNRS, Paris, 1963, P.33.)؛ نقلا عن: عدي الهواري، مرجع سبق ذكره، ص.43.

النمط رمزيا مثاليا للعائلة الإسلامية تدلّ على معنى "العصبية"[1] فتسمّى "أسرة العصب" تقوم على صلة الدم والقرابة.[2] ويميّزها بوتفنوشنت بطابعها المزدحم بعدد أفرادها الهائل فقد تجمع من عشرين (20) إلى ستّين (60) شخص وتضمّ من ثلاث إلى أربع أجيال متعاقبة تقيم في مسكن مشترك تحت سقف واحد.[3]

هذا النمط كان سائدا في المجتمع الجزائري وتغيّر مرفولوجيا مع الانفراد السكني للزوجين في سكن مستقل مكوّنين بذلك أسرة زوجية أو نووية، ولكن مضمونا كل طرف من أطراف العلاقة الزوجية لا يقطع الحبل السري مع أسرته الأصلية ويبقى وفياً لـها حيث تستديم الروابط الأسرية مع تبادل الزيارات، ومع علاقات التآزر والتعاون بين أطراف الأسرة الزوجية في علاقتها بأسرة الانتماء. يعتبر "دوركايم" أنّ "النظام الاجتماعي يرتكز على الاحترام للجماعة وتقاليدها ومشاعر الانتماء لها... فنحن متعلّقين بالأسرة لأننا نتعلّق بالشخص الذي هو الأب، الأم، الزوجة، الأبناء..."[4]

ومنه، نميّز بين مفهوم العائلة والأسرة، ففي تحليلنا لموضوع الدراسة وظّفنا مفهوم العائلة في علاقة الأزواج بالأسرة الممتدّة[5] أما مفهوم الأسرة خصّصناه للأسرة النووية، بصفتها أصغر حجما من العائلة.

3.4. الفرق بين مفهوم الأسرة والعائلة:

العائلة تتألف من الإخوة والآباء والأعمام والخالات وأولاد العم وأولاد الخال... ويتقابلون في المناسبات الدينية والشعائرية المفرحة منها والمقرحة، ويَنشطون في المصالح المشتركة مثل قضايا الإرث... أما الأسرة هي العلاقة المباشرة للفرد مع أسرته[6]

---

[1]. (KOUAOUCI Ali, Famille – Femme et contraception : contribution à une sociologie de la famille algérienne, FNUAP, Alger, 1992.)، ص.182.

[2]. سعيد محمد عتمان، الاستقرار الأسري وأثره على الفرد، مؤسسة شباب الجامعة ، 2009. ص.17.

[3]. (BOUTEFNOUCHENT M., la famille algérienne, évolution et caractéristique récentes, Alger, SNED, 1982)، ص.ص.39-41

[4]. (Émile Durkheim (1892), " La famille conjugale")، ص9.

[5]. من خلال قراءتنا لمرجع الأستاذ بوتفنوشنت. ومرجع عدي الهواري، لاحظنا أنهما استعملا مفهوم العائلة للإشارة إلى الأسرة الجزائرية التقليدية –الممتدة- حيث وظّفا باللغة المحليّة مصطلح **"العايلة"**

[6]. محمد مهدي القصاص، علم الاجتماع العائلي، كلية الآداب، جامعة المنصورة، 2008. ص69.

يرى "دركايم"، أنّ "...العائلة هي تقليص لأشكال قديمة عبر الزمن التاريخي فمن شكل قبلي إلى شكل أسري، مرورا بالعائلة الغير منقسمة[1] تتّصف بالتماسك العائلي مكوّنة وحدة مشتركة بين أفرادها أين العائلة التقليدية كانت بمثابة قبيلة أو عشيرة صغيرة تربط أفرادها علاقات اجتماعية متماسكة.

ويشير "Pièrre Bourdieu" أنّ العائلة باعتبارها أسرة ممتدة هي "النموذج الذي على صورته تنتظم البنيات الاجتماعية... تضم كل الأقارب التابعين للنسب الأبوي"[2]

4.4. **الأسرة الأبوية و النظام الأبوي**

الأسرة الجزائرية الممتدة هي أسرة أبوية في الصميم تتميزّ بنظامها الأبوي شكلا ومضمونا؛ علماء الاجتماع أمثال "بورديو" و"بوتفنوشنت" تكلموا على العائلة الجزائرية لنمطها الموسّع "étendu"، فيقول بورديو أنّ "الأسرة الممتدة أو الموسّعة تعتبر الخلية الأساسية للمجتمع الجزائري... تضمّ كل أفراد العائلة من خط الأب... حيث تتجمّع عدة أجيال تحت كنف ورعاية رئيس واحد يكوّنون بذلك علاقات ودّية مشتركة" كما أنّها "وحدة اجتماعية تضمّ عدّة أسر نووية تابعة لخطّ الذكر"[3]

ويوضّح أكثر CAMILERI أنّ: "الأسرة الأبوية تتميّز بنظام أبوي وهو نمط تقليدي يركّز في علاقاته على ضوابط أخلاقية يعتمد على مبدأ القيم والتضامن بين أفراد العائلة تحت هيمنة كبير العائلة وولي أمرها له الشرعية في ممارسة السلطة ضمن نظام تراتبي بين الجنسين والجيلين المتعاقبين من خلال معايير محددة تحت النظام الثقافي المعمــول به"[4]

---

[1]. (Martin Segalen, sociologie de la famille,6ème Ed : Armand colin,2008.)، ص.19

[2]. (Pièrre Bourdieu, Sociologie de l'algérie, Coll, Que sais je? n°802, Paris, PUF,1974, P.12.)؛ نقلا عن: مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الانثروبولوجيا: ظاهرة التغير في الاسرة الجزائرية، العلاقات، إعداد الطالب دحماني سليمان، جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان، السنة الجــامعية 2005-2006. ص.11.

[3]. (bourdieu p. (1974), sociologie de l'algérie, que-sais-je ? n802,paris, puf,127 p .P12-P71)؛ نقلا عن: قعوسي علي، مرجع سبق ذكره، ص.ص.181-182.

[4]. (CAMILERI Carmel, (1973).- jeunesse, famille et développement, essai sur le changement socio culturel dans un pays de tiers monde (tunisie), centre de recherche scientifique, France.)، ص.ص.9-10.

أنظر كذلك: (ADDI Lahouari, (1994), Les mutation de la société Algérienne: famille et lien sociale dans l'algérie contemporaine, opu, alger.)

ومنه "دوركايم" يعتبر أن الأسرة من حيث الشكل والبناء يعني في عناصرها الظاهرة "visible" وهو الجانب البسيط الذي يمكن تحديده إحصائيا... فهذا الجانب يخفي بذلك الوظائف الأسرية ونمط حياتها، وهذا يجعلنا نخاطر في إهمال الجانب العلائقي والذي يعتبر مهم في الدراسات العائلية[1]

5. طبيعة العلاقات الأسرية

يشير دوركايم في مرجعه "مقدمة عامة في علم الاجتماع العائلة" أنّ: "النمط العائلي نلتمسه من خلال معرفة طريقة التعامل والتصرف عبر ما يسمى **بالعرف والقانون، والأخلاق** وهي ممارسات منظمة وثابتة مأخوذة من الرواسب عبر الأجيال، فالأعراف هي ما يشترك فيه الجماعة وتوجه تصرفات الفرد... حيث هي مفروضة على كل عضو من أعضاء المجتمع، ولا ترمز للفعل فحسب بل الواجب فعله كقاعدة علينا الامتثال لها، وإلا يتعرّض الفرد للجزاء والعقاب... من طرف رب العائلة الحامل للشرعية الاجتماعية لممارسة السلطة.[2] ويموّه "برجس" و"لوك" أن الأسرة كنظام اجتماعي، يكون سلوك أفرادها خاضعا للعرف والقانون والرأي العام... مما يحدد الضغط الاجتماعي[3]

ومن بين الأعراف المفروضة ضمن العلاقات الأسرية ما يخصّ مواضيع الزواج واختيار الشريك. في المجتمعات التقليدية يتم الزواج تحت مسؤولية وإشراف الأسرة ويتم بصفة ضاغطة على الشخص عندما يبلغ سنّ الزواج. كما تعتمد على الاختيار لقرناء الأزواج ضمن المجال العائلي أو القرابي.

6. القـرابــة

يعرّف أنتوني غدنز علاقــات القرابة انّها: "الصلات التي تقوم بين الأفراد إمــا على روابط الدم والنسـل، أو على أساس الزواج فتنشأ صلة القرابة بين الزوجين وأسرتيهما فتمتد وتتّسع لتغطي مساحة أوسع"[4] فيُعتبرون أقرباء النسب؛ "لا تعني القرابة في علم الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع علاقات العائلة فقط وإنما تعني أيضا علاقات

---

[1]. (De Singly François, sociologie de la famille contemporaine, Armand colin, paris, 2007.)، ص.7.

[2]. (Emil Durkeim, Introduction général à la sociologie de la famille, 1888)

[3]. حسين عبد الحميد رشوان، الأسرة والمجتمع: دراسة في علم اجتماع الأسرة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2003. ص.154.

[4]. أنتوني غدنز، علم الاجتماع، تر : فايز الصباغ، مركز دراسات الوحدة العربية : بيروت، ط4، 2005. ص.254.

المصاهرة فالقرابة هي علاقات دومية والمصاهرة هي علاقات زواجية...كما نشير أنّ زواج ابن العم من ابنة عمّه... لا يمكن التمييز بين القرابة والمصاهرة فالأقرباء يعتبرون أصهارا والأصهار يعتبرون أقرباء"[1] ومنه نميّز بين الزواج الداخلي والزواج الخارجي.

1.6. الزواج الداخلي والزواج الخارجي

الزواج الداخلي "Endogamy" هو زواج يتم فيه اختيار قرناء الأزواج ضمن نفس العلاقات الاجتماعية الأسرية العائلية منها أو ضمن نفس الطبقة الاجتماعية وتعدّ طبقة مغلقة قد يحرّم الزواج فيها خارج إطار علاقاتها الاجتماعية. مثل "طبقة "الكاست" وهي طبقة مغلقة في الهند التقليدية حيث تتبع قواعد الزواج الداخلي بحدة شديدة"[2] (*)

وهذا ما نجده ضمن الجماعات ذوي الاتجاهات الجهوية في المجتمع التقليدي الجزائري "القبلي" منه و"التلمساني" أو حتّى من العوائل العريقة بولاية وهران حيث يُفرض الزواج ضمن نفس الفصيلة الاجتماعية تحمل "شخصية إثنية". فالزواج الأندوجامي قد يكون عائلي أو اثني.

يشير "Alain Girard" أنه بمجرّد أن الاختيار للشريك هو من نفس المنطقة الجغرافية يعتبر زواج داخلي[3] فخارج هذه الدائرة هو زواج خارجي "exogamy" محرّم، قد تجاوز للحدود المعترف بها ضمن شبكة العلاقات الأسرية.

2.6. نظام العلاقات القرابية نتاج اجتماعي

القرابة هي معتقدات اجتماعية تتحدّد بقوانين عرفية ينتجها أفراد المجتمع تُضبط بها نظام القرابة. يشير "علي قعوسي" أنّ العلاقات الاجتماعية تخلق رموزا خاصّة وعقائد عائلية تفرضها على أفراد النسق العائلي... فمثلا الدين لم يحرّم الزواج خارج إطار العائلة

---

[1]. (Davis, K.Human Society, PP.401-402)؛ نقلا عن: إحسان محمد الحسن،علم اجتماع العائلة، دار وائل للطباعة والنشر، الأردن، ط1، 2005. ص.53.

[2]. محمد نبيل جامع، علم الاجتماع الأسري وتحليل التوافق الزواجي والعنف الأسري، دار الجامعة الجديدة: الإسكندرية، 2010. ص. ص.79-80

*. المجتمع الهندي مقسما على أسس طبقية، وطبقة الكاست الهندي (Caste) هي إحدى الطبقات الهندوسية العليا تشكل 15 % من السكان. قدّم "لويس دومون" في عام 1954م أطروحته بعنوان «نظام الكاست في جنوب الهند: الدين والتنظيم الاجتماعي بين البرامالي الكالار» ووضّح أن «برامالي الكالار»... وحدة فرعية من مجموعة كبيرة من «الكاست» وهي جماعة تنتمي لطائفة مهيمنة تقع في الجهة الغربية من مدينة «ماورا». كما نشر إلى دراسة أنثروبولوجية ثانية عن عمله الإثنوغرافي حول نظامي «الكاست» والقرابة في الهند حول «التراتبية والزواج التصاهري في النظام القرابي لجنوب الهند» وتعد إسهاماً بالغ الأهمية في مجال المعرفة العلمية حول البناء الاجتماعي للهند. **رابط النص**:

http://www.aranthropos.com -http://www.alhak.org

[3]. (KAUFMANN J-C.,(1993).- sociologie du couple, 1ère édition, PUF)، ص.6.

إلاّ من المحرّمات المذكورة في النصّ السماوي، ولكن تتدخّل عوامل تحت نظام استراتيجي يفرض كبـار العـائلة على الفـرد الزواج من ابن العم أو ابن الخـال -للمحافظة على الإرث العائلي مثلا- كما يعطي لنا مثال أدقّ يوضّح لنا كيف أن النظام الأسري أحلّ الرضاعة من ثدي واحد وكيف يُحرّمها العرف الأسري ليحدّ من الزواج الداخلي[1] ومنه يمكن القول أن نظام القرابة حِيكَ من طرف ثقافة المجتمع.

وبهذا علاقات الزواج تضبط اجتماعيا، تؤدّي إلى الزواج المرتّب أو المخطّط،[2] فيتم قرار الاختيار الزواجي على ما يناسب المعتقدات القرابية من طرف العائلة.

التصورات القرابية تختلف باختلاف المجتمعات والعصور والأزمنة؛ كان الطوطم(*) يعتبر من أحد الأنظمة القرابية القديمة التي عرفتها المجتمعات تحمل نظام قرابي خارجي في علاقات الزواج، حيث لا يحق للرجل اختيار شريكة الحياة من داخل القبيلة التي تحمل نفس الطوطم المقدّس، أما النساء يتزوّجن خارج النظام الطوطمي وعليهن الاندماج إلى قبيلة الزوج باعتناق طوطمها[3]

كما يبرز لنا ليفي ستروس "Levi-Strauss" حول نظرية القرابة سنة 1949 في كتابه الأول الحامل لعنوان "البنية الأولية للقرابة" حيث يرى أن الأبنية الأولية للقرابة هي ناتجة من **تفضيل الزواج من أشخاص تتكوّن بينهم روابط الدم** كما في الزواج بين أبناء العمومة والخؤولة... حيث يعد البناء الأول على أساس تبادل النساء هو المحور المركزي للقرابـــة[4] أين المرأة تعتبر من الملكيـات الخاصة للعـــائلة و"موضوع تبـــادلي"

---

1. .KOUAOUCI A، سبق ذكره، ص.ص.110-115.

2. الزواج الذي يختار من طرف العائلة يسمّى بالزواج المرتّب "Arranged mariage" ...يمنح الابوين حق اختيار الشريك الدور الكبير في دعم واسناد العائلة ورفع شان مركز الأب ... تنطبق إلى درجة عالية مع القيم... التي تحث على احترام الكبار وطاعة أوامرهم وسلطتهم... فطاعة الآباء والأمهات والمسنين دليل على طاعة الله تعالى. **(احسان محمد الحسن (2005)، مرجع سبق ذكره، ص.ص. 89-92).**

* . نظام التوتم "TOTEM " معروف عند بعض العشائر الاسترالية كعشيرة "الأرونتاس" و"البنكيين"، كان كل أفراد العشيرة الواحدة يربط بينهم قرابة قائمة على رباط مقدّس يجعلهم وحدة اجتماعية؛ "هو عبارة عن نوع من الحيوان، أو النبات أو الجماد، أو مظهر من مظاهر الطبيعة تتخذه العشيرة رمزا لها، و لقبا لجميع أفرادها، وتعتقد أنها تؤلف معه وحدة اجتماعية". قاموس علم الاجتماع: (Emilio Willems : « dictionnaire de sociologie », adoptation française par Armand cuvellier, 2ème Edi.,paris, 1970, PP.291-292)؛ نقلا عن: عبد القادر القصير، الأسرة المتغيّرة في مجتمع المدنية العربية: دراسة ميدانية في علم الاجتماع الحضري والأسري، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1999. ص.44.

3. **أنظر**: عبد القادر القصير، نفس المرجع السابق، ص.ص.48-47

4. Leach,Edmund ; Levi Strauss ; Collin Colted Press ; London ; 1972, P.107-103)؛ نقلا عن: فاتن شريف، الأسرة والقرابة: دراسات في الانثروبولوجية الاجتماعية، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2006. ص.ص.38-39.

« objet d'échange»[1]. فتعتبر المرأة أداة مصاهرة وتزاوج داخلي تعزّز الروابط الداخلية وعصبيتها.[2]

فبذلك نستنتج أن "نظم القرابة لا تحددها صلات الدم ولا الروابط الطبيعية، بل إنما يتحكم فيها ما يتواضع عليه المجتمع من نظم ويقره عقله الجمعي من قواعد"[3] فهي علاقة اجتماعية تعتمد على الرّوابط القرابية الحقيقية أو الخيالية أو المصطنعة[4] قابلة للتغيير.

7. المقاربات النظرية :

1.7. النظرية البنائية الوظيفية

هذه النظرية جمعت كل من النظرية البنائية والوظيفية، تنظر إلى الأسرة على أنها بناء يتكوّن من عناصر وأجزاء تحتلّ أوضاع وأدوار. كلّ جزئ له وظيفة خاصة تحدد واجباته وحقوقه في علاقات التفاعل مع الأجزاء الأخرى، فلا يمكن التحدث على وظائف الجماعة دون التحدث عن بنائها ولا يمكن أن نهتمّ بالبناء دون الوظائف الاجتماعية، حيث العناصر المكوّنة للكل هي متكاملة فيما بينها ومرتبطة إلى حدّ أي تغيير يطرأ على أحد الأجزاء يؤثر بالضرورة على بقية الأجزاء الأخرى، فـ"الناس يعيشون في أُسر وجماعات تعتمد بعضها على الآخر للبقاء والاستمرار والاستئناس الاجتماعي وتحقيق الذات فإذا حدث اكتئاب لشخص في الأسرة يؤثر على سبيل المثال على جميع أفراد الأسرة ومن ثم يعتبر الاكتئاب مشكلة أسرية وليست فردية"[5].

رأى راد كليف براون "Radcliffe-Brown" أنّ "...البناء الاجتماعي يتكوّن من شبكة معقدة من العلاقات الاجتماعية والاتصالات المتبادلة التي تنظّم تدفق التفاعلات بين الأفراد".[6]

كما يعرّف "بارسونز" البناء الاجتماعي على أنه يشمل الأنماط العرفية التي تحدد ما يجب الشعور به في مجتمع ما، على أنه نمط مناسب أو شرعي... ووصف ميريتون

---

1. **أنظر** : فسيان حسين، رسالة دكتوراه، سبق لنا ذكرها، ص146

2. مصطفى حجازي: المرأة والتحرر من الاعتراف المشروع "مجلة باحثات، النساء في الخطاب العربي المعـــاصر، 2003-2004.

3. عبد القادر القصير، نفس المرجع، ص.50.

4. (Fox,R.Kinship, And mariage A pelican Book, midlesex,England, 1967.)؛ نقلا عن: احسان محمد الحسن، (2005)، مرجع سبق ذكره، ص.51.

5. محمد نبيل جامع، مرجع سبق ذكره، ص.167.

6. معجم علم الاجتماع، جون سكوت، سالف الذكر، ص.ص.78-81.

"Merton"هذا بأنه "البناء الثقافي".[1] فهذا البناء يحمل نظام اجتماعي، يشكل وحدة اجتماعية تحمل نصوص وقواعد السلوك موجودة قبل وجود الفرد فهذا الأخير "يولد في نظام اجتماعي قائم بالفعل يقيده ومن ثم يتخذ سلوكا يفرضه عليه المجتمع فالقيم والمؤسسات والثقافة الخاصة بالمجتمع تحدد سلوك الفرد وأدواره في الحياة، فيبدو هذا الإطار النظري جبريا قهريا"[2]

ولكن لا يعتبر حتمي فهو قابل للتغيير ضمن النسق العائلي في علاقته مع البناء الاجتماعي وأمام وعي الفرد بذاته المستقلة حيث يوجه سلوكه على أساس اتجاهاته ورغباته ودوافعه، فتوضّح لنا نظرية الفعل الاجتماعي أو النظرية التفاعلية الرمزية أثر الفاعل الاجتماعي على المحيط الذي يعيش فيه حيث يقوم بالتغيير، فالفرد فاعل اجتماعي نشط[3] كما يقول "إيمانيل ليفيناس": "نحن من نؤسس النظام وليس العكس"[4]

2.7. النظرية التفاعلية الرمزية

هذه النظرية "تهتم بالتركيز على العلاقات الداخلية الأسرية في تفاعل أعضائها من خلال بعض العمليات الاجتماعية، مثل تفسير المعاني وتفكيك الرموز وأداء الأدوار الاجتماعية إزاء مواقف أسرية ضمن علاقات الاتصال، واتخاذ القرارات وحل المشاكل والصراع التي تتخلّل الأسرة، خاصّة في المواضيع المتعلّقة بالزواج وعوامل الطلاق"[5]

ومن أهم ما يميّز هذه النظرية، الحتمية الفائقة إلى ضرورة النظر في الأدوار، والتي يعتبرها "رالف دارندورف Ralf Dahrendorf" أنها وببساطة الأفكار المشتركة والموروثة والتي توجه وترشد السلوك ولكنها لا تحتّمه، لا بدّ من اعتبار الأفراد فاعلين مرتجلين وملتزمين بنص محدد[6]

---

[1]. جون سكوت، نفس المعجم، ص78-80.

[2]. محمد نبيل جامع، مرجع سبق ذكره، ص.ص. 169-170.

[3]. **أنظر**: مصطفى خلف عبد الجواد، قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، القاهرة، 2002.

[4]. معجم مصطلحات علم الاجتماع، تأليف جيل فيريول، ترجمة وتقديم: أنسام محمد الاسعد، مراجعة وإشراف: بسام بركة، دار ومكتبة الهلال: بيروت، ط1، 2011. ص 81-82

[5]. عبد القادر القصير، مرجع سبق ذكره، ص60

أنظر كذلك: القصاص، مرجع سبق ذكره، ص.ص 58-59

[6]. معجم جون سكوت، سبق ذكره، ص194

أمّا "بارسونز" فقد حدّد الأدوار بوصفها التوقعات المنتظمة ذات الصلة بسياقات تفاعل معينة تشكل التوجهات التحفيزية للأفراد اتجاه بعضهم بعضا وتلك هي الأنماط الثقافية أو برامج العمل أو أطر السلوك التي يَعْرِف بها الفرد من خلالها "صورته" في أعين الآخرين والكيفية التي يجب أن يتعامل بها معهم.[1] هنا نشير إلى نظرية التبادل والتي لها علاقة وثيقة بالتفاعلية الرمزية، فالتبادل الاجتماعي مهم في دراسة العلاقات والروابط الأسرية وما ينتج عنها من صراعات، أين قضية المصلحة تتدخّل بين أطراف التفاعل حيث كل طرف يبدي برغباته وإراداته واتجاهاته أمام الانتظارات المتوقّعة منه نحو الآخر.

1.2.7. **نظرية التبادل:**

علاقة التبادل قد تكون علاقة مادية أو عاطفية يشعر الطرفان بالارتياح في علاقة التفاعل المتساوية. يقول "آدم سميث": "لاستمرار التبادل لا بد أن يشعر كل الطرفان بعدالة التبادل"،[2] وكل صلة اجتماعية يعرّفها "M.Mauss" بكونها عقدا تبادليا ...فلا يمكننا أن نعطي دون أن نأخذ والعكس بالعكس.[3]

في نفس السياق نورد ما أشار إليه "De singly" أنّ الاقتران بالشخص ذي ثروة مالية كبيرة يتطلب واجب تعويض عاطفي وعلائقي... المرأة التي تتزوج رجل يفوقها مرتبة اجتماعية من المنطق أن ترى نفسها مدينة لشريكها بقدر أكبر من العاطفة[4]

والعاطفة لها أهمية في علاقات التبادل المترجمة في المكافآت المعنوية، التعاون والتآزر، الحب والتقدير والاحترام. هذه العلاقة تولّد الارتباط الموفّق، ما سمّاه "هومانز" بـ"قانون الاتفاق"، أما العلاقات الغير متكافئة فتولّد قانون اللامساواة تؤدي إلى الصراع. [5]

فعلى سبيل الذكر، الزوجة تعمل جاهدا لكسب رضا الحماة محاولة الاندماج ضمن الأسرة والحصول على مكانة أسرية قيّمة تُشعرها بتقدير الذات، ولكن ستجد أنها لن تجلب أبدا رضا الحماة رغم ما تقدّمه من فضل، وكأنها تعطي دون أن تأخذ -من الحماة- ولو قدر

---

[1]. جون سكوت، نفس المعجم، ص195

[2]. محمد نبيل جامع، مرجع سبق ذكره، ص.ص. 184-188

[3]. فيليب بلانشيه، التداولية: من أوستن إلى غوفمان ، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع: سوريا، ط1، 2007. ص. 91.

[4]. **أنظر:** Kaufmann J-C.، سبق ذكره، ص.105-104

[5]. **أنظر**: محمد نبيل جامع، سبق ذكره، ص . 188

بسيط من التبادل العاطفي أو المكافآت المعنوية، فستشعر الكنة بالإستياء وعدم الرضا، مما يجعلها تتقاعس في استوفاء دورها اتجاه أسرة الزوج، مما يولّد الصراعات.

2.2.7. **نظرية الصراع:**

نظرية الصراع لها علاقة وثيقة بالمشاكل والنزاعات والتوترات التي تتولّد في علاقات التفاعل تُحدث اضطرابات في البناء الأسري. وينشأ الصراع الأسري ضمن علاقة تراتبية بين جيلين متعاقبين أو بين الجنسين، وتختلف في شدّتها وحدّتها ويواجهها الفرد على حسب درجة وعيه ونمط شخصيتة. من الممكن أن "تصل الصراعات إلى مستوى من العنف كبير أو صغير... وتأخذ شكل لعبة حصيلتها صفر، ما يربحه أحدهم يخسره الآخر، بل تكون أحيانا سلبية، حيث لا يوجد إلا الخاسرون"[1]

والصراع ليست علاقة تدرجيّة بين الأجيال فقط بل هي علاقة صراع ضمن علاقة تدرّجية في النفوذ[2] وما يملكه الفرد من عوامل مادية وسيكولوجية وثقافية تتدخّل في رمزية العلاقة.

الأم –مثلا- لها مكانة رمزية اجتماعية ثقافية مميّزة في علاقتها بابنها تستعملها كقوّة ضاغطة تمنع التبادل العاطفي بين الزوجين إذ هي المالكة الوحيدة لقَلب الابن، ستشعر بالاستياء إذا تمّ أي نوع من "الاجتذاب الزوجي"[3]، وهذا ما يولّد الغيرة اتجاه المرأة التي سيتّخذها الابن زوجة له فتمارس بذلك سلوك متسلّط على الزوجة تؤدي إلى ضعف العاطفة بين الكنّة والحماة.

إنّ الصراع الزواجي هو صراع ثلاثي في علاقة التفاعل بين الأم والابن وزوجته، يدخل الزوج ضمن لعبة علائقية تحمل ثلاث حلقات يكون طرف وسط، إذا توطّدت حلقة اليمين ستضعف حلقة اليسار والعكس صحيح، أين يجد نفسه أمام موقف الاختيار في علاقات التبادل والصراع يستوجب اختيار شريكة الحياة قد تكون الزوجة أو الأم. ولكن "بين النساء

---

[1]. معجم مصطلحات علم الاجتماع، جيل فيريول سبق ذكره. ص56

[2]. **أنظر** : محمد نبيل جامع، مرجع سبق ذكره، ص.ص.181،180

[3]. **انظر**: (LACOSTE-DUJARDIN Camille, (1985-1996).- Des mères contre les femmes : Maternité et patriarcat au Maghreb, la découverte, paris.)، ص.ص,55-56.

الكل لا وجود إلاّ للأم...كل شيء يمرّ وكأن الرجال هم في لعبة بين الأمهـات ضد النساء"[1]

فإذن عملية التفاعل والتبادل والصراع هي أساس العلاقات الأسرية قد تؤدي إلى توطيد الروابط أو تفككها أو تقلّصها فيحدث التغيير في علاقات التفاعل إلى حدّ التغيير في مرفولوجية الأسرة أين تنشأ الأسر الزوجية أو النووية بعدما كانت أسر ممتدّة تكوّن العقل الجمعي تحت مبدأ الضبط الاجتماعي. ومن هنا يستوجب علينا إبراز أهم النظريات التي ترمز إلى تطوّر الأسرة أو بالأحرى تغيّرها.

3.7. النظرية التطوّرية لدراسة الأسرة

المدخل التطوري... ينظر إلى الأسرة كوحدة من شخصيات متفاعلة إلاّ أنه لا ينطلق من التفاعل ولا من السلوك المتأثر بالسلوك وإنما من دورة حياة الأسرة ومراحل التطور التي تمر بها الأسرة وأفرادها[2]

تدرس هذه النظرية التغيرات التي تطرأ على مرفولوجية الأسرة عبر الزمن والتغيرات التي تمسّ شبكة العلاقات والتفاعل بين أعضائها. هذه النظرية التطوّرية أو ما تسمّى بـ"النظرية التنمويّة تتوافق مع النظرية البنائية الوظيفية فالتغيّر في أي جزء يمسّ الأجزاء الأخرى للنسق الأسري، كما تلتقي مع نظرية التفاعل الرمزي في إعطاء الأهمية للأوضاع والأدوار والعمليات التفاعلية. إلا أن الميزة الوحيدة والتي تنفرد بها هذه النظرية هي محاولتها التمسك ببعد الزمن عن طريق استخدامها مفهومات منهـــا: تسلسل الأدوار"[3] فهذه الأخيرة تختلف باختلاف موقع الفرد داخل النسق الأسري الذي يتميّز بديناميكية التغيّر من الناحية المرفولوجية، فمن أسرة ممتدة إلى أسرة زوجية نحو أسرة نووية فالفرد يخرج من مرحلة ويدخل إلى نمط حياة مختلفة مغايرة عبر السيرورة الزمنية أين تتغيّر علاقات التفاعل.

---

[1]. LACOSTE-DUJARDIN، نفس المرجع، ص.ص.184-185

[2]. القصاص، مرجع سبق ذكره، ص.ص.58-59.

[3]. عبد القادر القصير، مرجع سبق ذكره، ص.61.

1.3.7. دراسة فريديريك لوبلاي

"فريديريك ليبلاي F.Le play" (1806-1882)، يعطي الأهمية لدينامكية العائلة، حيث حدد ثلاث أنماط عائلية كل نمط إلا ويمثّل مرحلة معيّنة من الزمن:

أ. **الأسرة المستقرة:**

هي العائلة المعروفة بنمطها وطابعها التقليدي في مجتمع ما قبل التصنيع، وسميت بالمستقرة لأن أعضائها يحملون اديولوجية مشتركة تكوّن تماسك أفرادها تحت نظام التضامن الجمعي، هذا النمط يسيطر ويهيمن على كل أعضاء الأسرة تحت نظام القيم والأخلاق والعادات والتقاليد، كما يحمل شكل الأسرة الممتدة أين يتزوج الأبناء داخل نفس السكن الأبوي وتحت مسؤولية رب العائلة.

ب. الأسرة المنتقلة أو الفرعية:

هي في طريقها إلى التحول من عائلة مستقرة تقليدية إلى عائلة غير مستقرة تتميز ببعض صفات العائلة المستقرة وبعض صفات العائلة الغير مستقرّة. وكأنه مزج بين ما هو تقليدي وما هو عصري فيتمّ التعلّق بالقيم التقليدية من جهة والتأقلم مع مستجدات الحياة.

ج. **الأسرة الغير مستقرة:**

تتأثّر بالتغيرات الاجتماعية فيتخلى أفرادها على الاديولوجية التقليدية وتتكوّن الذات الحرّة باحثة عن الاستقرار الفردي دون الجمعي، فالابن يكتسب أفكار وآراء وقيم تختلف عن أفكار وآراء و قيم أبيه... وتكون ظروفه الاقتصادية والاجتماعية غير متشابهة مع ظروف الأب، وأمور كهذه تسبب عدم استقرار الأسرة أي عدم وجود العلاقات الاجتماعية القوية والمتماسكة التي تربط أفرادها[1]

مع بروز ظاهرة الفردانية وتحقيق الذات المستقلة يصبح النمط الأسري المستقر يخلق نوع من "الاختناق" وبذلك يبرز نمط أسري مختلف عن النمط التقليدي[2]. بعدما كان الأبناء يتزوّجون وينشؤون أسر ضمن السكن الأبوي مكونين بذلك أسرة ممتدة تعيش تحت كنف ربّ العائلة إلى غاية وفاة الوالدين. أصبح الآن الزوجين يبحثان عن حياة مستقلّة في

---

[1]. (Le play,F. Les ouvrier Europeans, paris, 1877,P.20.)؛ نقلا عن: احسان محمد الحسن (2005)، نفس المرجع السابق، ص.64.

[2]. أنظر : Segalen. M، مرجع سالف الذكر. ص.13.

سكن مستقل مكوّنين أسرة نووية تعيش لنفسها حيث دورة حياة هذه الأسرة تختلف عن سابقتها.

8. دورة حياة الأسرة:

تشير إلى تتابع الأحداث التي تمر بأسرة معينة... تبدأ الأسرة دورة حياتها بعقد الزواج، ثم تنقضي فترة معينة قد تطول أو تقصر –حسب عدد الأطفال التي تنجبهم الأسرة- حيث تعود الأسرة لتقصر مرة أخرى على الزوجين بعد خروج الأولاد... لكي ينشئوا بدورهم أسرا نووية جديدة ويعيشان الوالدين وحيدين إلى أن تحين وفاة أحد الزوجين، وبعد الوفاة تطرأ احتمالات عديدة (الحياة وحيدا، العيش مع أحد الأبناء...إلخ)[1]

"بترمين"، "سوروكين" وآخرون قد ميزوا أربع مراحل لدورة حياة الأسرة، مرحلة زوجين ينشآن وجودا اقتصاديا مستقلا، مرحلة زوجين مع طفل أو أكثر، مرحلة زوجين مع أطفال قادرين على إعالة أنفسهم. مرحلة زوجين تقدم بهم السن[2]

أمّا "كوفمان" فميّز بين دورة الحياة الزوجية أو الأسرية ودورة الحياة، فيعتبر هذه الأخيرة أنها تتميّز بإطارها التنشئوى التي يمرّ بها الإنسان منذ الولادة إلى غاية الوفاة وحدّدها بالتفصيل من الشباب مرورا بمرحلة النضج أو البلوغ إلى الشيخوخة، أما الزوجية فتبدأ بالزواج حيث كلا الظاهرتين ليسا مستقلتين وإنما متداخلتين لأن دورة الحياة الزوجية ترتسم ضمن دورة الحياة يتقاطعان في مرحلة الشباب وهي أهم فترة ترتكز على بناء الاستقلالية الفردية فيكوّن الفرد فيها حياته أين يكتسب أدوار مختلفة متتالية، فإنّ "دورة الحياة يمكن أن تُحلل كعمليات مستمرّة تكون السبيل إلى تحويل الأدوار"[3] حيث يخرج من دور ويندمج إلى دور آخر، فمن طالب يصبو نحو كسب الشهادات إلى عامل يكوّن دعم مادي خاص به يتهيّأ من خلاله لبنـــاء أسرة والدخول إلى عـالم الراشـدين أين يحمل على

[1]. محمد مهدي القصاص، نفس المرجع السابق. ص.39.

[2]. F.Sorokin, and C.Zimmerman, and C.&Gaplin: Asystematic. Source BooK in rural sociologie, University of Minnesota Press,1931, Vol2, p.31.)؛ نقلا عن: عبد القادر القصير، نفس المرجع السابق، ص.60.

[3]. Kaufmann J-C، نفس المرجع، ص. 63؛ نفل عن: (T.Rapoport, S.T.Barnett, Youth conception of life-cycle stages, Human relation, Vol.39, n°9,1986.)

عاتقه مسؤوليات أخرى ضمن أوضاع و أدوار مختلفة وهنا تبدأ دورة حياة الأسرة،[1] وكما تُبنى يمكن أن يعاد بناؤها.

أ. الشخصية الفردية وإعادة بناء الأسرة:

يشير F.de singly أنّه: "أمام النجاح المهني يقابله أيضا النجاح ضمن المجال العائلي بعد الزواج حيث يستوجب بذل جهد للاندماج الأسري، وهذا خاصّة بالنسبة للنساء[2] أين "يتم تدريجيا تقييم النظام واختبار القرين وفي نفس الوقت اختبار الشخصية الذاتية وإعادة بنائها، فالشخصية تُبنى في مرحلة الشباب وطوال مراحل عملية التنشئة الاجتماعية، والذات التي تتغير يوم بعد يوم في ديناميكية العلاقات ستتطور نحو مسار مختلف داخل إطار التفاعل مع الآخر"[3] حيث يتم اتخاذ القرارات الفردية بموجب قدرة الفرد على مواجهة الواقع فقد يعيد بناء العلاقة الزوجية أو يهدمها.

يوضّح Kaufmann أنّ:"العلاقة الزوجية تُبنى كما يتمناها ويتصوّرها الفرد أن تكون وليس بموجب أنّه خُلق لهذه العلاقة، ولهذا يقوم الفرد ويواجه الأوضاع التي تخالف معتقداته الفكرية أين سيتّخذ القرارات الفردية، فمرحلة الشباب ليس مرحلة تغيير الأدوار فحسب وإنما هي مرتبطة بالقرارات الناضجة التي يتخذها مقابل موقف معيّن وهي مرحلة إعادة إنشاء الذات... تؤهّل الفرد إلى تخطيط مستقبل نابع من اختياره الشخصي[4]

وإعادة بناء الأسرة الزوجية لا تتمّ إلا بالفصل في العلاقات التفاعلية ووضع الحدود، وهو قرار صادر من الفرد حيث يصبح راشدا وواعي بظروفه الاجتماعية والعائلية. مما يتبيّن أن "الفاعلين الاجتماعيين كائنات واعية قادرة على تغيير بيئتها الاجتماعية وإعادة تشكيلها، فالبناء الاجتماعي والإبداع الإنساني ليسا منفصلين بل مترابطان ترابطا جدليا على حد رأي

---

1. Kaufmann J-C., sociologie du couple، مرجع سبق لنا ذكره، ص.ص.62-65

2. Kaufmann J-C، نفس المرجع، ص. 63؛ نقلا عن: (F.de singly, Fortune et infortune de la femme marié (Paris, PUF, 1987 ; J-C.Kaufmann, La femme seule et la prince charmant, Paris, Nathan, 1999.

3. Kaufmann J-C، نفس المرجع ، ص.ص.63-64

4. Kaufmann J-C، نفس المرجع ، ص.ص.63-64

ماركس وميد؛ بمعنى أن الناس يتفاعلون مع البيئة الاجتماعية ويمكن لكليهما أن يغيّر في الآخر"[1]

نشير أنّ مستقبل دورة الحياة الزوجية ودورة حياة الفرد كما يمكنها أن تخضع لسلطة الأسرة يمكن أن تصبح تحت سلطة الفرد إذ يعتبر هذا الأخير فاعل اجتماعي يعمل على التغيير أين كوّن شخصية مستقلة منحته القوّة والكفاءة لمواجهة واقع الحياة واتخاذ القرارات الفردية في توجيه المستقبل.

- **التغيرات العامّة وأثرها على الفرد:**

الشخصية المستقلة برزت بقوّة مع موجة التحوّلات التي عمّت المجال العام وأثّرت بالضرورة على المجال الخاص. الدولة تدريجيا كوّنت سيرورة الفردانية من خلال دعمها لأفراد المجتمع حيث ولّدت اديولوجية التعليم ووفّرت مناصب الشغل غيّرت بذلك في أسلوب التفاعل بين أجزاء النسق العائلي(*)

وإلى جانب الظروف المهنية المدعّمة من المجال العام تمّ كذلك تسهيل السكنات الاجتماعية المتنوّعة والتي تناسب قدرة الفرد الشرائية منها AADL (وكالة "عدل"، الوكالة الوطنية لتحسين السكن وتطويره) وLSP (سكن اجتماعي تساهمي)... وغيرها من البرامج الوظيفية زرعت بذرة البحث عن "الأنـــا" الحرّة كما سمـاها "J.Josso" الطريق نحو الأنـا « le chemin vers soi »[2].

---

[1]. مصطفى خلف عبد الجواد، قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، القاهرة، 2002. ص.23.

*. **الحريات الأساسية و حقوق الإنسان و المواطن**

المادة 39 : تضمن الدولة الحريات الأساسية وحقوق الإنسان والمواطنين. كل المواطنين متساوون في الحقوق والواجبات. يلغى كل تمييز قائم على أحكام مسبقة تتعلق بالجنس أو العرق أو الحرفة.

المادة 65 : الأسرة هي الخلية الأساسية للمجتمع، وتحظى بحماية الدولــة والمجتمع. تحمي الدولة الأمومة، والطفولة، والشبيبة، والشيخوخة، بواسطة سياسة ومؤسسات ملائمة.

المادة 66 : *لكل مواطن الحق في التعلم. *التعليم مجاني وهو إجباري .... *تضمن الدولة التطبيق المتساوي لحق التعليم. *تنظم الدولة التعليم. *تــسـهر الـدولة علـى أن تكــون أبواب التعليم والتكوين المهني والثقافة مفتوحة بالتساوي أمام الجميع. **رابط النصّ**: http://www.conseil-constitutionnel.dz

[2]. KELLERHALS Jean, Widmer Eric, Levy René, mesure et démesure du couple :cohésion, crise de résilience dans la vie des couples, payot § rivages,2004.)، ص.17

كما نخصّ بالذكر -نودّ الإشارة إليه على سبيل نفس السياق- أن التدعيم السكني كان سابقا لا يُمنح إلاّ للفرد له عقد مدنّي مصرّحا بوجود علاقة زوجية تسمح ببناء أسرة مستقلّة، وحاليا تغيّرت الظروف وأصبح السكن حقّ من حقوق أي فرد راشد قانونيا وله ظروف مهنية رسمية تؤهّله لبناء أسرة وتحقيق سكن مستقل. فالتسهيلات المادية والسكنية تنتج طريق نحو سيرورة بناء الفرد وتكوين أسرة نووية (♦)

مما يثبت بوجود علاقة محكمة بين المجال العام والخاص فالتطورات والتغيرات لها علاقة بالبنية الكلية للمجتمع أين الأنساق الاجتماعية مرتبطة فيما بينها في علاقة يؤثّر كل منهم على الآخر، و"الفرد بتفتّحه على المحيط سيكوّن هوية خاصيّة فردية مقابل هوية اجتماعية".[1]

♦. **Cnep تمول شراء الشباب للسكنات الجاهزة بنسبة 100 بالمائة**

قرر الصندوق الوطني للتوفير والاحتياط تمويل الشباب لتأجير الشقق الجاهزة بالإضافة إلى تمديد آجال تسديد القروض إلى 40 سنة كاملة بدل 30 عاما. فضلا عن إعفاء الشباب من دفع المساهمة الشخصية التي كانت تفرض عليهم والتي تقدر ب 20 بالمائة حيث سيتمول من الآن فصاعدا الصندوق عملية شراء السكنات بنسبة 100 بالمائة لترفع بذلك آخر العراقيل التي كانت تقف أمام الشباب الراغبين في الحصول على السكنات الجاهزة. كما كشف الرئيس المدير العام للصندوق الوطني للتوفير والاحتياط (...) أن البنك قرر تمكين الشباب الذين يرغبون في إيجار شقق جاهزة من خواص قصد السكن من الحصول على قروض خاصة بهذه العملية لمدة عامين (...) وهي المرة الأولى منذ الاستقلال التي يلجأ فيها الصندوق الوطني للتوفير والاحتياط إلى إصدار هذا المنتوج الموجه أساسا إلى الفئات الواسعة من الشباب قصد تمكينهم من الحصول على سكنات بواسطة قروض مسهلة(...)

ع. محمد - نُشر في النهار الجديد يوم 09 - 02 - 2008

- نشير أنه، طوال فترة الستينيات إلى غاية الثمانينيات كان الأبناء بعد الزواج مجبرين لمتابعة العيش في مسكن موحّد مع الوالدين لعدم توفر السكنات الاجتماعية، وهذا ما يؤدي إلى التركيز على الأسرة الممتدة. **(عدي الهواري ، مرجع سبق ذكره، ص.26)**

1. **أنظر**: François de singly (2002)، سبق لنا ذكره.

الفصل الثاني

التغيرات الاجتماعية وأثرها على الأسرة الجزائرية

تمهيد

في نطاق دراسة العلاقات الزواجية الراهنة في نظام الأسرة لاحظنا العلاقة المحكمة بين المجال العام والخاص، فوجدنا أن ظاهرة التغيّرات الاجتماعية الاقتصادية والتربوية أثّرت على البعد الثقافي للعائلة، حيث ولّدت هذه التغيرات مجال مختلط بين الجنسين وبين مختلف الأصول العرقية الجزائرية، وسّعت الأسرة بذلك مجال التعارف وتفتّحت على المحيط أدّت إلى إعادة التفكير في علاقات الزواج، وخاصّة مع بروز الفرد كفاعل اجتماعي يسعى إلى تحقيق الاستقلالية الذاتية مع انتشار ظاهرة التعليم والتعلّم لكلا الجنسين.

I. مراحل تطوّر المجتمع الجزائري

يرى الكاتب عدي الهواري أنّ: "المجتمع الجزائري مرّ بتغيرات (changement) وفترات إنتقالية (mutation) عبر الزمن التاريخي، فالتغير يعني التطوّرات والتعديلات التي تعاقبت عبر الأجيال أما الانتقالية فتعتبر القطيعة والتبدّل المفاجئ والغير متوقّع، فنعتبرها تغيّر سريع... والتغيرات التي شهدها المجتمع الجزائري هي تغيرات سريعة فجائية... حيث الانقلابات الاجتماعية والاقتصادية، خلّفت الهجرة الريفية[1].

ويضيف مُشيرا أنّ: "المجتمع الجزائري كان يغلب علية الطابع الريفي والقبلي التقليدي إلى أن وصل إلى التفكّك في اليوم الذي انتهج فيه الاستعمار الفرنسي سياسة التفكيك الاقتصادي والاجتماعي فاستولى على أراضي الفلاحين،[2] ويؤكّد بورديو في نفس السياق أنّه: "مع بداية حرب التحرير الوطنية، نتج عنه أكبر التفكّكات الاجتماعية من خلال إقتلاع السكان الريفيين من أراضيهم... نشأت أشكال جديدة من الألفة الاجتماعية الناجمة عن أوضاع النزوح"[3]

---

[1]. عدي الهواري، مرجع سبق لنا ذكره، ص.18.

أنظر كذلك في نفس المضمون: (BOUTEFNOUCHENT Mustapha, la famille Algérienne : Quelle (modèle ?, revue : changement familiaux, changement sociaux,2006, N°2 Alger.

[2]. (عدي الهواري، "الاستعمار الفرنسي، وسياسة التفكيك الاقتصادي والاجتماعي"(1830-1960)، تر:جوزف عبد الله، بيروت، دار الحداثة 1983.)؛ نقلا عن: مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الانثروبولوجيا، ذكرت سابقا، ص.ص.25-28.

[3]. (pièrre Bourdieu et Abdelmalek Sayad, Le déracinement : la crise de l'Agréculture traditionnelle en Algérie, Paris, Minuit,1964.)؛ نقلا عن: مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الانثروبولوجيا، ذكرت سابقا، ص.ص.28-32.

وإلى غاية فترة ما بعد الاستقلال عرفت الجزائر أول ظاهرة تطوّرية. أرادت الدولة أن تعصرن البلاد عن طريق التصنيع وهو نمط جديد للإنتاج بعدما كانت الجزائر مجتمع زراعي بحث.

ولكن تطلبت خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية طلبا متناميا على النخبة المتعلّمة، فقامت بإعداد مشاريع تربوية تتجلّى في إنشاء المدارس والمعاهد؛ "عملت بذلك الدولة على توسيع التعليم ليشمل جميع الأطوار: الابتدائي، المتوسط، الثانوي والجامعي مع انتهاج سياسة ديمقراطية التعليم ومجانيته، فعَقَب ذلك انتشار التعليم الحكومي وتولّد شيوع الحراك الاجتماعي، المهني والجغرافي وانعكست جهود الدولة على تطوير معدل التمدرس:[4]

جدول يوضح تطور معدل التمدرس للفئة العمرية :6-14 سنة

عبر مختلف التعددات الوطنية

السنوات	ذكور	إناث	اجمالي
1966	56,80	39,60	47,20
1977	80,80	59,60	70,40
1987	87,75	71,56	79,86
1998	85,28	80,73	83,05

المصدر :الديوان الوطني للإحصاءات، مختلف التعدادات.

ما حاز انتباهنا في هذا الجدول ارتفاع نسبة تمدرس الفتيات على سنوات متتالية -في الفترة الممتدّة بين السيتينات والتسعينات- إلى أن تقاربت مع الفئة الذكورية، ومما لا ريب فيه أنّ التفوّق الدراسي للبنات سيولّد تفوّق مهني أيضا لهنّ في السنوات الموالية، وهذا ما

---

[4]. (الطاهر زرهوني، التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال، الجزائر، موفوم للنشر، 1994.)؛ نقلا عن: مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الانثروبولوجيا، ص.ص.34-35.

للمزيد من المعلومات حول التغيرات التي أصابت المستوى الثقافي ومستوى التعليم، **أنظر كذلك**: عبد القادر جغلول: تاريخ الجزائر الحديث:دراسة سوسيولوجية، دار الحداثة: لبنان، بيروت، بالتعاون مع المطبوعات الجامعية بالجزائر، الطبعة الثالثة، 1983.

وأنظر كذلك: مسعود كواتي، تاريخ الجزائر المعاصرة: وقائع ورؤى،دار هومة، الجزائر، 2011. يوضح سيرورة انتشار التعليم ابتداءا من 1932. مبرزا أن التعليم في بدايته لم يكن منتشر إلا ما كان بارزا في بعض الجمعيات والنوادي مثل نادي الإرشاد والنهضة في الربع الأول من القرن العشرين على يد مجموعة من الرجال شاركوا في بث الفكر الإصلاحي...

يفتح المجال نحو التعرّف على الجنس الآخر بعدما كان المجال العائلي يعمل على الضبط الاجتماعي للاختلاط الجنسي.

فإذن كوّنت الدولة الجزائرية قاعدة اقتصادية استطاعت أن تنهض عليه الأبنية الفوقية المكوّنة للنسق الاجتماعي، والأسرة هي بنية أوّلية وخلية أساسية ضمن المجتمع تتأثّر بالأوضاع السوسيواقتصادية والسوسيوتربوية للمجتمع أين يصبح الفرد متفتّح على العالم الخارجي سينمّي وعية ويغيّر بالتالي اتجاهاته يتّخذ قراراته نحو مواقف عديدة يواجهها في المحيط العائلي، وهذا أهم ما يميز ظاهرة التغيير الاجتماعي والانتقال إلى مرحلة مختلفة أين المرأة أصبحت لها مكانة إجتماعية متميّزة ضمن النسق العائلي وخاصّة الزواجي.[5]

II. التغيرات الاجتماعية وعلاقتها بالمجال الخاص

تقوم العائلة بنقل معتقداتها الفكرية وثقافتها عبر الأجيال، ولكن قابلة للتغيير، حيث "يحثنــا كل من "آن موكسويل دوير" و"أنيك بيرشورون" على التمييز بين أربع مراحل زمنية مهمة هي:[6]

-التصلّب المستديم في الرأي الذي يميّز التوالد، مما يعمل على إبقاء التقاليد.

-التصلّب في الرأي الذي يظهر ويختفي بالتناوب.

-الرّفض الذي يدل على معارضة قاطعة.

-أخيرا هناك التجديد، أي نوايا التنشئة الاجتماعية التي أدخلت مؤخّرا.

1. التغير في التنشئة الاجتماعية:

أهم التغيرات التي مسّت المجال الخاص إعادة التفكير في الطريقة التنشئوية للأبناء حيث أنّ: "الأسرة أصبحت تهتمّ بتكوين "الشخصية الإنجازية" التي تتسم بالاستقلالية والضبط الذاتي، والثقة بالعلم، والعقلانية في السلوك والتفكير، والميل إلى الادخار والقدرة على التخطيط للمستقبل"[7]

فتعدّدت الأسرة أدوارها حيث: "لا تكون العائلة مسئولة عن تربية الأبناء وتنشئتهم وتقويم سلوكهم وزرع القيم الايجابية عندهم فحسب، بل تكون مسئولة أيضا عن تحصيلهم العلمي

---

[5]. **أنظر**: LACOSTE-DUJARDIN Camille، مرجع سبق ذكره، ص.317.

[6]. معجم مصطلحات علم الاجتماع،تأليف جيل فيريول، ترجمة وتقديم: أنسام محمد الأسعد، مراجعة و إشراف : بسام بركة، دار و مكتبة الهلال :بيروت، 2009. ص88.

[7]. عبد القادر القصير، مرجع سبق ذكره، ص.74.

بِحثّهم على اكتساب العلم والمعرفة... فمن أهم الوظائف التي تتميّز بها الأسرة حاليا تسجيل أبنائهم في المدارس عند بلوغهم السن القانونية للتعليم... فالعائلة تشارك في رسم مستقبل الابن وتحديد الهدف الذي ينبغي تحقيقه"[8]

في نفس الصدد نأتي ما جاء به De Singly مُشيرا أنّه: "ما يميّز الأسرة حاليا هو التفاعل المعقد بين وظيفتين، فالأولى هي عامّة وتتمثل في إعادة الإنتاج الاجتماعي تحت نظام تراتُبي بين الجيلين المتعاقبين، لأنّ المكانة التي يحتلها الأبناء ليست مستقلة عن الآباء، أما الثانية فتساهم في إنتاج الهوية الشخصية وتكوين الذات المستقلة؛ والمشكل المركزي هنا يتمثل في إمكانية التوفيق بين المحافظة على الوظيفة الأولى وفي نفس الوقت التفتح نحو الوظيفة الثانية حيث يحفّز الآباء أبناؤهم على الدراسة باعتبارها سلاح المستقبل فالرأسمال الدراسي حاليّا يعدّ جانبا مهمّا في تكوين الفرد"[9]

إنّ دور العائلة في بناء الهوية الفردية هو دور مركزي بما أن بناء الذات لا يتمّ إلا من خلال وجهات نظر المقرّبين وأوّلهم أعضاء الأسرة: "فالعائلة تعتبر مؤسسة ولكن في نفس الوقت هي مجال... تقوم ببنـــاء الهوية الذاتيـــة"؛[10] ونسطّر في نفس السيـــاق مـا قـــاله "TAYLOR Charles " (1996): "لا نتعلّم بمفردنا بلا شكّ، فيجب دائما المرور عبر شخص آخر لنتوصّل بكل سرية لـ"لأنا"[11]

وما برز بموجب التغيرات الاقتصادية والتربوية للمجال العام الطريقة التنشئوية المزدوجة للفتيات بين ماهو تقليدي أين تحافظ الأم على تقاليد العائلة وإعادة إنتاج النظام التربوي لدور المرأة حيث تعدّ الفتاة لمرحلة الزواج،[12] وما هو عصري أين تحتك بالمحيط الخارجي وتحقّق ذاتها في مجتمع متغيّر حيث تلقى دعم إيجابي من **الأب** الذي يبرز كفاعل اجتماعي يعطي لمسة تنشئوية جديدة للابنة. "العلاقة أب/بنات ستقوم بتغيير الأدوار التقليدية

---

[8]. احسان محمد الحسن، (1981)، مرجع سبق ذكره، ص.ص. 289-290

[9]. **أنظر:** .De Singly François، (2002)، مرجع ذكر سابقا. ص.1

[10]. (Laurant les Nard, La famille désarticulée les nouvelles contrainte de l'emploi du temps, collection: le lien sociale, PUF,2009.)،ص. 27-28

[11]. De Singly François (2002)، نفس المرجع. ص3

أنظر كذالك للمزيد من المعلومات حول التغيرات التي أدت للإستقلالية الذاتية وخاصّة للمراة العربية: هشام شرابي، النظام الأبوي اشكالية تخلف المجتمع العربي، نقله إلى العربية محمود شريح، مركز دراسات الوحدة العربية :بيروت-لبنان،ط1، 1992 ،ط2 : 1993 نشر في الأصل بالانجليزية عام.1988

[12]. **أنظر**: .LACOSTE-DUJARDIN Camille، مرجع سالف الذكر.

للمرأة"[13] يساعدها على الاتجاه نحو بناء فردية مستقلّة غير تابعة للزوج وأسرته، مما "أصبح الصكّ الدراسي من المواضيع التي لا يمكن النقاش فيها ومن الشروط الضرورية في جهاز العروس (Trousseau)"[14]

تقول "سكينة"[15]: "*فيما يخصّ الأم... تعلّمنا منها الطبخ والأعمال المنزلية، ولكن أبي، هو من كان يوّجه التحذيرات...المستقبلية... كان دائما يقول لنا الدرّاسة والعمل سلاحكم...*".

حاليا المرأة الجزائرية اتجهت نحو مخطط آخر، بعد ما حقّقت ذاتها واستقلاليتها المادية وكوّنت بذلك شخصية قوية تستطيع أن تواجه بها المواقف العائلية التي تناقض اتجاهاتها.

في نفس السياق يخبرنا CAMILERI أنّ: "بعدما كانت الفتاة في فترة تُحجب عن العالم الخارجي، أصبحت الفتاة بعد التغيرات الاجتماعية متطلّعة على العالم، وسّعت نظرتها معارضة المجال التقليدي، فتفتّحت على المحيط أين اكتشفت الواقع أرادت بذلك تغيير شخصيتها"[16] إلى حدّ كسر أبواب الجامعات من بعيد أو من قريب أين الحراك الجغرافي كان له أثر بالغ في توسيع شبكة التعارف بين مختلف الأعراق الاثنية الجزائرية تؤهّل إلى التعرّف على الآخر، مما يسمح بالاختيار لقرناء الأزواج وإعادة التفكير في العلاقات الزواجية .

2. أثر عوامل التغيير على العلاقات الزواجية:

1.2. <u>الأسرة متمسكة بخلفية ثقافية:</u>

يحكي "محمد"[17] :"*..أول عادة بمواضيع الخطبة في نظام الزواج، كانت المفاهمة تتم بين الرجال وبعدها أصبحت بيد النساء، فمثلا الملاقاة في الحمام والأعراس... كان الرجال والنساء لا يختلطان، والكبير هو الذي يتّخذ القرار... كان الصغير عندما يقف أمام الكبير يسكت ويخفض رأسه*"

---

[13]. أنظر: LACOSTE-DUJARDIN Camille.، مرجع سالف الذكر. ص.324

[14]. أنظر، مقال: « La crise du mariage en Algérie » , Faouzi **Adel**، ص.ص.59-77 . **<u>رابط النصّ</u>**:

http://insaniyat.revues.org

[15]. **<u>المبحوثة رقم2</u>**: الفصل الميداني: الحالة الثانية

[16]. CAMILERI C . ، مرجع سبق لنا ذكره، ص.59

[17]. من مواليد 1949، مكان الإقامة تلمسان، أصله من تلمسان، المستوى الدراسي: ثالثة ثانوي، الحالة الاجتماعية: حرفيّ.

نستلهم من هذا الحديث أن العائلة كانت قائمة على نوع من تقسيم الفضاءات والمجالات الخاصّة بالرجال والنساء حيث أنّ انتقاء الفتاة للزواج كان تحت سلطة نفس الجنس، قد تكون أم الفتى أو أحد النسوة المتخصّصة في مجال الاختيار إلى حدّ التدخّل في المضمون الجنسي حيث تدقّق في الجانب الفسيولوجي للمرأة[18] لها تجربة في أمور الزواج تعمل على اختيار العروس بجدارة لابن العائلة فتُعتبر همزة وصل بين العوائل من بعيد أو من قريب ضمن نفس المنطقة الجغرافية (♣)

وعلى إثر بروز ظاهرة التصنيع وما عقب من حراك جغرافي ونزوح ريفي تغيّرت مضمون العلاقات الزواجية حيث برز الزواج الخارجي. أشار "Kouaouci" إلى مضمون الزواج الداخلي في الجزائر عام **1987** موضّحا أنه في انخفاض مستمر، حيث بلغ **40%** مقارنة مع الزواج خارج النظام القرابي الذي بلغ نسبة **60%**.[19] مما يُثبت أن الزواج الخارجي يفوق خمسين بالمائة، يتّضح لنا أنّ التعارف والاختيار للشريك يتم خارج نظام كان يوما سائدا ضمن العـــائلة، قبل خــروج المـرأة للتعليم والعمل.

ولكن لا يُعدّ حتميّا عند كل العوائل، نشير أنّه باختلاط الأجناس الجزائرية واندماجها ضمن نفس المساحة الأيكولوجية، تبلورت المفاهيم الطبقية العرقية والإثنية فـ"المجتمع الجزائري في العهد الاستعماري هو مجتمع من "الخلايا الاثنية" تعيش على نفسها ولم يكن المجتمع منقسما بعد إلى طبقات"[20](*) إلى أن أصبح كذلك وبدأت الخلافات تتبدى في مضمون العلاقات الأسرية الزواجية أين يقع الشقاق بين الإيجاب والقبول في علاقات الزواج حيث

---

[18]. **انظر**: (ADDI Lahouari, (1994).- Les mutation de la société Algérienne : famille et lien sociale (dans l'algérie contemporaine, OPU, Alger

♣ . يحكي "محمد" هو من مواليد 1949، إذ يبرز لنا طريقة زواجه: "..أنا ما خْطَبْتش خَطْبُولي، عندما قالت (الأم) خاصّك تتزَّوج، قُلت لهم شُوفوا. "مّا" رأت في الأوّل بنت عمّتها... ثم بعد ذلك أينما تذهب يُوقع مشكل... حتى في يوم "خالتي" قالت الآن سَنَرى "فُلانة" هذه جارة لخالتي "Professionnel" في هذه الأمور هي زوّجت ابن خالتي وكثير من الناس، كانت تعرف كيف تتكلّم... !"

[19]. **راجع:** جداول إحصائية تفصيلية لزواج الأقارب بين الزوجين في الجزائر والدول المجاورة (تونس والمغرب الأقصى): (KOUAOUCI Ali, Famille – Femme et contraception : contribution à une sociologie de la famille algérienne, CENEAP, FNUAP , Alger, 1992.)، ص.ص. 117-118،

[20]. عبد القادر جغلول: تاريخ الجزائر الحديث:دراسة سوسيولوجية، دار الحداثة:لبنان، بيروت، بالتعاون مع المطبوعات الجامعية بالجزائر، الطبعة الثالثة، 1983. ص.26-29.

*. يوضح عبد القادر جغلول، في نفس المرجع، ص.ص.26-29 ، أن الاثنية هي: "حشد من العائلات في محيط جغرافي... ترتكز الوحدة منها على بنية عائلية، اقتصادية واجتماعية مشتركة، وعلى ثقافة مشتركة أيضا.

بعض المناطق الجزائرية لا تزال محافظة على الوشائج الأسرية وبالتالي المحافظة على الشخصية الإثنية(♦) رافضة الزواج الخارجي رغم التغيرات الاجتماعية التي اقتحمت المجتمع الجزائري.

يحكي "محمد" : "...*الوقت تع دروك يْتلاقاها برّا ويْتفاهموا بينهم ويقول لك خْطَبْلي، شْكُون (من) هـاذي البنت؟، شكون بّاها؟ وشكـــون مّاها؟ دار من؟ كيف تـــروح تخطب؟*" فلا بدّ من البحث عن تفاصيل الأصل العائلي يصل الحدّ إلى التنقيب في جذور العائلية، كما يشترط الأخذ بعين الاعتبار هوية انتماء الأم أو حتّى الجدّة –إذا تطلّب الأمر- للفتى أو الفتاة المقبلان على الزواج فيستوجب عليها أن تنتمي إلى نفس السلالة العرقية، بحكم أنّ المرأة تعيد إنتاج المضمون الثقافي عبر الأجيال.

تحكي لنا المبحوثة "شريفة"[21] : "... *تعصّبت الأم... لوضع الزوج الاجتماعي... أمي من أسرة عريقة جدا –بوهران-... تهتم بالجانب المادي ... والأصل أو النسب...*"

مما يثبت أنّ الأسرة الجزائرية بقيت محافظة على معتقداتها القرابية ونظام الزواج، متمسّكة بأواصر الحَسب والنَّسب والقرابة، خاصّة عند العوائل الكبرى ذو الشخصية الإثنية التي تتميّز بالتبذّخ الطبقي والمستوى الاقتصادي المرموق، تشعر العائلة بلزوم إعادة الإنتاج الثقافي أو الاقتصادي فتقوم بعملية الضبط الاجتماعي للعلاقات الزواجية مع توسّع علاقات التعارف، ويبقى قرار الزواج بإشرافها.(♣)

♦. .Devreux G يوضّح مفهوم **"الشخصية الاثنية"** كنسق من المفاهيم والمصطلحات الملموسة تكون متشعّبة ضمن جماعة عرقية معيّنة. و تظهر بدقّة في السلوك. ومن جهة أخرى "الهوية الثقافية" تحمل نوع من المعايير والاتجاهات والسلوكات تكوّن نوع من النمط المثالي للشخصية. **رسالة أ.فسيان، سبق لنا ذكر عنوان المذكره، ص.ص.110-116**.

[21]. المبحوثة رقم 1: الفصل الميداني: الحالة الأولى

♣. "لطيف"، من مواليد 1971 بوهران و من أصل تلمساني يحكي في حوار معه متسائلة عن طريقة زواجه ولو باختصار، فلم يرفُض وبدأ يحكي:« كنت أعمل "موزّع صيدلاني للأدوية" في بشّار مع واحدة من الفتيات في نفس السيّارة، ومن كثرة التعامل معها في ميدان العمل يمكن أن أقول تربّت نوع من الألفة بيننا "والَفتها"... وعندما أردت التقدم للخطبة خبّرت "مّا"، **"مَا" لم تقبلها لأنها ليست تلمسانية**، هي من "ولاد الميمون"، عييت نقنع فيها،...**ذهبت حتى عند خالتي للتتكلّم معها ولكن دون جدوى، حتى هي حاولت اقناعي لأنسى الأمر**... و قالت لي أنها تعرف واحدة في تلمسان وناس ملاح،...فإذن في 7أيام بين لّي شفتها وخطبتها، تم الزواج عام 2004...المكتوب !! »

اختيار الشريك له معايير دقيقة على الفرد والأسرة عامة التقيد بها على حدّ السواء حيث يشعر الفرد بالنرجسية للهوية الاثنية[22]

يشير "ليفي ستراوس" في نفس السياق أنّ الزواج الداخلي يهدف إلى تأمين صفاء ونقاء الخط العائلي... سوق الزواج لا يعتمد فقط على ظروف الشخص المادية والدراسية ولكن نبحث في تفاصيل تنشئته العائلية والمشرّعة من خلال الاسم العائلي وحسبها ونسبها... وكذلك الرأس مال الاجتماعي، كل هذه المحدّدات تؤدي إلى مجال صراع بين أعضاء الأسرة في موضوع الزواج فهو موضوع عائلي وليس شخصي،[23] وفي الواقع "الاختيار للزواج لا يتحدد برغبات الشخص فقط بل وفق معايير المجتمع أيضا، حيث تتحدّد مرغبات الاختيار"[24] تحت سلطة الأسرة.

2.2. <u>الأسرة مواكبة للتغيرات:</u>

الأسرة قد تخلق ضوابط مغايرة تتناسب مع المستجدات فتبحث عن التجانس في المعتقدات الفكرية الاجتماعية الثقافية للعائلة.

في هذا الصّدد نقدّم حكي "راضية"[25] في حوار معها تحكي عن العلاقة بين ابنها وأحد الفتيات التي تعرّف بها، فتقول: "ولدي من مواليد 1985 تعرّف بإحدى الفتيات... هي من منطقة "تُنَس" **داخلية في الجامعة**. دامت العلاقة بينهما لمدّة ثلاث سنوات، كان يحكي لي عليها –عاقلة، بنت ناس...- في الحقيقة عندما قال لي أنّها من "تنس" أمسكت رأسي !؟ لا أعرف هذه البلاد ولا يوما سمعت عليها، وبدأت أتخيّل كيف هي الفتاة؛ قال لي: "روح غيل شوف، وإذا مَعَجْبَاتَكْش لا بأس"، وهذا لّي صار. فإذن أعجبتني– تقولها بانبهار وتعطي مواصفات الأسرة والفتاة- عندها لباقة في الكلام، والديها يَعَّرْفوا

---

[22]. **<u>أنظر</u>**: رسالة الدكتوراه للأستاذ فسيان حسين، ذُكرت مسبّقا، ص.ص. 103-106. يفسّر لنا أنّ: "الهوية الفردية والهوية الجماعية لا يمكن التفرقة بينهما، فالفرد يمتلك نسق إيديولوجي يستمده من الجماعة المنتمي إليها والتي تحمل ثقافة خاصّة يكوّن من خلالها هوية الانتماء حيث يقول دوركايم إذا تكلّم الضمير فينا فإن الجماعة هي التي تتكلّم. لا يمكن تصوّر الفرد خارج نطاق الجماعة فكل التمثلات والأفكار والمعتقدات التي كوّنها على موضوع معيّن اكتسبه في قلب الانتماء الثقافي الجماعي... مفهوم الهوية استعمل لأوّل مرّة في المجال السيكولوجي من طرف فرويد بهدف توضيح كيف أن الهوية الجماعية تعمل على خلق النرجسية أو حبّ الذات، حيث يحلل الذات الفردية تحت سيكولوجية الجماعة، فيدوّن: "التصوّر المثالي للذات يساعدنا أو يؤهلنا إلى فهم سيكولوجية الجماعة التي ينتمي إليها الفرد، فالمثالية لها جانب اجتماعي مشترك بين أفراد العائلة أو طبقة أو أمّة بأكملها."

[23]. « La crise du mariage en Algérie » , Faouzi **Adel** ، **سابق الذكر**. ص.ص. 59-77

[24]. (سامية حسن الساعاتي:"الاختيار للزواج، والتغير الأسري" دار النجاح، بيروت، 1973. ص.ص.15-27)؛ نقلا عن: عبد القادر القصير، مرجع سبق ذكره، ص.122-123.

[25]. من موالد 1959 من "تلمسان"، المستوى الدراسي: ثالثة متوسط، الحالة الاجتماعية: متقاعدة

للهمّة... وزيد رحّبوا بنا... وعندما سألنا عليهم وجدنا أنها أسرة عريقة جدّا، معروفين في المنطقة، وكما أنّنا وجدنا أصل جدّتها من تلمسان... فالحقيقة قلبي هواها..."

من الملاحظ في هذا الحديث أن ثقافة الأسرة قابلة للتغيّر تحت معايير جديدة تتناسب مع الظروف الحالية التي اقتحمت المجال الخاص. فإسم العائلة -مثلا- لم يعد يتناسب مع نفس الفئة الإثنية، بل بات من المعايير الجديدة التي تتناسب مع الجماعة الاجتماعية لهوية الانتماء الاثني، إلى جانب ملاحظة العلاقات الرسمية الموحية برفعة الأسرة ومكانتها الاجتماعية الراقية تحت مفهوم سوسيولوجي "الهمّة" و"طريقة الإستقبال".

وبالتالي يمكن القول أنّ التغيرات الاجتماعية ولّدت الاحتكاك مع الأقطاب المجاورة والتفاعل معها، أين برزت الاختلافات في المعتقدات بين العوائل فكلّ يقيّم موضوع الاختيار والبناء الأسري على حسب معتقداته الخاصّة في مجتمع متغيّر. فمن بقي محافظ ومن تخلى عن معاييره بصفة أخرى وبمضمون آخر.

الأسرة الجزائرية من جهة لا تزال خاضعة لخلفية ثقافية للقيم والمعتقدات القائمة على العرف التقليدي أين اختيار الشريك لا زال قائما تحت سلطة العائلة وعلى الفرد الخضوع لقرار الرأي الأسري، وفي نفس الوقت اكتسبت ثقافة جديدة محاولة الاندماج في عالم جديد، حيث الفرد فُوّض له حرية التعارف ولكن من جهة أخرى نُزعت منه حرية الاختيار واتخاذ القرار والتهيؤ للزواج، فالشبكة القيادية تضبط هذا الاختيار بمعايير خاصة تناسب مصلحة الجماعة أو ترفض الاختيار الفردي على أنه غير موائم للمعتقدات والقيم الثقافية للعائلة.

عدي الهواري أشار في نفس السياق أنّ: "الأسرة الجزائرية لا تحمل نظام اجتماعي صرف ومطلق بل تدمج النظام التقليدي بالنظام الحالي المواكب لمستجدات الحياة؛ فإنّ العائلة الجزائرية تحمل تناقض: من جهة قيم العائلة التقليدية لا تزال قائمة في العقل الجمعي، ومن جهة أخرى الفترة الانتقالية ولّدت أشكال أخرى من الألفة والمخالطة (sociabilité)"[26] هذا ما يؤهلنا أن نستنتج بوجود عوائل تختلف في القيم والمعتقادات الثقافية الممزوجة بين التقليد والحداثة.

ومن أبرز ما يميز هذه الازدواجية علاقة الزوجين بأسرتيهما الأصلية: إنّ العلاقات الأسرية لازالت تحمل معتقدات وقيم تقليدية أين العلاقات الأسرية لا زالت ممتدّة في

[26]. عدي الهواري، مرجع سبق ذكره، ص.47.

مضمونها رغم بروز الأسرة النووية، وهذا ما أشار إليه المبحوث "صابر"[27] في حواره موضّحا الرابط القوي بينه وبين أسرته الأصلية رغم الاستقلالية السكنية، مبرزا كذلك قداسة الزوجة لوالديها.

3.2. **الأسرة النووية والواقع الاجتماعي: برزت الأسرة النووية ببروز فردية المرأة**

توضّح Martin Segalen أنّ: "التقلّص العائلي له علاقة بالوسط الاجتماعي من قرية مرورا بالمدينة إلى الدّولة أين تتطوّر العائلة تدريجيا، من شكل جمعي إلى أن تؤسّس فرديا... فالعائلة تأخذ شكل آخر لأن الظروف هي أخرى[28]

الأسرة النووية وليدة المجتمع الصناعي أكّد عليه معظم الباحثين الاجتماعيين، وهذا مالا نستطيع نكرانه؛ ولكن التوصّل إلى إنشائها من الأمور العويصة أمام الفكر العائلي الذي لا يزال محافظ على القيم التي تضمن النظام التقليدي

إنّ المجتمع العصري منح للفرد القدرة على كسب إمكانيات مادية كافية لبناء سكن أبوي يجمع أسر نووية تحت سقف واحد، مما يدعو إلى الاحتفاظ بالروابط الأسرية التقليدية حيث أنّ الأسرة الممتدة تحمل شكلا مختلفا إذ تُبقي العلاقة الزوجية تحت الضبط الاجتماعي.

ولكن، رغم هذا إلاّ أن الاستقلالية الزوجية ضمن نفس السكن الأبوي ليست من الأمور المتقبّلة بسهولة بعد الزواج مباشرة، إذ يستوجب على الكنّة المرور بفترة تربّصيّة في علاقتها التقليدية مع الحماة، مُحاوِلة هذه الأخيرة ممارسة السلطة نحو كنّتها ولا تجرأ على عَتقها، مُشيرة سكينة: *" ..لم أتحمّل... طلبت إلاّ أن أصعد إلى الطابق الثاني ليس إلاّ ... قلت لأمه، ...لم ترضى انزعجت..."*

إنّ الظروف العامّة أفرزت توترات بين امرأتين فالعلاقة التقليدية بين الحماة والكنّة لا يمكنها الاستمرار أين اختلفت المعتقدات الفكرية بين امرأة تقليدية وأخرى عصرية ليس لهما نفس الرّيتم للحياة اليومية، مما تجد الزوجة نفسها مجابهة للواقع ومواجهة لضغوطات العائلة طالبة التغيير في مرفولوجية الأسرة إلى أسرة زوجية أو نووية.

وهذا ما استقيناه من الدراسة الميدانية: وجدنا أنّ الزوجات قد جابهت لتكوين أسرة نووية بعد جهود مضنية، تقول "سكينة": *" فإذن شهر يضمن شهر حتى... **قمت بمطبخي***

---

[27]. المبحوث رقم 4: الفصل الميداني، الحالة الرابعة

[28]. (Martin Segalen, sociologie de la famille,6ème Ed : Armand colin,2008.)، ص.19

لوحدي... *كان من اللازم مواجهتهم...* ***وأنا امرأة عاملة***". وتحكي "شريفة": "...**أنا موظفة وهم ماكثين بالبيت،** فليس من الممكن تقبل كل منا معايير الأخر ... أخذت ملابسي وأولادي وذهبت... إلى **منزلنا** الذي هو **مغلق بدون فائدة"**

وهنا تبرز قوّة المجتمع الصناعي الذي منح للمرأة استقلالية ذاتية وإحرازها على ممتلكات مادية خاصّة تستمدّ من خلالها قوّتها وتتجرأ في محاولة إعادة بناء الحياة الزوجية، مما يسمح لها بإبراز شخصيتها واتخاذ قرار التغيير فتدخل إلى شبكة الصراعات العائلية مع الزوج وأسرته.(♣)

"وليام جود" نبّه أن الأسرة الزوجية هي نتاج سيطرة الطابع الفردي في الأسرة النووية"[29] فالفرد الذي تتاح له فرصة متقدمة من التعليم ودرجة من التقدم الاقتصادي نتيجة على حصوله على دخل ثابت من عمله يصبح أكثر تحررا واستقلالا[30] حيث كانت المرأة هذا الفرد، مما يسمح لنا القول أن الأسرة يعاد بناؤها من طرف المرأة فتتشكّل الأسرة النووية وهذا إلاّ بعد ضمان الزوجة عائد مادي خاص يساعدها على الهروب من سطوة شبكة العلاقات الأسرية المعقّدة أين واقع الحياة الزوجية لا نتعرّف عليها إلاّ بعد الزواج والغوص في أعماق العلاقة الزواجية.

أمّا الطابع الفردي للرّجل فمرتبط بعلاقته مع الوالدين وخاصّة بالأم –وهذا ما سندرسه بالتفصيل في الفصل الثالث- فرغم استقلاليته المادية إلاّ أن سرّ العلاقة مع الأم ستبقيه دائما في وضع الرجل التابع والغير مستقل.

فإذن التقلّص العائلي له علاقة بجَدَارة المرأة وقدرتها على طلب التغيير في شكل الأسرة والخروج من الضوابط والضغوط التقليدية للأسرة الزواجية إلى حدّ أن أصبحت لا

♣. في نفس السياق نأتي بما أَقرّت به "صابرة" (عاملة بالقطاع العام، من مواليد 1977 من وهران، الأصل العائلي تيارت، متزوّجة ولها ثلاث أولاد. زوجها من مواليد 1966، أصله العائلي بشّار)، تحكي عن ظروفها الكاسحة في علاقتها مع اسرة الزوج، قائلة: "...لم أتحمّل ظروف الحياة مع أسرة الزوج، لم أستطع... قلت لزوجي أن نخرج من المنزل... لم يرضى وأكّد لي أنه لن يترك والديه، فيُريد البقاء معهما ما داما على قيد الحياة... فإذن **"ما لْقيت كي نْدير"**... ليس لديّ حل ولا يُمكنُني العودة إلى أهلي... **ولكن راني حَالْفة اليوم الذي يُعطوني فيه مفاتيح المنزل (AADL)، أُقسم أن آخذ أولادي وأتركه وأعيش مع أولادي**... أحبّ أم كَرِه... -المنزل مَكتوب على إسمي-...."

[29]. علياء شكري، الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة، دار المعرفة، لبنان، 1997.ص.126.

[30]. عبد القادر القصير، مرجع سبق ذكره. ص.83

تعتمد على العائلة وباتت تتكّل على المجال العام في كل الأحوال وعدم اللجوء إلى المساعدة الأسرية وخاصّة من أسرة الزوج.

3. **<u>التغير في وظائف الأسرة النووية</u>: ساعد الفرد على صقل شخصية ذاتية مستقلة**

يشير "روبرت مكايفر" عالم اجتماعي أمريكي من أشهر مؤلفاته "المجتمع" أن الأسرة الممتدّة كانت تعتمد كليا على نفسها في تقديم الوظائف المهمّة والتي تنقسم إلى قسمين أساسية وثانوية، فمن بين الوظائف الأساسية إنجاب الأطفال وتربيتهم، تنظيم العلاقات الجنسية بين أبناء المجتمع، أما الوظائف الثانوية منها تلبية الحاجات الاقتصادية والتربوية والثقافية والدينية... ومع التغيرات الاجتماعية للمجال العام بعد التّصنيع أصبحت الأسرة تختص إلاّ بأداء الوظائف الأساسية، أما الثانوية منها فتكفّلت بها الدولة[31] مما يسمح للفرد بتطوير معالمه وتكوين ذاته وصقل شخصية معتمدة على النفس غير تابعة للعائلة.

ومن أبرز المجالات لوظائف الدولة هو المجال التربوي وما برز من دور الحضانة التي انتشرت في السنوات الأخيرة، باتت المرأة تتكل على نفسها وعلى الدولة في الإعالة لدورها الاجتماعي.[32]

كما أن هذا المجال أنشأ أفراد واعيين لأن دور الأسرة التثقيفي ضيّق المعالم، إذ يخبرنا المبحوث "صابر" في نفس السياق: "*..الأسرة لا تعطيكِ كلّ شيء... فأنا طوّرت معالمي بالعلم... وحضور دورات تثقيفية -فعلى سبيل الذِّكر- الدين اكتسبناه... بمفهوم ضيّق*" فالمفاهيم الثقافية والدينية والعلمية اكتسبها باحتكاكه للمحيط الخارجي.

فإذن الفرد حاليا أصبح واعيا -أكثر فأكثر- بظروفه الاجتماعية العامّة والخاصّة مواكب للتطوّرات، كوّن بذلك شخصيّة صلِدة يستطيع من خلالها تجاوز الصعاب يعمل على مواجه الواقع، حيث درجة الوعي له الأثر البالغ في ظاهرة التغيير.

---

[31]. احسان محمد الحسن، نفس المرجع، ص.ص.70-.73

[32]. **<u>راجع:</u>** الفصل التحليلي للمقابلات الحالة الثانية.

4. الشخصية الفردية وأثرها على التغيير:

الفردانية هي في سيرورة النموّ لها القدرة على تغيير الأوضاع الاجتماعية، فالفرد يمكنه التغيير والتغيّر كما يمكنه التأثير والتأثّر، كما يمكنه أن يتعلّم أشياء خارج نطاق أسرته يؤدي إلى التغيير مواجها القيادة الأسرية فارضا عادات جديدة، وهذا ببلوغ قدرا من الوعي الذاتي.

"الثقافة ليست جامدة ولا محدّدة بل ندركها بالعقل في بعدها الرّمزي كما يقول Clifford Geertz: *هي شبكة من الرموز نسجت من طرف الإنسان.* فالعلاقات الاجتماعية حيكت من طرف تصورات جماعية اجتماعية ضابطة للمجتمع من خلال رموز، طقوس، قوانين، واتجاهات"[33] قابلة للتغيير. هذه الاتجاهات على حد تعبير"Ben" "..هي قبول أو رفض، فيُمثِّل مدى انجذابنا للشيء ومدى نفورنا منه[34]

أشار "Westen (1999)" كيف يعتبر "وليام جيمس الوعي على أنه ذلك السيل المتحرك دوما من الأفكار والمشاعر والمدركات... فالوعي له وظيفة المراقبة والتوجيه للوصول إلى الهدف... أو اختيار أحد البدائل لحل المشاكل"[35]

أمّا "فرويد" يعرّف الوعي على أنه إدارة للذات والوجود بصفته الركن العقلاني، فكلما كان الفرد ذو خبرة وتجربة كلما وصل وعيه إلى ذروة عقلانية أين يعبر على وجوده[36].

من خلال مفهوم الوعي وضّح مصطفى حجازي كيف أن الإنسان المهدور المُنتزع الشخصية يعي بوضعه وحاله فيواجه الواقع المعاش، فيدعونا إلى إدراك ما للوعي من أهمية لحدوث التغيير. عندما يشعر الفرد بذاته ومحيطة يوجه سلوكه على حسب اتجاهاته، أفكاره وتصوراته نحو الموضوع فيواجه الآخر بنوع من التمرد أين تظهر الصراعات بين الضاغط والمضغوط عليه؛[37] وإلاّ الانقياد إلى الرّضوخ للأمر الواقع حيث يعتبر مصطفى

---

[33]. Clifford Geertz, The interprétation of cultures, Basic Book Publishers, New york, 1974,) .P.5)؛ نقلا عن: عدي الهواري، مرجع سبق لنا ذكره، ص.ص.12-13.

[34].مايسة أحمد النيال، التنشئة الاجتماعية: مبحث في علم النفس الاجتماعي، دار المعرفة، 2010.

[35]. مقال مصطفى حجازي: سالف الذكر.

[36]. مصطفى حجازي، الإنسان المهدور: دراسة تحليلية نفسية اجتماعية، المركز الثقافي المعرفي، الطبعة الأولى: دون تاريخ، ص.227.

[37]. **انظر**: مصطفى حجازي، الإنسان المهدور: دراسة تحليلية نفسية اجتماعية ، المركز الثقافي العربي، ط1، دون تاريخ. ص.ص.226-227.

حجازي هذه الحالة أنها "هدر للكيان يرجع إلى هدر الوعي... مشروط بالخضوع والانصياع"[38]

كما أنّ "روبرت ميريتون" وضع مصطلح جد كلاسيكي في نهاية الأربعينات **"التأقلم"** أو **الإمتثالية"**[39] تسمح بالاندماج التام للفرد ضمن الجماعة الاجتماعية مكونا معهم العقل الجمعي، أو خلافا لذلك قد تتولّد استراتيجية أخرى مناقضة كليا وهي استراتيجية **"التمرّد"**[40]

إنّ هذا التأقلم إلى حدّ الخضوع أو الامتثال لم تتقبّله المرأة ولم تتجاوب معه ضمن علاقات التفاعل الزواجية حيث شعرت بهدر كيانها وانتزاع إرادتها الشخصية ولم يُعترف بها كفرد من أفراد العائلة، مما أدى إلى "ردود أفعال عكسية ضدّ واقع اعتبرته الزوجة غير مطابق لكيانها؛ وهنا تظهر حالات التمرد والعناد وسرعة الإثارة والحساسية المفرطة والمجابهة والمبالغة في استعراض الاستقلالية"،[41] ولكن هذا يتناسب مع نمط شخصيتها: فإما شخصية قوية تطلب التغيير والاستقلالية تواجه وتجابه الوضع أو شخصية ضعيفة متقبّلة خاضعة.

تقول المبحوثة "شريفة"[42]: **"***كان لابدّ أن أقوي شخصيتي،... فلقد قوّيت نفسي وهاجمتهم وكأنني لست أنا***"**

قوة الشخصية، هي قوتها المعنوية التي تجعل منها شخصية ذات فاعليّة –لها تأثير في الأحداث، أو بمعنى أخر- لها تأثير في تغيير مجرى الأحداث[43] أين يلعب ضمير المتكلّم الفردي دورا كبيرا في إثبات الشخصية ومواجهة ضمير الجماعة متصديا لنظام يعتبره إجحافا.

لكن جرأة التصدي والمعارضة أمام وعي الفرد بوضعه مرتّبط بعدّة عوامل يتخذها الفرد لتدعيم دافعيّته وإرادته، أهمّها الاستقلالية المادية ودرجة تفتّح الفرد على المحيط الخارجي

---

38. مصطفى حجازي: المرأة والتحرر من الاعتراف المشروع ، مجلة باحثات، النساء في الخطاب العربي المعاصر، 2003 - 2004، ص. 582

39. معجم مصطلحات علم الاجتماع، تأليف جيل فيريول، ترجمة وتقديم: أنسام محمد الأسعد، مراجعة وإشراف: بسام بركة، دار ومكتبة الهلال: بيروت، ط1، 2011. ص. 159.

40. نفس المعجم، تأليف جيل فيريول ، ص. 159.

41. مصطفى حجازي، مصطفى حجازي: المرأة والتحرر من الاعتراف المشروع ، مجلة باحثات، النساء في الخطاب العربي المعاصر، 2003 -2004.

42. مبحوثة رقم 1: الفصل الميداني: الحالة الاولى.

43. عبد المحسن عبد المقصود سلطان، من هو الإنسان ذلك المجهول :دراسة علمية فسيولوجية فلسفية تبحث في أعماق الكيان الإنساني، دار الكتاب العربي ،2008. ص.ص.369-370

أين يمكنه تلقى مساعدات خارج الإطار العائلي تسمح بمواجهة الواقع؛ حيث يبرز **"النمط المستقل** أين يرى الفرد أن الحاجات والموارد الخاصّة قابلة للتدبير، يتّخذ من ثمّ قرار الانسحاب بناءا على اختياره مما يحرره من الضغوط والتعرض للقهر من الآخرين".[44]

أماّ **الشخصية الضعيفة** هي: "تلك الشخصية المستكينة -التي لا تهزّها الأحداث، فهي تعيش حالة من اللامبالاة وعدم الاكتراث- إنها تخشى الآخرين ولا تريد أن تعرّض نفسها لأي نوع من الصعاب، أو الجهد للوصول إلى أهداف سامية... فلا تقوى على مجابهة الناس[45] ولا تستطع خوض عراك الحياة الزواجية.[46] هي "شخصية تظل أسيرة الخوف... إنها تعتقد أن في الضعف السلامة... السلامة من المتاعب التي يمكن أن يسببها لها قول الحق... وتحمّل الصعاب في سبيل تحقيق الكرامة والعزّة والحرية... إنها شخصية خاسرة !"[47] ليس لها الجرأة على الدخول في غور وغمار العلاقات وتحدّي الصعاب وطلب التغيير ضمن الأسرة المتمسّكة بالأواصر فتبقى مغتربة ومهدورة.

يوضّح حليم بركات أنّ: "الإنسان المغترب قد يقبل بهذا الوضع ويعايشه، ولكنه قد لا يقوى على تحمله فيبحث عن مخرج، إما الانسحاب أو اللامواجهة... أو الخضوع والرضوخ والاستسلام للأمر الواقع والتكيف معه على الأقل ظاهريا، والنفور منه ضمنيا عندما يستحيل الهرب. وبهذا المعنى يشكل الرضوخ خيارا آخر... بفِعل اليأس والضعف، والتمسك بقيم الصبر... فالمواجهة بالتمرد الفردي أو العمل الثوري، له دور في تغيير الواقع"[48] أمام ثقافة العائلة التقليدية التي لا تتقبّل التغيير بسهولة.

فرغم التطوّرات السريعة التي مرّ بها المجال العام بقي المجال الخاص نوعا ما محافظ على المعتقدات الفكرية للخلفية الثقافية مما يثبت أنّ "التطوّر الاديولوجي للأسرة بطيء نوعا ما مقارنة مع المجتمع الكلّي فالكبار لا يتخلون على مواقفهم بسهولة ويضلون متمسكين بالماضي لصعوبة التوافق مع الأوضاع والقيم المتغيرة بفعل عمليات التحديث وهذا ما يؤدي إلى صراع الأجيال"[49]

---

[44]. محمد نبيل جامع، مرجع سبق ذكره، ص.175.

[45]. عبد المحسن عبد المقصود سلطان، من هو الإنسان ذلك المجهول: دراسة علمية فسيولوجية فلسفية تبحث في أعماق الكيان الإنساني، دار الكتاب العربي ، لبنان، 2008.. ص.370

[46]. **راجع**: الفصل التحليلي للمقابلات: الحالة الثالثة.

[47]. عبد المحسن عبد المقصود سلطان، نفس المرجع. ص.370

أنظر كذالك في نفس المضمون: هشام شرابي، مرجع سبق ذكره، ص 14

[48]. حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية :متاهات الإنسان بين الحلم و الواقع، مركز دراسات الوحدة العربية :بيروت-لبنان، 2006. ص.ص.81-83.

[49]. (نبيل السمالوطي، ص.ص. 338-337)؛ نقلا عن: عبد القادر القصير، مرجع سبق ذكره، ص.84.

خـلاصـــة الفصـــل

الأسرة الجزائرية ليست تقليدية بحتة ولا عصرية محضة، فهي مواكبة للتغيرات. يشير عدي الهواري أنّ "التغير لا يعني أفول القديم ولا إطفاء نور التقاليد ولكن محاولة التأقلم مع التغيرات السوسيوثقافية،[50] ويؤكّد هشام شرابي أنّ التغيير لم يؤدي إلى استبدال النظام القديم بالجديد بل فقط إلى تحديث القديم دون استبداله جذريا.[51]

والفرد له الأثر البالغ في التغيير حيث يستعمل أساليب مناوئة للنظام أو استخدام استراتيجية الإقناع أو الضغط إلى حدّ التمرّد بعوامل ضمنية مكتسبة بالاحتكاك مع المجال العام أين الموارد المادية ودرجة وعيه ساعدته على صقل شخصية قويّة يستطيع بذلك مواجه الوضع وطلب التغيير.

ومن أهمّ التغيرات التي برزت في الأسرة مكانة الأم فيما يخص مواضيع الزواج واتخاذ القرارات ضمن شبكة العلاقات تقوم بإصدار الأحكام على حسب اتجـاهاتها المُقولبة في نظام ثقافي يُعاد إنتاجه عبر الأجيال. هذا مـــا سنوضّحه بالتفصيل فـــي الفصل التالي.

[50]. عدي الهواري، مرجع سبق لنا ذكره، ص.18.

[51]. هشام شرابي، مرجع سبق ذكره، ص.15.

الفصل الثالث

العلاقات الزواجية والروابط الأسرية

تمهيد

تختلف أوضاع وأدوار الفرد ضمن العلاقات الأسرية؛ ففي علاقته مع أسرة الانتماء هو في وضعه كإبن وفي علاقته الزواجية تتحدّد مكانته كزوج عليه باستوفاء مسؤوليات أمام أعضاء العائلة. يوضّح دوركايم مُبرزا أنّ: "النظام العام للعلاقات الأسرية يتضح في علاقة الزوجين بأسرتهم الأصلية وأسرة المصاهرة، والأبناء في علاقتهم بالقرابة الدموية المنحدرة للأم أو الأب، وكذا العلاقة المستقبلية للزوجين تحت فعل التعاقد الأسري، وبين الزوجين كشخصين يجمع بينهم حقوق وواجبات.[1]

ويميّز "دوركايم" العلاقات الأسرية على أنها البنية الاجتماعية مكوّنة من تفاعل مجموعة من الأجزاء لا تتجزأ[2] تحمل نفس المعتقدات والأفكار والآراء تكوّن بذلك العقل الجمعي، وهي موجودة قبل وجود الفرد مما يفسر أنّ "الحياة الاجتماعية لم تبدأ بالفرد بل بأفراد، والحياة ترتقي بعوامل اجتماعية وليست فردية"،[3] هذا ما يدعو الفرد إلى الخضوع حيث لا حرية له فيما يخالف العرف العائلي تحت التنظيم الرسمي الحامل لقوانين اجتماعية أنتجتها الجماعة يقوم الفرد على استبطانها في عملية التنشئة الاجتماعية للأسرة، أو ما تسمّى بـ"التنشئة الأخلاقية (moralisation) حيث تتحدّد قضية الضبط الأخلاقي"[4] في علاقة الفرد بأسرته الأصلية أين الوالدين لهما الأثر البالغ في نفسية الفرد ومكانة اجتماعية مهمّة تدعّمها الثقافة الإسلامية، سيبقى الفرد تحت طوعهما خاصّة فيما يتعلّق بأمور الزواج والطلاق.

إنّ العلاقات الزواجية هي تحت دعم وضبط أسري قبل وبعد الزواج مما يدعو إلى تخطيط مستقبل الفرد تحت قرار نابع من القيادة الأسرية، وخاصّة من طرف أم الزوج في علاقتها مع زوجة الابن أين ستفرض عليها الخضوع والامتثال لأوامرها سواء رغبت أو لم ترغب وإذا حاولت الخروج عن القوانين العائلية يتم صدّها. فالعلاقات الأسرية خاضعة لعلاقة تراتبية بدءا من الاختيار لقرناء الأزواج إلى غاية مرحلة ما بعد الزواج أين تتحدّد علاقات القوّة.

---

[1]. Émil Durkheim, Introduction général à la sociologie de la famille, (1888)

[2]. يوضّح لنا دوركايم معنى هذا التفاعل مبرزا مثال في هذا الصدد حيث يقول: "إن الأفراد يتفاعلون فيما بينهم كتفاعل أجزاء المركّب الكيماوي للماء H2O حيث أن الأكسجين بتفاعله مع إثنان من الهدروجين يكونون مركّب لا يتجزأ". **عبد الباسط محمد حسن، علم الاجتماع: الكتاب الأول، المدخل، دار غريب، بدون تاريخ. ص.161.**

[3]. عبد الباسط محمد حسن، علم الاجتماع، الكتاب الأول، المدخل، دار غريب، القاهرة، مصر، دون تاريخ. ص.161.

[4]. عبد الباسط عبد المعطي، نفس المرجع السابق.

I. علاقة القوة وطبيعة السلطة

باعتبار الأسرة مؤسسة اجتماعية فهي تتضمّن قوانين ومعايير تستوجب الاحترام والخضوع تحت نظام تراتبي كما يشير "François De Singly"، فلا يمكن أن نتكلم على منضمة إذا لم يكن لها شكل بنيوي خاضع لنظام الأوامر تحت التدرّج السلمي بين الآباء والأبناء.[5] قد ينتج عن هذه التراتبية صراع الأجيال، أين كلا الطرفين لهما موارد سلطوية يمارسها نحو الآخر في علاقة تأثير وتأثّر.

إنّ السلطة الاجتماعية هي علاقة بين اثنين يعد احدهما العامل الأساسي وصاحب السلطة العليا، بينما الآخر هو العامل التابع أو الخاضع[6] و"تتكوّن هذه السلطة من علاقات التأثير بما يسمى **التأثير التصحيحي** و**التأثير الإقناعي** تتولّد كأساليب مضادّة للاعتراض أو الضغط. ويشمل التأثير التصحيحي مبدأ القوة... حيث تشمل القوة فرض الفروض... أما التأثير ألإقناعي فيعتمد على الاستغلال الخطابي لحيل البرهنة من خلال معاني معرفية مشتركة والتزامات جماعية اتجاه مجموعة من القيم. وتعتمد السلطة على المزايا الشخصية بقدر اعتمادها على امتلاك الفرد للمنصب أو الموارد الرسمية يمنح حق السادة في إسداء الأوامر وواجب التابعين في طاعتها... وإذا صدر نوع من رد فعل معارض أو مخالف بين المقاومتين تتدخل عوامل القوّة بين السلطة القيادية والسلطة التابعة"[7]

إنّ الطاعة تتولّد باعتقاد الفرد في شرعية من يصدر الأوامر والقرارات، خاصّة في علاقة الابن بأمّه، أين تمارس الأم سلطة اشتراطية تستعمل نوع من الترهيب والترغيب حيث تتعامل في تفاعلها معه بالعبارات السماوية وعلاقتها بالوازع الديني والأخلاقي، فمكانة الوالدين تعد من أهم علاقات التفاعل مع الأبناء، أين يُستعمل المقدّس كشرعية تؤهل الفرد للنكوص في الاختيار الشخصي للقرين –مثلا- أو إبداء أي قرار يخالف معيارها الخاص.

كما تحكي لنا "راضية"[8] فتقول: "*...فيما يخصّ ابني الثاني، اقترح عليّ واحدة فلم أتقبّلها... قلت له إذا تزوّجتها فأنت لا إبني ولا أعرفك...*". ويقول المبحوث "لطيف" مبرزا

---

[5]. **أنظر**: françois de singly ، (2002)، مرجع سالف الذكر.

[6]. معجم جون سكوت، سالف الذكر، ص.243

[7]. جون سكوت، نفس المعجم، ص.ص.256-257

[8]. من موالد 1959 من "تلمسان"، المستوى الدراسي: ثالثة متوسط، الحالة الاجتماعية: متقاعدة. (مرّت معنا في الفصل السابق صفحة 40).

قداسة المكانة الأمومية: " *عندما رأيت أنّه لا يوجد نتيجة ـلهذا الاختيار- مَحَبِّيْتش نْكسّر كلام "مّا" وأنا لا أحبّ أن أردّ لها الكلام أو نَغْبَنْها..."*[9]

يؤكّد حليم بركات أنّ: "العائلة تمكّنت في ترسيخ شرعيتها واستمراريتها من الجمع بين القيم الدينية والقيم العائلية من دون انفصال".[10]

وجد "بياجيه" عالم النفس السويسري أنّ الانصياع يرتكز على الاحترام الذي يجمع بين العاطفة والخوف، يسميه "بياجيه" هذا النوع من الاحترام **"أُحاديا"** إذ أنه علاقة بين قاصر وولي أمره. أما **"الاحترام المتبادل"** فيولّد في الطفل أخلاقية حرية ومساواة وعدالة... فينتقلون من وضع تَبْعي إلى استقلالي ذاتي... تؤدي بالتأكيد إلى احترام القوانين أكثر من احترام التبعية؛ وهذه القوانين تدخل إلى مجال **"الابتكار"** إذ لا يمكن تغييرها إلا من خلال النقاش والإقناع المتبادل بين أعضاء الجماعة... تقوم الاستقلالية الذاتية على الاحترام المتبادل وما يقابلها من أخلاقية الحرية أين لهذه الحرية حدود لا يمكن تجاوزها تحت نظام تراتبي حيث يرضخ وينصاع الأبناء لأوامر الأولياء.[11]

وما نريد الإشارة إليه من مضمون هذه النظرية، أن الفرد قد توصّل إلى الاستقلالية الذاتية للاختيار الزوجي واعيا بالحدود التي لا يمكن تجاوزها في علاقته مع الأسرة، حيث لا يزال الزواج قَيْد الأسرة ينتظر الفرد دائما الرأي القيادي أو العام،(*) و إصدار القرار النهائي من العضو المحتذى به في شبكة العلاقات الأسرية، غالبا هي الأم والتي تلعب دورا هاما في الضبط الاجتماعي وتوجيه السلوك وتنظيم العلاقات الزواجية وفقا لقيم وقوانين غير مكتوبة.

---

[9]. **راجع** الفصل الثاني: في هامش صفحة 39. يحكي المبحوث عن الطريقة التي تمّ بها اختيار القرين حيث الأم لم تتقبّل اختياره.

[10]. حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية: متاهات الإنسان بين الحلم و الواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2006. ص.115

[11]. Jean piaget ; The essential piaget, edited by Howard E.Guber and J.Jacques Vonèche, New York : 1977. PP.178-179.)؛ نقلا عن: هشام شرابي، النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي، نقله إلى العربية محمود شريح، مركز دراسات الوحدة العربية: بيروت، لبنان، ط1، 1992، ط2: 1993. ص.62.

*. (...) قد نعرّف الرأي العام –و هو تجلّي العقلية الجماعية- بقوّةِ اجتماعية (...) تنتج عن "تشابه الأحكام التي يصدرها عدد من الأفراد إزاء بعض الأشخاص"، (معجم مصطلحات علم الاجتماع،جيل فيريول، سبق لنا ذكره، ص129.)

II. الزواج مسألة تفوق الفرد

1. اختيار الشريك قرار للمرأة

إن المجال الايكولوجي حاليا توسّع مما سمح بتجاوز نطاق التعارف خارج المجال الأسري بين الجنسين أين بات الفرد يطمح ببناء أسرة زوجية مع من يريدها شريكة لحياته.

يشير عبد القادر القصير في مرجعه "الأسرة المتغيّرة في مجتمع المدنية" أنّه: "قد جعلت أعراف الشعوب وتقاليدها الرجل هو البادئ صراحة في عملية التودد إلى المرأة التي تنتهي بالزواج، ولكن ذلك لا ينفي دور المرأة في تطوير العلاقة".[12] إنّ الاختيار الفردي يتدخّل فيه عوامل عقلانية أكثر منها عاطفية لكلا الجنسين حيث البعد الاقتصادي والثقافي يلعب دورا مهما في بناء العلاقة الزوجية وإنشاء أسرة.

فنريد القول أنّ القرار الزواجي ليس تحت سلطة الرّجل بصفة مطلقة. هو بيد المرأة -الشابّة المقبلة على الزواج- التي لها رغبات وطموح يقابل طموح الشاب أين البعد المادّي له الأثر البالغ لإحراز لفت الانتباه الأنثوي في سوق الزواج حيث الشابّة حاليا تطمح بالسمّو الاجتماعي وبمستوى معيشي مقبول.[13] كما أنّها واعية أيضا بمكانتها الاجتماعية العصرية كامرأة عاملة قد يستغل الزوج وضعها المادي ويتخلى عن مسؤولياته كربّ الأسرة باعتبار أنّ الزّوج له دور الإنفاق.

يخبرنا "صابر"[14]: *"... اتجهت نحو المرأة العاملة التي تساعدني... تقول معظمهن* ***طَمَعت فيّ"*** ، حيث المرأة رفضت إنشاء الثنائي والتقدم إلى بناء علاقة زوجية. وكما تحكي "سكينة" في نفس السياق: *"... هناك من لا تُعجبني مهنته، أو عقليته، ... أنا من الأوّل أحبّ أن أضع النقاط على الحروف..."*. مما أُثبت لنا أن سلطة الاختيار ليس في يد الفتى وإنما الفتاة التي اكتسبت وعيا كافيا قد يوجّهها في الاختيار وبناء علاقة ثنائية بطريقة عقلانية تحت عوامل مادية أو ثقافية استبطنتها من التنشئة الأسرية.

"فاطنة"[15] تحكي عن علاقتها بشاب: "...تعرّفت بأحد الأشخاص متخرّج من المحاماة... وبدون أي شكّ كان له مستقبل زاهر... ولكن في اليوم الذي علمت أنّه من منطقة "بني أهديّل" –تعطي ملامح توحي

---

[12]. عبد القادر القصير، مرجع سبق ذكره، ص.221.

[13]. **راجع**: الفصل التحليلي للمقابلات، الحالة الرابعة.

[14]. المبحوث رقم 4: الفصل الميداني: الحالة الرابعة

[15]. من مواليد 1978 من منطقة تلمسان، مستواها الدراسي: جامعي، عاملة بالقطاع العام، متزوجة، ولها طفلين.

بالتعجّب- **تراجعت ووضّحت حدودي معه كزميل أوصديق فقط** ليس إلاّ... وأعلم أن والديّ لا يقبلوا وخاصّة **أمّي هي دائما توصيني بنقاء وصفاء العرق..."**

أما "حنان"[16] فتقول: *" ..كانت لدي مواصفات خاصّة كنت أتمناها في الرّجل... وما انتظرته وجدته..."* أين قَبِلت بالارتباط به وإنشاء ثنائي يطمح في بناء أسرة.

ولكن هذا القبول لا يقف إلى هذا الحدّ حيث رأي أم الفتى لها سلطة أقوى للتقدّم إلى أهل الفتاة، فإذا المعايير الثقافية العائلية لم تكن متوفّرة في عائلة الزوجة وإذا لم تناسب هواها فقد ترفض ولا يتمّ التوثيق الرسمي لبناء علاقة زوجية.

تحكي "رتيبة"[17] من أسرة عريقة بوهران، ابنها من مواليد 1990 أرادت تزويجه فقالت: "أردت أن أخْطُبْ له، نَعْتُولِي أحد الفتياة... ولكن قال راه شايْفْ واحدة أخرى وراهي عَاجْبَاتَه... فذهبتُ لأراها، والديها أطبّاء، وفي الحقيقة يْبَانوا نَاس مْلاح، ولكن **عندما رأيتهم نْغُمِّيتْ** وحتى **البِنت لم يمل قلبي لها... فقال لي شُوفْ هذي لي قالوا لكِ عليها"**. مما يثبت أن الأم تقوم باختيار الزوجة على حسب معاييرها الخاصّة؛ إذ يمكن القول أن **الأم تنتقي كنّة لها وليس فقط زوجة للأبن**.

يشير عدي الهواري أنّه، عندما الابن يعطى للام عنوان الفتاة لخطبتها تشعر وكأنها مسلوبة من وظيفتها، فالكنّة تُختار ولا تُفرض عليها، كما قد تتخوّف من عائلة الفتاة إذا لم تكن لهم نيّة جذب ابنهـــا إليهم وتملّكه، فتذهب للتعرّف على أفراد أسرة الفتـاة وتَزِنهم، فيمكنهـا الرّفض... وقد تتولّد علاقة قوّة بين الأم والابن والدخول في علاقة صراع وعدم التوافق على نفس الفتاة حيث كل منهما ينتظر التراجع عن رأيه... ولكن الأم تحمل استراتيجية خاصّة قد تحرّض كل أفراد العائلة ضدّه لمحاولة إقناعه في النكوص عن اختياره. وإذا الابن أصرّ مخالفا اختيار الأم، تتقاعس على الذهاب لطلب يد الفتاة، فتريد أن يكون الاختيار كليّا تحت إمرتها وسلطتها"[18]

فإنّ الأم هي التي تعمل على الاختيار ولها سلطة القرار باعتبار أن الأمّ لها الخبرة وواعية في مواضيع الزواج، إذ يخبرنا "صابر" أنّ: *" ..الأم عندها بُعد النظر... عندما ترفض وتقول لا تصلح فإذن لا تصلح.."*. مما يتبيّن أن قرارها ضروري للتقدّم إلى الخطوة الرسمية وطلب يد الفتاة من أسرتها، وهي التي ترسم المستقبل الزواجي للابن حيث يعمل

[16]. المبحوثة رقم 3: الفصل الميداني، الحالة الثالثة

[17]. من مواليد 1962، من وهران، متقاعدة.

[18]. عدي الهواري، نفس المرجع ، ص.69

بنصائحها واحترامها وطائعا لأوامرها. فإنّ الرّجل ليس بيده القبول أو الرفض كما ليس بيده سلطة بناء الأسرة.

وفي كل حال من الأحوال فإنّ الثنائي لا يمكنه تحقيق رابط زواجي إلاّ بعد تثبيت القبول الأسري(*). مما يتبيّن أنّ الأسرة قد فَوّضت سلطة لامركزية في بناء علاقات التعارف في مجتمع متغيّر، إلاّ أن الحكم والفصل في موضوع الزواج خارجة عن إرادته.

2. **الزواج تعاقد أسري**:

يشير حليم بركات أنّ: "الإنسان في الأسرة التقليدية عضو أكثر من كونه فردا مستقلا، يُعْتبر كل تصرف أو قرار نابع منه خروجا عن وحدة العائلة... فالقرارات الأساسية لها شأنا عائليا، وليس شأنا فرديا خاصّة فيما يخصّ القرارات المتعلقة بأمور الزواج"،[19]

إنّ المسائل الزواجية هي أمر يخصّ العائلة، يستلزم على الثنائي أخذ الموافقة الرسمية من أسرتيهما. فإنّ الزواج هو تعاقد أسري، والتعارف ليس قائما على شخصين فقط بل على عائلتين حيث يتمّ اختيار القرين على أسس معيارية عائلية منتقاة من الرواسب الثقافية.

ويبقى **البناء للرابط الزواجي مقيّد بقرار أسري وبإشراف الوالدين** رغم التغيرات الاجتماعية التي أهّلت إلى سيرورة الفردانية. يوضح CAMILERI في نفس السياق أنّ:"القرارات نابعة أساسا من العائلة حيث الوالدين يعملان على المراقبة والتدخّل ولهم حق الفيتو "véto" في الاعتراض والنقد"[20]

---

*. **ملاحظة ميدانية**: الأم قد تصل إلى غاية الجدّة، أين الأب لا يزال في وضع الابن المطيع، وهذا ما ندرجه في هذه الحالة: فتاة من مواليد 1990 بتلمسان كانت تحكي على أحد الفتيان... فطلبتُ منها أن تكحي التفاصيل، قائلة: **"**...تكلّمت معه شهر بالكامل، وبعد ذلك أمّه تكلّمت مع أمّي -أُعجبُها منذ الصّغر، هم من العائلة بعيدا نوعا ما، ولكن يمكن القول أصدقاء مقرّبين-... فإذن، عمتي في عمرها أربعين (40) سنة وعندما يأتي لخطبتي أحد يرفض أبي لأجلها... بالنسبة له أتزوّج قبلها ما مَجْيَاشْ **! وحتّى جدّتي زايْدة، في عمرها 81**سنة... هذا الشاب الذي يريد خطبتي أحببته ومعجبة به كثيرا –وتقولها بانبهار شديد- خطْبوني من رمضان (2014) هذه خمس أشهر وأبي مازال لم يُعطي الجواب، **كُلَّشْ من جدّتي هي لّي تضغط عليه**، أنا جدّتي واعْرة، واعْرة، أمّي مسكينة لم تعش مع أبي حياة هانئة، دائما في المشاكل... **أبي لا يَعْمل أي شيئ بلا كلامها، لحدّ الآن**... الحاجة الجيّدة التي قامت بها في اليوم الذي أراد خِطْبتي أحد الشبّان وأبي كان يريد تزويجي وأنا لم أقبل به ولم يُعجبني... جدّتي كذلك لم تَقبل...**كل ما تقوله، أبي يطبّقه للفور**..."

[19]. حليم بركات، مرجع سبق ذكره، ص.115

[20]. CAMILERI C ، مرجع سبق لنا ذكره، ص.ص.12-13

الأسرة وجهّت الفرد فيما يخصّ الاختيار للقرين وعلاقات التعارف، اكتسب منها وعيا كافيا لبناء علاقة ثنائية قبل الزواج؛ ولكن لم توعّيه بقدر كاف عن العلاقات الزواجية بعد الزواج، فالثنائي لهما فكرة لا تزال غامضة عن واقع الحياة الزوجية، إذ تخبرنا "شريفة": *"...لم يكن لديّ فكرة عن الحياة الزوجية..."*، ويقول "رامي"[21]: *"..لم يكن لديّ أي تصوّر خاص حول الموضوع... فعيب... نتكلّم عن الزواج..."*

III. واقع الحياة الزوجية

تبيّن لنا في الدراسة الميدانية أن الفرد غير واعي بواقع الحياة الزواجية فالأسرة لا تقوم بنقل المفاهيم الأساسية لقضايا العلاقات الأسرية بعد الزواج، فما يتمّ تلقينه وتطبيعه إلاّ ما هو قائم في آداب السلوك والأدوار الاجتماعية الخاصّة بالفتى والفتاة، فـ"عن طريق التنشئة الاجتماعية تتعلم الطفلة البنت سلوك خاصا لأنها بنت، ويتعلم الطفل الذكر أن واجباته تختلف لأنه ذكر"[22]

فإذن تحكي "شريفة": "... *بدأت حياتي الجديدة (بعد الزواج) والتي لم تكن معروفة عندي...* فكنت أتخيل الزواج... ما نراه في الأفلام والحياة الرومنسية..."

إنّ الفرد اكتسب تصوّر خيالي حول موضوع الزواج وعلاقته بالقرين عبر وسائل الإعلام والتي كوّنت تفكير ميثولوجي عند الشباب أين الأساطير والقصص غرست معنى خاطئ لمضمون الزواج. فإنّ الأسرة لم تسلّط الضوئ على معنى الحياة الزوجية أين الفرد سيصطدم بالواقع ويتأثّر منه.

وعليه فإنّ مرحلة ما بعد الزواج تعد من المراحل التي تتضاعف فيها الأوضاع والأدوار لكل طرف من أطراف العلاقة: الزوج، الزوجة والحماة، إذ أنّ العلاقة بعد الزواج هي علاقة ثلاثية وليست زوجية حيث "لا يوجد قصة منحصرة في علاقة بين إثنين" على حد تعبير "René Girard".[23]

ضمن هذه العلاقة تكون أُم الزوج الطرف الفاصل للرابط الزوجي إذ هي أم في علاقتها بالابن، وحماة في علاقتها مع زوجة الابن-الكنّة-، وكلا الزوجين عليهم استوفاء مسؤولياتهم كزوجين يربط بينهما حقوق وواجبات ويدخلان في علاقة طاعة مع الأم -الحماة- وخاصّة

[21]. المبحوث رقم 5: الفصل الميداني: الحالة الخامسة

[22]. محمد مهدي القصاص، مرجع سبق ذكره، ص139

[23]. (, [août 2000 - septembre 2000] « Les Pièges de l'exclusivité », ©Passant Ordinaire, n°30Serge Chaumier)

بالنسبة للزوجة التي عليها الانصياع لأوامرها ومعاييرها المحدّدة من قِبَلها، فالأم لم تقم باختيار زوجة للابن وإنّما كنّة لها تنتظر منها الخضوع إلى حدّ الإذعان وعدم التقاعس في آداء واجباتها في علاقتها مع أسرة الزوج حيث تتولّد علاقات معقّدة ومتشابكة.

إنّ الاختيار كيفما كان، فردي تمّ قبوله من طرف الأسرة، أم عائلي قَبِل به الفتى فإنّه يولّد الصعوبات في مجال التفاعل قد تعترض طريق الزواج الناجح وتسبب فشله، لأنّ "العلاقات الزواجية تحمل نوع من الضبط المحكم حيث:[24]

- أولوية العلاقات العاطفية تنحاز نحو البنت أكثرها نحو الكنّة فالعلاقة بين الأم وبنتها تكون أقوى مقارنة بين الحماة والكنّة.

- المسافة بين الحماة والكنة يجب أن تكون نفسها بين النسيب والحماة (أم الزوجة)...انعدام التوازن بين الزوجين في علاقاتهما مع الأقرباء قد يخلف عنها توترات بين الزوجين كذلك.

- العلاقة بين الكنة والحماة يستوجب أن تكون قوية ومتينة مقارنة مع الزوج والزوجة.

1. مضمون العلاقات الزواجية:

قانون الأسرة لعام 1984 يجبر المرأة أن تكون زوجة مطيعة وكنّة تحترم عائلة الزوج... هذا النص القانوني كُتب لخدمة المجال العائلي، لحماية أي شقاق يعمل على إخلال التوازن في التدرج السلّمي العائلي[25]

ولكن في الواقع هذا ما يدعو إلى اضطراب التوازن في التفاعل بين أعضاء العائلة، تجد الزوجة نفسها قد تزوّجت بالزوج وأسرته حيث "الفتاة تقع في فخ العلاقات بعد الزواج، تُظهر طاعتها للعائلة الزواجية وأكثر للحماة".[26]

تخبرنا "شريفة": *"...الزواج أساسه...أسرة الزوج ولم أكتشف هذا إلاّ بعد الزواج.."* مما يفرز توترات نفسية للزوجة أين الحماة توكل بعض الواجبات(*) المنزلية بعد الزواج إلى

---

[24]. (LEMARCHANT CLOTILDE, (1999).- préface : François De SINGLY, Belle filles : avec les beaux parents trouver la bonne distance, collection : le sens social, presse universitaire de Renne.)، ص.ص119، 136.

[25]. عدي الهواري، مرجع سبق ذكره، ص.74

[26]. **أنظر**: LACOSTE-DUJARDIN ،مرجع سالف الذكر ص.65، ص.100.

*. لا بدّ أن نسطّر هنا على مفهوم الواجبات: الواجبات مأخوذة من الواجب، أي ما هو مفروض وملزم وضروري، وقد يكون محتوم على الفرد. **(مرشد الطلاب: قاموس مدرسي عربي عربي، طبعة جديدة منقّحة منشورات المرشد الجزائرية)**

الكنة وتبقيها تحت المراقبة بصفة مُلزمة وتلازمية، تشعر الزوجة بالاختناق والضيق وعدم قدرتها على مواصلة العيش في نظام مغمور بالأوامر يُبعدها على أداء دورها كزوجة وامرأة عصرية –عاملة- تبحث على ربح الوقت لقضاء متطلّباتها الشخصية، حيث السكن الأبوي يقتل شخصية المرأة ويهدرها إلى حدّ هدر العلاقة الزوجية.

1.1. علاقة الزوجة بأسرة الزوج:

يشير "كوفمان" أنّ المشاعر العاطفية لمن يحيطون بنا وهي ببساطة الامتداد للبناء الايجابي للذات الملتحمة، حيث العالم القريب يصبح مألوف ويكوّن جزئ من ذاتنا داخل التفاعل اليومي للأشخاص القريبين منا، والأدوات المشتركة تبيّن واقع الذات التي تتجاوز حدودها وتندمج ضمن حدود الآخر؛[27] ولكن علاقة الكنّة بأسرة الزوج هي دائما مغتربة لا يسمح لها تجاوز حدودها الأرضية والتدخّل في اللوازم الخاصّة بالعائلة، وهنا تشعر الزوجة أنها مستبعدة من مجال ليس ملكها ضمن السكن الأبوي مشيرة "حنان": "*يعتبرونني كغريبة عنهم منذ البداية...*".

ظروف قد تعيق بناء العلاقة العاطفية بين الزوجة وأسرة الزوج، مما يبطئ الاندماج أو يجعله صعباً حيث الحياة تصبح نوعا ما مستحيلة.

أ. الاندماج الأسري: تنصاع المرأة لتحرز رضا الحماة

ما تبيّن في الدراسة أنّ، الزوجة عليها أن تبرز همّتها في أدائها لدورها الاجتماعي المناط لها بعد الزواج مع تقبّل الضوابط العائلية المسطّرة من طرف الحماة، إذ "يتوقع منها التكيف مع مِزاج وطبيعة زوجها وعائلته... ولا تميل للاختلاط مع زوجها والتفاعل معه... بل تميل نحو الاختلاط والتفاعل مع أفراد عائلته وتركّز انتباهها على أمه وإطاعة أوامرها"،[28] بهذه الطريقة ستندمج ضمن العائلة وتجلب رضا الحماة لتحقيق الزواج

[27]. Kaufmann J.-C.، مرجع سابق الذكر، ص. 47.

[28]. إحسان محمد الحسن، العائلة والقرابة والزواج: دراسة تحليلية في تغيّر نظم العائلة والقرابة والزواج في المجتمع العربي، دار الطليعة، بيروت، ط1: 1981، ط2: 1985. ص.73.

الناجح، و"كلما زادت درجة الانصياع للزوجة ضمن عائلة الزوج كلما زادت درجة الاندماج"[29] أين الزوجة تتفاعل مع أعضاء الجماعة بالضمير نحن عوض الضمير أنا.

يؤكّد الأستاذ "قعوسي" أنّ: "الرغبة في العيش مع العائلة التي تضم أجيـــال -الأم والأب، الإخوة والأبناء والأزواج- هو من النمط العائلي المثالي المرغوب به في الأسرة الجزائرية ولكن قليلا ما ينجح لأسباب عديدة، أهمّها التوتّرات النفسية بين الكنة والحماة، وأسرة الزوج عامة.[30]

ويواصل مُوضّحا أهمّ ما يميّز التقاليد الجزائرية في فترة الزواج أنّ: "العائلة توجّه ملاحظاتها على الزوجين حديثي النشأة حيث الزوجة عليها أن تمرّ عبر التربّص الفعلي "véritable stage" وتتعلّم حياة المرأة المتزوجـة " l'apprentissage de la vie de femme" فلا بدّ أن تمرّ بهذه المرحلة"[31] إذ عليها أن تمتثل وتخضع لقوانين الأسرة لتحرز الرضا والقبول والوفاق ضمن العلاقات الزواجية، كما عليها أن تبرز كفاءتها في أدائها للأعمال المنزلية، ولا يجدر بها التوّاني على الامتحان الصعب الذي ينتظرها، وما على المرأة سوى محاولة الصبر للمحافظة على مكانتها ضمن أسرة الزوج.[32]

ب. **<u>وضع الزوجة ضمن العلاقات الزواجية</u>**:

على حسب "الإمام الغزالي": "الزواج الإسلامي ليس بعيد أن يكون بالنسبة للمرأة نوع من العبودية لأنها مجبرة بطاعة الزوج بدون حدود...إلا فيما لا يرضي الله"[33] محاولة كذلك الخضوع لمتطلّبات أسرة الزوج، مستوفية جميع واجباتها على أكمل وجه إلى حدّ أن تَعتبر الزوجة نفسها خادمة، قائلة سكينة: "أنا أقوم بكلّ الأعمال المنزلية حتى ولو أخواته البنات في المنزل... لو أكون في الموت"، وتضيف شـــريفة: " j'ai été une femme de ménage…"

---

[29]. **<u>أنظر:</u>** فسيان حسين، رسالة دكتوراه، سبق لنا ذكرها، ص.ص.275-276.

[30]. .Kouaouci A، مرجع سبق ذكره، ص.178.

[31]. .Kouaouci A، نفس المرجع، ص.178.

[32]. **<u>راجع</u>** الفصل التحليلي للمقابلات، الحالة الأولى، والحالة الثانية

[33]. (الغزالي، 1953)؛ نقلا عن: LACOSTE-DUJARDIN، نفس المرجع سالف الذكر،ص.101.

يشير "Lacoste-Dujardin" أن زوجة الابن ضمن الأسرة المغاربية تأخذ مكانة عاملة تحت مراقبة الحماة تقوم بالأعمال المنزلية الشاقة، أما الأعمال الأخرى خاصّة بالأم سيدة العائلة.[34] ويضيف أنّ: الحماة **"لها كنّة"**، هذا يعني **"جارية في المنزل"** والحماة هي سيّدة المنزل لها مرتبة رفيعة ومريحة[35]

في نفس السياق نشير إلى ما جاء به "Lacombe" في تعريفه للزواج: "إنّ الزواج ما هو إلاّ رغبة مزدوجة أن تملك أنثى وأن تملك خادمة بيت"[36]

وكما يموّه .Camilleri C إلى ما جاء به "طاهر الحدّاد" إذ أعلن أن سوق الزواج أصبح مجال تجاري، فمثلا: "بعض الأسر بحاجة لامرأة تهتم بالعمل المنزلي فيعملون على اختيار زوجة للابن لتسهر على رعاية العائلة"[37] (♣)

ومنه قد نعتبر أنّ "الزواج السعيد يتحقّق عندما تتوَفَّق العروس في استوفاء دورها كزوجة وكنّة، وإن لم تنجح فهذا يعني أنها أخفقت في زواجها ولم تكسب قلب الحماة إذ يشير "LEMARCHANT C." أن الحماة لابدّ أن نعاملها كالأم رغم أنها ليست الأم"[38]

وهنا نفرّق بين الأم البيولوجية والاجتماعية في علاقة الحماة بالكنّة، من خلال ما وضّحه "LEMARCHANT" مستعيرا بأفضل مثال إذ يعتبر أنّ الفتاة العروس ضمن أسرة الزوج مثلها مثل الطفل الذي تتخذه الأسرة بالتبني حيث يتطبّع على معايير العائلة الجديدة ويكتسب عاداتها وتقاليدها، فيقبل معاييرها بموجب أهميّة البعد السيكولوجي الذي يساعد الطفل على الانحدار والتماهي للأم الاجتماعية، فيتقرّب منها عاطفيا حتى ولو أنّ عاطفة

---

[34]. LACOSTE-DUJARDIN ، نفس المرجع، ص.159.

[35]. LACOSTE-DUJARDIN، نفس المرجع، ص.57

[36]. .Martin Segalen، مرجع سبق ذكره، ص.18.

[37]. .camilleri C، مرجع سبق ذكره، ص. 64.

♣. **ملاحظة ميدانية**: أحد الشيوخ من وهران، في حوار معه يخبرنا أنّه سيُزوِّج ابنه، إذ يقول:"المرا (الزوجة) باغِية تُزوِّج الولد، قالت عْيَات (تَعبت) وراهي باغية تَرِيَّح من شُغل الدّار"

[38]. **أنظـر:** (CLOTILDE LEMARCHANT, Belle filles : avec les beaux parents trouver la bonne distance, collection : le sens social, presse universitaire de Rennes, 1999.)، ص.17

الفرد لا تميل إلاّ لأم واحدة، والبذخ العاطفي لا يُعترف به إلاّ عند الأم البيولوجية، ولكن الأم يمكنها أن تُؤثر قلبها لعدة أبناء سواء من صلبها أو بالتبني.[39]

فإذا عملت الحماة على لفت انتباه الكنّة وتَعتبرها كابنة لها رغم أنها ليست ابنتها ستجلب قلبها ولن تخذلها في علاقة التبادل العاطفي، ولكن على حسب ما أوردته المبحوثة حنان في سياق كلامها: "..*ليس لهم الصدر الرحب*"، فالحماة لا تبحث إلاّ على ما يناسبها ولا يهمّها سوى علاقتها بأبنائها، مُشيرا المبحوث "صابر" في نفس السياق: ":*"...التعامل مع البنت ليس كما العروسة ومع الابن ليس كما هو مع النسيب..."*

مما يتبيّن أن الزوجين لن يأخذا مكانة الأبناء في علاقاتهم بأسرة النسب، فالزوج له أمه والزوجة لها عائلتها الأصلية ، فتبقى الزوجة بنت أمّها ويتمسّك الزوج بعلاقته مع أمّه.

2.1. العلاقة بين الأم وابنها

قوة العلاقة بين الأم والابن تتدخّل فيها عوامل اجتماعية، سيكولوجية ودينية:

الظروف القاسية التي تعيشها الزوجة مع أسرة الزوج تجعل علاقتها بالزوج نوعا ما ضعيفة لا تتعدى علاقة جنسية هدفها إنجاب الأطفال حيث التبادل العاطفي بين الزوجين غير معترف به ضمن الأسرة؛ ولهذا تصبّ كل اهتماماتها وعواطفها اتجاه ابنها آملة فيه أن يكون الرجل المخلص والوفيّ لها الذي يبادلها نفس الشعور مدى الحياة.

يوضّح الأستاذ فسيان أنّ: "الأم ضمن العائلة التقليدية مسلوبة ومغتربة في علاقتها مع الزوج، ومنه تعوّض فقد الزوج بكسب الابن وخاصّة بعد زواجه أين تصبح امرأة صلدة لا تريد فقده مُعتبِرة أن الابن ملكها لأنها أثبتت مكانتها ضمن العائلة الزواجية إلاّ بوجوده حيث تحمّلت الصعاب لفترة طويلة،[40] فـ"تحاول دائما منع الرجل/الابن أن يصير الرجل/الزوج"[41] بطريقة سحرية، مُشيرا عدي الهواري أنّ: "الأم تترك في تصوّرات الطفل صورة مثالية ومقدّسة من خلال التضحيات التي واجهتها في حياتها ليصير رجلا، وهي استراتيجية تستعملها الأم لكي لا يدخل في علاقة عاطفية مع امرأة أخرى من غيرها؛ ومنه

---

[39]. LE MARCHANT C.، نفس المرجع ، ص. 17

[40]. **أنظر**: رسالة الدكتوراه للأستاذ فسيان، سبق لنا ذكرها، ص.ص.301-306.

[41]. LACOSTE-DUJARDIN Camille ، مرجع سبق ذكره، ص.180.

الرجل يتكوّن في تنشئته على أساس أنّ له دَيْن(*) عليه أن يُردّ للأم".[42] مما يولّد علاقة محكمة بين الأم والابن تُبقيه بذلك تحت وضع طفولي لا تُعتقه من التبعية ويبقى تحت كنفها إلى غاية سن ما بعد الزواج فـ"الزواج لا يمنع الابن من أمّه"،[43] وهذا لأنّ "المرأة المغاربية، تصبح امرأة ليس من خلال العيش مع الرّجل، ولكن من خلال ولادة الابن "الذكر"... فيصبح أولادها رجال حياتها" على حسب تفسير "Lacoste-Dujardin"[44]

وكما يعطي Lacoste-Dujardin امتيازات البعد السيكولوجي في علاقة الأم بابنها مشيرا أنّ، أهمّية الأمومة في حياة المرأة يمكنها أن توضّح كيف تكون القوة في تمسّك الأم بالابن: جودة وكثافة المشاعر في مرحلة الطفولة هي طويلة الأمد تتطور مع الرجل الشاب[45] إلى غاية مرحلة متأخرة من العمر حيث أنّ "الأم كعاشقة... لا ترى أمامها رجلا آو بطلا بل كائنا صغيرا"[46] بحاجة دائمة إليها تقوم بإرساء تعليماتها وعدم التخلي عن دورها التنشئوي.[47] ومن خلال هذه العلاقة، الابن ليس له سلطة التعبير عن القرار أمام عصمتها فـ"الأم هي من تملك السلطة في المجتمع التقليدي..." علـى حدّ تعبير LEVIS-STRAUSS[48]

ومن هذا المنطلق "المرأة تعيد إنتاج الهيمنة الأبوية عن طريق الابن حيث تمـارس سلطة داخل النظـام العائلـي وهذه السلطة يمكن أن نعتبرهـا بلغت ذروة السلطـة الذكورية، مفسّـرا "Lacoste-Dujardin" أنه يمكن أن نتجرأ إلى حد القول أنها اجتماعيا أكثر ذكورية بين النساء"[49] تصبح الشخص المحتذى به ضمن العلاقات الزواجية.

---

*. و هنا كلمة "دين" تعني ما يقترضه الإنسان ...عليه أن يؤديه في وقت معيّن. (مرشد الطلاب: قاموس مدرسي عربي عربي، منشورات المرشد الجزائرية، طبعة جديدة منقّحة) وكأنّه استلف شيئا عليه أن يردّه !.

42. عدي الهواري، مرجع سبق ذكره، ص.70-72

أنظر كذلك: فسيان حسين، عنوان الرسالة سبق لنا ذكرها، ص.303.

43. Lacoste-Dujardin، نفس المرجع، ص.156.

44 . Lacoste-Dujardin، نفس المرجع، ص.186.

45. Lacoste-Dujardin، نفس المرجع، ص.143.

46. سيمون دي بوفوار، الجنس الآخر، دار الأهلية للنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ط1، 2008. ص.183.

47. **راجع**: الفيل التحليلي للمقابلات، الحالة الرابعة.

48. فسيان حسين، رسالة دكتوراه سبق لنا ذكرها، ص306-307

49. عدي الهواري، نفس المرجع، ص.106

والوازع الديني له تأثير قويّ على علاقة الابن بالأم ويعدّ الرابط الأساسي بينهما.[50] يوضّح عدي الهواري: "الدين لا يُعتبر شريعة إسلامية أكثر ما هو أداة للتعامل لممارسة السلطة والمراقبة الاجتماعية للسلوك في التفاعل بين الأفراد. كل فرد يدافع عن مصالحه الشخصية عن طريق ما قاله الله والرسول فلا تقتني الأسرة من القرآن سوى العبر التي تخدم الجماعة وتُخضع الفرد لها"،[51] وبما أن المجتمع الإسلامي يحمل إجبارية الخضوع للأم ستتولّد علاقة قويّة بينهما لها رمزية مقدّسة تدعو للاحترام والطاعة (*) مما يدعو للذكر بتوطيد العلاقة أكثر فأكثر مع الأم بعد الزواج قائما خللا في الرابط الزوجي.

فيعتبر الرابط الزواجي في حقيقة الأمر شكلا هي علاقة زوجية بين الزوج والزوجة ولكن مضمونا فهي علاقة محدّدة بين الزوجين والأم-الحماة-، تدخل الأم طرف وسط بين الزوجين تقوم باحتكارها للرابط الزوجي إذ تُبطئ إنشاءه، فلها السلطة أن تقوي هذا الرابط أو تُضعفه.

3.1. العلاقة بين الزوجين

العلاقة بين الزوجين هي علاقة هشّة قابلة للانفصال أمام العلاقة الصلدة التي تربط الأم بابنها مما يسمح للابن الانحياز نحو الأم مهمِّشا علاقته بالزوجة. وبما أنّ الزوج -الابن- في علاقة خضوع أمام الأم سيحاول ممارسة سلطته نحو الزوجة مبرزا رجولته ضمن الأسرة النووية مستبعدا الميول العاطفي اتجاه الزوجة فالعلاقة التي تربطه معها هي علاقة جنسية، حيث يتم الربط بين الزواج والتزاوج بهدف الإنجاب وإنشاء أسرة نووية، والفصل بين الزواج والحياة العاطفية بين الزوجين، إذ أنّ التبادل العاطفي موجّه للأم دون الزوجة وإن كان عكس ذلك ستُتَّخَذ الأسرة نحوه نظرة دونية ضمن العلاقات الأسرية، يُكسبونه هوية أنثوية[52] فـ"الرجل لا يعتبر ذكرا إلا في المجال الذي يمارس فيه سلطته نحو الزوجة وتكون له سلطة القرار أين التصورات الاجتماعية للمرأة تختلف بين وضعها كزوجة ووضعها كأم"[53]

---

[50]. **أنظر:** رسالة فسيان حسين، سابقة الذكر، ص.227.

[51]. عدي الهواري، مرجع سبق ذكره، ص.16.

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : "جاء رجلٌ إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال : يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟، قال: **(أمك)** ، قال: ثم من؟ قال: **(أمك)** ، قال: ثم من؟ قال: **(أمك)** ، قال: ثم من؟ قال: **(أبوك). متفق عليه**.

[52]. **راجع**: الفصل التحليلي للمقابلات، الحالة السادسة.

[53]. فسيان حسين، ص.ص. 439-440.

فيمكن القول أنّ العلاقات الأسرية لا تُشجّع التجاوب العاطفي بين الزوجين، مما يدعو للعلاقة الزوجية أن تتجسّد تحت المعادلة 1+1=2 متجاهلين التفكير الزوجي، فالمعادلة 1+1=1 هي خيالة وغير مرتبطة بواقع الأسرة الجزائرية لا يمكنها أن تتحقّق في كلّ ظرف من ظروف الحياة الزواجية.

أ. **معنى الرابط الزوجي :**

بيار بورديو يعطي شرط قيام الرابط الزوجي مُشيرا: "يكوّن الزوجين وحدة أولية مشتركة يستحيل تقسيمها، إذا يهتدي كل واحد إلى نفسه في الآخر الذي يعترف به على أنه الآخر ذات نفسها... حتى حال الانصهار والتوحّد... حيث يمكن أن يتلاشى أحداهما في الأخر... مع الاعتراف المتبادل عن الثقة[54] (*)

في نفس السياق نشير إلى ما جاءت به "FURNEMONT Aline " كموجّهة زوجية توضح لنا مسألة العلاقة الزوجية فتقول أنّ "تشكيل علاقة زوجية تكوّن بالضرورة علاقة بين اثنين. ولكن يتحقق الرابط الزوجي عندما طرفي العلاقة يفكرا كزوجين فينتجا معا تصوّرات خاصّة للشراكة... فهما شخصين يبنيان معا مجال تصوّري موحّد... بمعنى أنا وأنت وعلاقتنا معـا (Toi, Moi et Notre couple)؛ وهذا يعني أنّ الزوجين لا يعتبرا كمعادلة جمع بين شخصين اثنين تكوّن واحد، ولكن هي علاقة بين فردين اثنين قابلين للانقسام مع إمكانية تكوين علاقة من خلال تحقيق مجال مشترك بينهما"[55]

و يسطر بوضوح "G.TODJMAN" في نفس المضمون أنّ "الزوجين ليس فقط جمع بين اثنين فالعلاقة تتميّز بخصائص مختلفة بين فردين مرتبطين كزوجين، يشكلان مجموعة أصيلة لها سلوك منظم خاص بها يمكن أن تتكوّن بينهما نية امتداد العلاقة أو عدم التمكّن من مواصلة الحياة المشتركة تحت نفس الهدف"[56]

---

[54]. بيار بورديو، الهيمنة الذكورية، ترجمة سليمان قعفراني، مراجعة ماهر تريمش، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحددة العربية: بيروت، 2009. ص.ص.164-165.

*. يقول تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ } (النساء1) من هذه الآية إن عبارة " خلقكم من نفس واحدة" لا يختلف عن مفهوم الزوجين، كما يقول سبحانه وتعالى: {وَخَلَقْنَاكُم أَزْوَاجَا} (النبأ8). **أنظر: مقال الخمار بوقرعة، الزوجان والخطاب: نحو وضع إشكالي لمفهوم الزوجين، مقاربات: أزواج و تساؤلات، سلسلة بإشراف عائشة بلعربي، نشر الفنك، 1992، ص.ص.16-17.**

[55]. © Centre d'Education à la famille et à l'Amour – CEFA asbl – mars 2008. **Les clefs d'un couple qui dure, apprentissage de la vie à deux**)، ص.2.

[56]. Le couple, Les nouvelles règle du jeux, Dr. Gilbert Tordjman-Ed Hachette- France-) 1995.)؛ نقلا عن: © Centre d'Education à la famille et à l'Amour، نفس المرجع، ص.2.

وما تبيّن في معنى الرابط الزوجي ضمن الأسرة الجزائرية أنّ العلاقة التوحّدية بين الزوجين والتصوّرات المشتركة بينهما التي عبّرت عليها "FURNEMONT A." اكتشفنا أنها علاقة تخصّ كل طرف في علاقتهما مع الوالدين، **والحب الأول والأخير هو للأم وتعدّ شريكة الحياة**.

نشير في هذا الصدّد إلى ما جاء به Lacoste-Dujardin : "الأم والابن يتضمّن علاقة زوجية وحيدة ومنفردة، الأكثر جاذبية موحّدة ومستقرة"[57] مُشيرا كذلك أنّ **المرأة-الأم** قبل كل شيء تنتج العلاقة **الرّجل-الابن** قبل كلّ شيء، أين كلا من المرأة والرجل لا يجدان الاستعداد لتكوين علاقة زوجية خاصّة، وهنا الدائرة تغلق والأدوار تبقى نفسها ونفس الصعوبات يعاد إنتاجها عبر الأجيال[58] مما يتبيّن أنّ "الحب بين الزوجين أسطورة... بعيد كل البعد عن الواقع"[59] لا وجود له إلا في المجال الميثولوجي حيث الوفاء يميل للوالدين والأسرة الأصلية عامّة[60]. مما يسمح لنا التعبير أنّ **العلاقة بين الزوج والزوجة لا تتعدى علاقة زواجية مضمونها شرعية إقامة علاقات جنسية بهدف الإنجاب**.

في هذه الحالة، عندما يعي الزوج والزوجة الميول العاطفي واتجاهات كلّ منهما سيقوم أحدهما بالتنازل عن الرغبات التي تؤهّل إلى الوثاق الزوجي فيتقبّل الآخر بطريقة عقلانية. "هذا النوع من الروابط يعطي له "رافان" مزج بين مفهومين "الخيار بالشعور"، فالخيار هو الجانب العقلاني، مع محاولة رداء الايديولوجية الغرامية... ويجري ذلك مع متغيرة ممكنة وهي الاستسلام للأحداث وترك الأمور تحدث وحدها".[61] وهذا ما قامت به "سكينة" حيث تنازلت عن رغباتها في بناء علاقة قوية مع زوجها محاولة تقبّل الواقع بمزج هذين المتغيّرين باحثة عن مميزات خاصّة بالزوج تُشعرها بالاطمئنان، قائلة: "...زوجي ليس عنيد وقلبه كبير... وأنا بهذه الطريقة أحترمه وأقدّره.."[62] و"تبقى العلاقة بينهما هي علاقة أب وأم لأطفال وليس كرفقاء أو شركاء"[63].

---

[57]. LACOSTE-DUJARDIN، مرجع سبق ذكره، ص. 148

[58]. LACOSTE-DUJARDIN، نفس المرجع، ص.181. ص.ص.310-311.

[59]. كوفمان ج.ك.، تر: بسمة بدران،علم الاجتماع الثنائي، ط1، المؤسسة الجامعية، مصر،2001. ص.36.

[60]. **راجع** الفصل التحليلي للمقابلات، الحالة الرابعة

[61]. كوفمان ج.ك.، تر: بسمة بدران،نفس المرجع السابق. ص.42.

[62]. **راجع** : الفصل التحليلي للمقابلات، الحالة الثانية.

[63]. LACOSTE-DUJARDIN ، نفس المرجع، ص.ص.184-185

"إنّ العلاقة بين الزوجين علاقة أساسية مختلفة عن كل العلاقات ومن المهم عند تأسيسها... لا بدّ من إرادة قوية لبناء علاقة مستديمة والرغبة في تكوين حياة مشتركة تستدعي تجاوز الصراعات والبحث عن الحدّ من المشاكل بطريقة أو بأخرى[64] فإنّ التبادل العاطفي هو بناء اجتماعي يتطلّب التنقيح أمام المشاكل والعوائق التي يواجهها الزوجين ضمن العلاقات الأسرية التي لا تعترف بعلاقات الحب والغرام الزوجي مما تولّد الشعور بالضيق في التفاعلات الزوجية والأسرية عامّة.

IV. نتائج العلاقات الزواجية بعد الزواج

1. إعادة بناء الأسرة الزوجية: قرار صادر من المرأة

كما تُبنى العلاقة الزوجية من طرف المرأة سيُعاد بناؤها من طرف المرأة. إنّ احتكار الأم للرابط الزوجي سيَخلق توتّرات تؤثّر على الزوجة بقوّة إذ تشعر بضيق واختناق نفسي تقوم بمواجهة الوضع الساحق عاجزة عن تقبّله طالبة بإعادة بناء العلاقة الزوجية، حيث اكتشفت أنه **نشأت علاقة زواجية مضمونها علاقة ثلاثية وليست زوجية.**

وهنا تتعقّد العلاقات أين الزوج يجد نفسه حائرا بين الأوضاع والأدوار. يقول "منصف"[65]: "...لم أعرف آتي "من" أو "من"،..."، فيقف الرّجل بذلك موقف الخيار بين امرأتين متجادلتين حيث يمكن أن ينحاز أمام المرأة المالكة للسلطة والقرار ألا وهي الأم، أين يبقى الفرد وفيا لذاته مع الأسرة الأصلية(*) أو يشعر بالمسؤولية كرجل راشد يستكمل دوره كزوج مسئول عن أسرة ويحتفظ بوفائه نحو الذات مع الزوجة والأم في نفس الوقت.

ومنه **الأسرة كما تبنى، يعاد بناؤها؛** وقد تهدم ويعاد تركيبها مع امرأة أخرى أين الأم تصدر قرار الطلاق.[66] فيتمّ بصفة أو بأخرى تفكيك أسرة وإعادة بنائها طالبة المرأة الانفصال عن السكن الأبوي في منزل مستقل.

---

[64]. Centre d'Education à la famille et à l'Amour ©، سبق ذكره، ص.3

[65]. المبحوث رقم 6: الفصل الميداني الحالة السادسة

*. الوفاء للذات يعني الإخلاص لشيء يربطنا بها (تنشئتنا وعلاقتنا بالوالدين، الوفاء للرغبات، لأصله، لماضيه لسيرته، لهويته، وكل ما تخفيه الذات في أعماقه). **Centre d'Education à la famille et à l'Amour 2008 ©، سبق ذكره،ص.3**

[66]. **راجع:** الفصل التحليلي للمقابلات، الحالة الثالثة.

- **طلب الاستقلالية الزوجية**

الاستقلالية من الأسرة التقليدية والبحث عن الاطمئنان النفسي والاجتماعي من الأمور العويصة، ففي لحظة معيّنة يمكن أن تؤدي للنجاح في إعادة بناء الأسرة وتجديد العلاقة الزوجية أو الإخفاق، فالزوجة هروبا من وطأة أوامر الحماة ستتجرأ للتفكيك طامحة في إعادة البناء وإنشاء أسرة مستقلّة نووية، حيث "العلاقة بين الكنّة والحماة تستوجب بعد المسافة"[67]

فيمكن ألاّ تتوفّق الزوجة في مجابهة الواقع أين الزوج تابع للأم ولا يرضى مفارقتها، كما أن الأم بدورها لا تريد إعطاء الحرية للزوجين. فـ"نتيجة لزواج الأبناء وانتقالهم إلى الاستقلالية فإن ذلك يعني شعور حرمان الأم من ابنها وافتقادها لممارسة السلطة، وهذا بالطبع لا تشعر به المرأة التي تعيش في عائلة ممتدة حيث زوجات الأبناء تحت سيطرتها مما يساعد الأم على الاحتفاظ بمكانتها المنزلية... ويمنع شعورها بفقد السلطة ".[68]

ولكن نتساءل ونعيد التساؤل هل حقيقة ستفقد مكانتها السلطوية ودورها التنشئوي بعد انسحاب الزوجين في سكن مستقل؟

2. استقلالية السكن وواقع العلاقات الأسرية

اتفق معظم الباحثين الاجتماعيين وعلماء الانتروبولوجيا أن الأسرة النووية نتاج المجتمع الصناعي والتحضر، إلا أننا لا يمكن إخفاء الحقيقة الواجب الاهتمام بها في أرض الواقع أن التعسف والضغط الاجتماعي للأسرة الممتدة تفرز الشعور بالإرادة للاستقلالية الذاتية والهروب من وطأة السلطة الأسرية وبناء أسرة نووية مستقلة السكن؛ مما يثبت أنّ ***"الاستقلالية السكنية ما هي إلا معارضة لأشكال أخرى من العلاقات الأسرية"*** [69].

لكن ما تيّن في الميدان أنّه رغم انفراد الزوجين في سكن مستقل إلاّ أنّ التوترات لا تتوقّف. يشير "DESINGLY" عبر نظرة تحليلية لدوركايم مؤكّدا أن: "رغم ما وصلت إليه الأسرة الحديثة من استقلالية لوطأة التقاليد الأسرية إلا أنها دائما تابعة لها وتحت مراقبتها.[70]

---

[67]. **أنظر** .LEMARCHANT C، مرجع سبق ذكره.

[68]. فاتن شريف، مرجع سبق ذكره، ص99.

[69]. **أنظر**: François de singly، (2007)، مرجع سبق ذكره، ص.14.

[70]. **أنظر**: .De Singly François، (2002)، سالف الذكر.

ويضيف "DESINGLY" موضّحا أنّه: "رغم الاستقلالية السكنية يعيش الزوجين بالقرب من أسرتيهما بكلمترات قليلة... أين تسهل الزيارات اليومية... فتتجمّع العائلة مادام الأم على قيد الحياة".[71] وهذا ما وضّحه "بارسونز" حول الأسرة الزوجية وقطع الصلة بالأسرة الأصلية مبرزا بأنّ هذا واقع غير صحيح، فكل الأعمال توضح الرابط القوي بين الوالدين والمحافظة على العلاقة معهما.[72]

فتعتبر الأسرة النووية ضمن سكن مستقل شكلا بارزا، ولكن مضمونا لا تزال الروابط قائمة رمزيا بالأسرة الأصلية حيث لا يتجرّأ الزوجين على قطع الحبل السري، وخاصّة الزوج في علاقته مع الأم التي تحاول دائما جذب ابنها إليها(*). كما تلعب العواطف دورا مهما إلى غاية التدخل في العلاقة الزوجية أين الزوج والزوجة يشتكيان نمط حياتهما الزوجية لأسرة التوجيه قد يؤهّل إلى نتائج وخيمة إلى حد الرغبة في الانفصال والطلاق[73]

أشار camilleri C. أنّ السكن الذي يجمع الزوجين بالأسرة يخلّف صعوبات في التفاعل[74] مما يستوجب إقامة الحدود بالبحث عن بُعد المسافة. ولكن ما توضّح أيضا في أرض الواقع أن **العامل القويّ الذي يدفع للصراعات والتوترات الزواجية هو الرابط الصّلد الذي يجمع الزوجين بأسرة الانتماء**، فـ"...العائلة تتعامل بالأخلاق وتطلب التقاليد والأعراف" على حد تعبير "Louis de bonald"[75] رغم بعد المسافة.

في نفس السياق ندرج حالة "حكيمة"[76] نقتطف منها الأهمّ والمهمّ. حدّثتني عن تفاصيل حياتها الزوجية، فتحكي: "تزوّجت في نوفمبر 2010... ظروف ساحقة...تحت المراقبة المستمرة لأمّه، وهو لا يدافع عني ولا حتّى يجلس معي أبدا... فإذن **حملت حقيبتي وذهبت**. بعد شهرين، **استأجرنا منزلا لوحدنا**... **وجدت نفسي في نفس العلاقة مع الزوج** -أقول لك !- يذهب إلى عمله صباحا، يخرج على الساعة الواحدة تقريبا؛ يذهب مباشرة عند أمّه ويبقى عندها حتّى أذان المغرب ليدخل للدّار. وأزيدك علما، **النهار شْحال مّا يطوّل شْحَال مّا يزيد يْجَمَّع عندها**؛ وأنا عندما أخرج من العمل وأذهب للدّار أجد

---

[71]. François de singly، (2007)، مرجع سبق ذكره، ص.55.

[72]. De Singly François. (2007)، نفس المرجع، ص.67.

*. **ملاحظة ميدانية**: "حماة"، ابنها متزوّج بامرأتين –وكل منهما في منزل مستقل عن الأخرى- فرّق في المبيت بينهما ليلة بليلة ليكون عادلا، ولكنّ العدل لم يكن قائما أمام الأم طالبة منه:**"حتّى أنا أريد ليلة لي، حتى أنا أحبّك و أشتاق إليك"**

[73]. **راجع**: الفصل التحليلي للمقابلات، الحالة الرابعة.

[74]. **أنظر**: CAMILLERI C.، مرجع سبق ذكره، ص.122.

[75]. Martin Segalen..، مرجع سبق ذكره، ص.9.

[76]. هي من مواليد 1973 من وهران، من أصل قبائلي (بجاية)، عاملة بالقطاع العام، مستواها الدراسي ثالثة ثانوي، زوجها من وهران، عامل بالقطاع العام، من مواليد 1967، مستواه الدراسي ثالثة متوسط.

نفسي وحدي...**حتّى الجمعة يْشَوَّر لدارهم**....حتّى أنا **قرّرت لأُطلّق** بعد سنة ونصف، ما يْصْلاَحشْ...". فـ"زيارات الزوج المتعددة لأمه تتخذها الزوجة كنظرة سلبية اتجاه الزوج معتبرة أنه غير وَفيّ لأسرته الزوجية".[77]

3. الصراعات الأسرية خلّفت أشكال أخرى من العلاقات

- **<u>الانحياز الأمومي للأبناء:</u>**

الزوجة بعَدم رضاها وتقبّلها للعلاقات الزواجية ستجذب نحوها أبنائها قاطعة الصّلة بالحماة خالقة بعد المسافة مما يتولّد النسب الأمومي مضمونا في علاقة الأبناء بأهل الأم، أما النسب الأبوي ما هو إلا صورة إجتماعية مكتسبة من الاسم الأبوي، يشير CAMILLERI C. أنّ "الابن هو ملك عائلة الزوج وحامل لاسمها"[78] ولكن نشير نحن أن الابن أصبح ملك الأم وحامل لاسم عائلة الزوج.

في هذا الصدّد نأتي بما جاءت به "مليكة" –أم صابر- إذ تحكي لنا على احدي كنّاتها فتقول: "... *لا تحب المجيء ولا تأتي بالولد الصغير معها*"؛ وتحكي سكينة: "*قمت بحدود بيني وبينهم... أبنائي لا أتركهم معها أبدا... فأولادي يحبّون "بويا" و"مّا"...*" مما يدعو إلى ضعف الروابط العائلية أين الزوجة تبتعد كليّا عن أسرة الزوج.

فنلاحظ أن المرأة لها دور فعال في بناء العلاقات العائلية حيث السلطة تبقى دائما تحت يدها عبر أجيال متتالية تكون بذلك الأم_قبل كلّ شيء، الآمرة والناهية والحاكمة في أمور الزواج والعلاقات الأسرية فتعتبر فاعل اجتماعي نشط تصل إلى غاية فضّ العلاقة الزوجية بعد الزواج.

- **<u>قرار التطليق</u>**

عندما الزوجة لا تتوفّق في علاقتها بالحماة يمكن أن تتفاقم المشاكل إلى حدّ إتخاذ قرار التطليق -أو الخُلع- الصادر من الزوجة[79] كما يمكن للأم أن تصدر قرار الطلاق،

---

77. LEMARCHANT C. ، سبق لنا ذكره، ص.147.

78. **<u>أنظر</u>**: camilleri C.، مرجع سبق ذكره، ص. 27-28 **<u>أنظر كذلك</u>**: الأستاذ بوتفنوشنت، مرجع سبق ذكره.

79. **<u>راجع</u>**: ضمن نفس الفصل حالة "حكيمة" ص.68.

حيث "ظاهرة الطلاق تكون نابعة من المحيط العائلي للزوج ومفروضة عليه تحت قوّة ضاغطة... لا يستطيع مواجهة الوالدين إما تحت منطق الاحترام أو التعلّق".[80]

يشير عبد القادر القصير أنّ الأسرة هي دائمة ومؤقتة في الوقت نفسه، دائمة لأنّ الجماعة الأسرية والعائلية تعدّ انتمائه الأوّلي، ولكن مؤقتة فهي قابلة للانحلال بأشكال مختلفة[81] والطلاق في هذه الحالة هو عامل من عوامل التغير المرفولوجي للنسق الأسري أين كل طرف من أطراف العلاقة يتخذ أدوار وأوضاع مبنية تحت نظام الاختيار واتخاذ القرار.

خلاصة الفصل

يوضّح "كوفمان" المراحل التي يمرّ بها الزوجين للوصول إلى الاستقرار الزوجي (الاكتشاف، الالتباس، والراحة).[82] ولكن نشير أنّ هذه الفترات الزوجية ليست مرتبطة بالزوجين فحسب ولكن لها علاقة بالعائلة الزواجية في معظمها خاصّة بالرابط الثلاثي لأطراف العلاقة ودرجة تقبل كل منهم الآخر حيث يتم الاكتشاف والتعارف والالتقاء، والتي تليها مرحلة الالتباس وهي الفترة التي تكتشف فيها الزوجة أنها لم تتزوّج بالرّجل فقط بل بكلّ العائلة قد تؤهّل إلى بروز هالة من التوترات والصراعات؛ أما فترة الراحة هي فترة التقبل الإرادي لمعايير الآخر والاندماج ضمن المكان العائلي الجديد أو اختيار الانسحاب قد يؤول إلى الانفصال.

الأسرة الزوجية يعاد بناؤها من طرف كل امرأة تحمل الجسارة والجرأة لمواجهة الواقع طالبة التغيير، بمقابل الرجل الذي يملك القدرة والكفاءة في كيفية إدارة العواطف والمشاعر ضمن العلاقات الأسرية الزواجية؛ فهناك من يختار الأم كشريكة حياة سرمدية تسكن الذات حيث العلاقة مع الأم تكون صلِدة، ومن يتمسّك بالعلاقة الزوجية محاولا الإنصاف بين أسرة الانتماء والأسرة الزوجية أين يشعر بالمسؤولية أمام دوره الاجتماعي المناط إليه بعد الزواج على أكمل وجه.

---

[80]. camilleri، مرجع سبق ذكره، ص.107. **راجع**: الفصل التحليلي للمقابلات، الحالة الثالثة، والحالة السادسة

[81]. عبد القادر القصير، مرجع سابق الذكر، ص.64.

[82]. **أنظر:** Kaufmann J-C.، ص.ص.70-75

الفصل الرابع

تحليل المقابلات

جدول المقابلات:

	الإسم	سنة الازدياد	مكان الإقامة	الأصل الأسري	المستوى الدراسي	الحالة الاجتماعية
1	شريفة	1966	وهران	وهران	الرابعة متوسط+شهادة	عاملة
2	سكينة	1975	وهران	تيارت	جامعي	عاملة
3	حنان	1967	وهران	وهران	جــامعي	عاملة
4	صابر	1975	تلمسان	تلمسان	الثالثة ثانوي+ شهادات	عامل
5	رامي	1975	وهران	غليزان	جــامعي	عامل
6	منصف	1977	وهران	تلمسان	الثالثة ثانوي+ شهادة	عامل
7	قادة والد منصف	1949	وهران	تلمسان	جــامعي	متقاعد

ملاحظة: كل الأسماء الواردة في المذكرة هي أسماء مستعارة.

سرد حياة الحالة الاولى:

شريفة امرأة عاملة، من مواليد 1966، مستواها الدراسي: "السنة الرابعة متوسط"، وأتمّت دراستها في مؤسسة تكوينية للتعليم مدّة 18 شهرا، ومنه حصلت على منصب عمل. متزوجة ولها ابنة في عمرها 11 سنة وإبن يبلغ من العمر 10سنوات، زوجها موظف –يشغل منصب سائق بالقطاع العام- من مواليد 1961، مستواه التعليمي السنة أولى متوسط، تعرّفت به في ميدان العمل إذ يعملان في نفس المؤسسة. تحكي عن نفسها:

أنتمي من أسرة عريقة، بمدينة وهران لي أخ أكبر مني سنا وأخت، وأنا الصغرى من بينهم، أمي تنتمي إلى أسرة عريقة من ضواحي وهران من مواليد 1932 وأبي كان من الجيش الفرنسي العسكري، دخل ميدان الجيش يبلغ من العمر 15 سنة يتيم الأم وزوجة أبيه كانت جدّ قاسية، ولهذا السبب تقدّم إلى الجيش وتخرّج منه في رتبة "قائد" فكان صعب الطباع. عندما تزوّج بأمي منع عليها الخروج من المنزل حتى أنها لم تتعرف على الجيران، تزوّجت منه بعهد قطع بين رجلين تحت ما يسمى "الكلمة للرّجال" فجدي زوّجها إياه حيث قال له "لا ترى ابنتي فعندما تراني كأنّك رأيتها"، جدّي معروف بطباعه الصعبة أيضا بحي "الحمري"، فلم يترك أمي وخالاتي يتمموا دراستهم وخاصّة أمي حيث بقيت في المنزل عندما بدأت تظهر علامات بلوغها ،أوّلها "النهدين (la poitrine)"كما لم يكن لديهم الحق أن يردّدوا كلمة "لا"

وأمي أرادت أن تربينا على نفس الطباع حيث كل شيئ ممنوع وحرام وعَيب، ومتعلّقة بقوانين وعادات وتقاليد العائلة الأمومية وخاصّة فيما يتعلّق بالتقسيم الجنسي؛ زَرَعت بي الرُّعب من الجنس الآخر عند مرحلة البلوغ، فعندما انتقلت إلى المتوسّطة أصدقائي الذكور لم أتخطى معهم سوى علاقة زمالة في القسم، أما خارج القسم لا أعرفهم ولا يعرفونني فمعظم صديقاتي فتيات، وكما كانت توصيني على الصداقة الجيّدة فما يفسد الفتاة سوى سوء الزمالة من نفس النوع، وبقيت أخاف من الذّكور حتى فترة متأخرة من العمر، إلى أن دخلت ميدان العمل فالتقيت مع "أحمد" زوجي حاليا، أين فاتحني في موضوع الزواج وقال لي انه مهتمّ وجديّ ويريد أن يتزوّج، فعرّفني على أسرته وأمّه حيث كانت عائلته من بين حياتي اليومية: كنت مرّات أتغذى معهم أو أذهب لشرب القهوة مساءا معهم حيث أراد أن أبني علاقة قويّة مع أمه و أخواته. كانت أمّه متفتّحة ليس كالنساء الجزائريات الأخريات فلو كانت أخرى لقالت "من هذه لتأتي هكذا تتعرّف بنا قبل الزواج أو الخطبة"، فتعرّفت على نمط عيشهم ورأيت أنه ينتمي من أسرة متواضعة مع خمس (5) أخوات وسبع (7) إخوة، وبقيت على هذا الحال لمدّة سبع(7) سنـوات بدون أن تعلم أمـــي، لو علمـت لما قبلت بهذا التعارف فكانت صعبة للغاية خاصّة بعد وفاة أبي. كما قلت من قبل كل شيء حرام وعيب ولا يجوز معها.

فإذن عندما قررنا الزواج، الخطوة الأولى التي قمت بها، تكلمت مع أخي الأكبر وقلت له أن أحد زملائي في العمل أراد أن يتقدّم لخطبتي، فتحدّث معه وتعرّف عليه، ومنه ذهب أخي إلى أمي وفاتحها في الموضوع. فتعصّبت نوعا ما لوضعه الاجتماعي لأنه كما قلت سابقا أمي من أسرة عريقة جدا وذو مستوى اقتصادي مرتفع فأهل أمي من بين العوائل التي تأتي بالخادِمات ليقُمن بالعمل المنزلي، حتى مع أبي كانت قائمة على نفس الوضع حتى توفي و بدأت تعمل على نفسها - كانت صاحبة حرفة تقوم بالحياكة والخياطة-.

حتى أبي رغم صعوبته إلاّ انه متفتح في مجالات عدّة، مثل طريقة اللباس كنا نلبس ما يهوى لنا إلى حد أنه "كان يعترض الحجاب"، ولكن من نواحي موضوع الزواج كانت من المواضيع المهمّة في العائلة، ولهذا قلت أن أمي وعائلتها كانت تهتم بالجانب المادي حتى أنها قالت لي "كيف تعيشين وتربي أطفالك فيما بعد بهذا المستوى المنخفض" حيث كانت تنظر بعيدا جدّ البعد، فقلت لها "أنا أتكفّل وأتحمّل مسؤولية اختياري"؛ فأريد أن أقول هذه مواضيع حساسة في عائلتنا فبعد الجانب المادي ينظرون إلى الأصل أو النسب، ومنه أمي لم تتقبّل هذا الزواج إلى أن أقنعتها بطريقة عويصة جدّا، وتوفيت بعد خطوبتي بسنة، بمرض عضال، وقبلها كانت قد توفيت أمُّه كذلك.

قبل أن أتمم أريد أن أحكي لك عن زواج أخي لتعلمي كيف أن قضية الأصل والنسب العائلي مهمّة، حيث أخي تعرّف عن زوجته في الجامعة، وعندما فتح أمي في الموضوع ذهبت لرؤيتها فوجدت أن أصل جدتها الأولى من أسرة يهودية اللّقب ومنه أصرّت على عدم إتمام هذا الزواج، لكن مع مرض أخي، بمرض يؤدي إلى الشلل المؤقت -إذ بقي مشلولا لمدة ستة (6) أشهر- بهذا لم ترد أمي أن تزيد عليه فقبلت خطوبته، وبعد معافاته أخذ زوجته وذهب إلى فرنسا حيث جدّتها ساعدتهم على ذلك بما أنها ذو انتماء يهودي فرنسي وبقي هناك حتى الآن ولحقت بعده أختي، وتزوجت بفرنسا.

فإذن بقيت وحدي بعد وفاة أمي، فلم أتحمّل العزلة وطلبت من خطيبي أن نقوم بالعرس في شهر سبتمبر قبل حلول شهر رمضان فلم أرد أن أبقى وحيدة، عارض أخوالي وخالاتي قضية الزواج بعد شهرين من وفاة أمي ولكنني قرّرت أنا وحدّدت يوم الزفاف وقلت لهم هي حياتي وأنا حرّة فلا أحد يستطيع أن يشعر ما أشعر به ولا أحد سوف يقضي شهر رمضان وحيدا، وكذلك لا أستطيع أن أبقى وحيدة في المنزل وأنا مخطوبة، حتّى خطيبي قيّدته فإما أن يقوم بالعرس آو يفسخ الخطبة، ومنه تم الزواج في شهر سبتمبر من عام 2002.

وهنا بدأت حياتي الجديدة والتي لم تكن معروفة عندي فلم أتهيأ لها في طفولتي ولم أعرف معنى الزواج ففي طفولتنا لم يهيئونا لهذا الموضوع أبدا ما كان يقومون به إلاّ الترهيب من الذكّر، ولم يكن لديّ فكرة عن الحياة الزوجية إلاّ ما تعلّمناه من الطهي والغسيل والعمل المنزلي عن طريق التقليد حيث الفتاة كما تعلمين أنها تريد تقليد أمّها، إلى جانب ما كانت أمي تقوله عن أسرة

الزوج أننا يجب أن نكون دائما في نقاء ونحسن تنظيف أنفسنا جيدا ونحسن اللباس للزوج وأهله وإلا سيدّعون أن الزوجة غير نظيفة ولا تحسن الرعاية بزوجها، وإلاّ سيقولون أن أمّها لم تنشئها ولم تعمل على تربيتها، فهذا كلّ ما تعلمناه. حتى بالنسبة للعادة الشهرية لم يكن لديّ فكرة عنها حتى فوجئت يومها وقلت لأمي وأنا خائفة "لم أفعل شيئا، لم أفعل شيء"، فعيب أن نتكلّم في المواضيع الجنسية، كما أنّ مواضيع الحب والغرام، تعتبر طوباوية.

فإذن أريد أن أقول بطريقة أخرى أن الزواج أساسه وقاعدته "أسرة الزوج" ولم أكتشف هذا إلاّ بعد الزواج ، تعرضت للمشاكل مع أخواته وخاصّة أخته الكبرى التي باتت هي صاحبة إدارة المنزل بعد وفاة أمها، فعلى الرغم من أنني تعرّفت بهم إلاّ أن ما يسمى "بالعشرة" هي التي توضح معنى الزواج فنحن نتزوّج بالأسرة وليس الزوج؛ أَقَمت عندهم أو معهم حتى بلغت ابنتي سنة ونصف، وابني كان له ستة أشهر.

أنت تعلمين منزل غريب عني وأنا غريبة عنهم فكل وله اتجاهاته ونمط عيشه، كما أنني موظفة وهم ماكثين بالبيت، فليس من الممكن تقبل كل منا معايير الأخر وقوانينه ومع ذلك تحمّلت "صبرت" فكلّ يرتكز على ما يسمى "تربّص stage"، فهذا هو الزواج الجزائري والمرأة الجزائرية حيث ينظرون للزوجة كيف تطهي، كيف تنشر الغسيل، كيف تتكلّم، كيف تقوم بالأعمال المنزلية، كيف تقوم بتزيين منزلها، طريقة الطهي...إلخ، وبما أنني طوال النهار وأنا خارج المنزل يتركون كل أعمال المنزل ليلا لأقوم بها أنا وحدي. ومن المشاكل التي تعرضت لها مع زوجي في بداية الأمر من الجانب المادي، فالعائد لا يكفي لتلبية متطلبات الأسرة.

فاعتبرت بذلك الزواج مشروع "Projet" لا بدّ من نجاحه، لا ينجح مائة بالمائة ولكن في كل الأحوال لابدّ من التصدي له، فالطلاق ليس له مفهوم في العائلة وهو فشل، من غير الممكن أن نتفوّه به ولا يمكن أن نفكّر فيه فلابدّ من المواجهة، وهذا ما قمت به، فبدأت أفكّر كيف أخرج من هذا المنزل وأذهب إلى منزلنا الذي هو مغلق بدون فائدة؛ زوجي كان معترضا ولكنني أخذت ملابسي وأولادي وذهبت، كان لابدّ أن أقوي شخصيتي، وإلاّ يَبْلَعُونَنِي ويأكلونني وأنا ليس لديّ أحد، لو كانت أمي على قيد الحياة ورأت ما فعلته وكيف تصدّيت لهم لقالت من الغير الممكن أنها ابنتي، فلقد قوّيت نفسي وهـــاجمتهم وكأنني لست أنـــا، فحـــاسبتهم على كل شيء قائلة لهـم " j'ai été une femme de ménage avec vous"، وكذلك نظامهم لا يتناسب معي وأنا امرأة عاملة: فمثلا يذهبون لشراء لوازم الطّبخ على الساعة الحادية عشر (11H) والغذاء على الساعة الثانية زوالا (14H).

فإذن في أوّل فرصة وجدتها، خرجت من المنزل وبعد يومين أتى زوجي ليتبعني ويسكن معي، ففي الأول قلت أنه لم يرضى تخوّفا من كلام الناس والجيران حيث يمكنهم القول "حَقْروا

البنات مْسَاكن" وهم أوّلا وقبل كل شيء أخواته. الشيء الذي لم أتحمّله كان يسمع لهم في كلّ كبيرة وصغيرة "يْحَرْضُوه عليّ".

لم يكن الزّوج الذي يواجه، فأنا من غيّرت نمط حياته وأنا من حوّلته إلى رجل له ممتلكاته الخاصّة حتى أنني فعلت ما بوسعي لكي أشتري السيارة وها أنا اشتريت منزلا تحت "AADL" بمساعدة أخوالي -فقلت لك أنهم من مستوى اقتصادي راقي "كافيين ماديا"-.

فإذن لا بدّ من قوّة الشخصية فالمشاكل توصل الإنسان أن يواجه الحياة حيث لم أتركهم يطبقون الهيمنة والتسلط علي. فليس كما كنا نتمنى نلقى فكنت أتخيل الزواج والرجل حياة زهرية لم تكن أسرة الزوج من بين الأحلام فما كان في الحلم ما نراه في الأفلام والحياة الرومنسية، كأن نخرج أنا و زوجي للتنزه...مثلا، ولكن ظروف الحياة الزوجية مغايرة عما كنا نتوقّع فلم أكن أتوقع الأسود كنت أتخيّل إلاّ الوردي. ولكن حب الزوج يساعد على تحمّل بعض أعباء الحياة. ولكن هو زوجي أمّا أولادي فهم جوهرة حياتي.

تحليل تصريحات المبحوثة (الحالة الأولى):

امرأة أثبتت ذاتها وفرديتها ضمن المجال العائلي بقوّة شخصيتها.

1. **اختيار الشريك بين الماضي والحاضر: الفضاء المهني أصبح مكان تعارف بين الجنسين**

هذه الحالة وضّحت لنا الاختلاف القائم لظاهرة الانتقاء لقرناء الأزواج ضمن الواقع الاجتماعي الحالي مقارنة مع زمن تقليدي متمسّك بخصائص تقليدية لنظام الزواج إذ أصبح المجال المهني هو الخط الفاصل بين الزمنين.

في بادئ الأمر تحكي لنا "شريفة" عن الأسرة التقليدية من خلال زواج أمّها من أبيها، في زمن كان الاختيار للشريك ضمن المجال العائلي أين لا يمكن للمرأة الخروج من المنزل بعد فترة معينة من العمر فتتخذ وضع المرأة الماكثة بالبيت ومختفية عن أنظار الجنس المغاير، فتقول:"...جدي... لم يترك أمي وخالاتي يُتمموا دراستهم... عندما بدأت تظهر علامات بلوغها... كما لم يكن لديهم الحق أن يردّدوا كلمة "لا"... "

الفرد كان خاضعا ومنصاعا لقوانين صارمة ضمن نظام تقليدي مفروض عليه، خاصّة في المواضيع المتعلّقة بالزواج حيث اختيار القرين واتخاذ قرار الزواج هي تحت تصرّف العائلة ومن الشخص الحامل للسلطة والهيمنة له الشرعية في إصدار الأوامر حيث الفرد لا يحقّ له الرّفض كما لا يجوز الالتقاء مع الجنس الآخر قبل الزواج، فأم شريفة لم تلتقي

بزوجها ولم تره إلا في يوم زواجها فكان "يعتبر الزواج هو مؤسسة الالتقاء مع الجنس الآخر"[1]

هذا النظام القديم التي نشأت وتطبّعت عليه الأم بقيت محافظة عليه ومتمسّكة به استبطنته في أواصلها أرادت بذلك أن تعيد إنتاجه، خاصّة فيما يتعلّق بالتقسيم الجنسي، فالتربية التقليدية مبنية على هذا الانقسام، إذ تقول شريفة في هذا الصدد: "زرعت بي الرّعب من الجنس الآخر... وبقيت أخاف من الذكور... إلى أن دخلت ميدان العمل، فالتقيت مع... زوجي حاليا"

من الملاحظ أنّ الأم استعملت هذا الترهيب والتخوّف من الجنس المغاير، كميكانزم للضبط الاجتماعي مواكب للتغيرات الاجتماعية التربوية واقتصادية أين المجال العام أصدر إجبارية التعليم والتعلم لكلا الجنسين ووفّر مناصب الشغل، حيث أسفرت المرأة عن وجودها خارج المجال الخاص، فانقلبت الموازين للمعتقدات الأسرية لموضوع الزواج المرتّب، إذ أنّ **ميدان العمل أصبح المكان الذي يتم فيه الالتقاء والتعارف بين الجنسين** حيث باتت العلاقات مشوّبة تم فيه اكتشاف الجنس الأخر نتج عنه بناء علاقات ثنائية يطمح كل طرف في بناء أسرة مع الآخر.

فبات الاختيار للقرين بين فردين واعيين بالذات التي تهيأت للدخول إلى مرحلة الزواج أين تم اتخاذ القرار المبدئي والبدائي بينهما تولّدت بذلك علاقة ثنائية تهدف إلى إنشاء علاقة زوجية، موضّحة شريفة:"...التقيت مع "أحمد"... أين فاتحني في موضوع الزواج وقال لي... أريد أن أتزوّج".

فيمكن أن نعتبر هذه الفترة من بين الخطوات المهمة لبناء الأسرة ضمن مجتمع بدأت تظهر فيه علامات التغيّر في موضوع اختيار القرين. فالفتى تقدّم أولا للفتاة وطلب يدها فرديا بعد التعرّف إليها موضّحا جدّية العلاقة التمهيدية التي تكوّنت بينهما، فتعتبر كبداية التهيّأ لبناء علاقة زواجية ضمن معتقدات أسرية لا تزال محافظة.

[1]. فسيان حسين، رسالة الدكتوراه، سبق ذكرها، ص. 267

2. اتخاذ قرار الزواج ضمن نظام أسري محافظ

تقول شريفة: "...لو علمت (الأم) لما قبلت بهذا التعارف...كل شيء حرام وعيب...".

يوضح Lacoste-Dujardin كيف أنّ "الأم...أكثر معيارية مع البنات، توجه تخوفات وقلق نحوهنّ... فتستنجد بطـريقة سحـرية لتحفظهنّ ابتداءا من سنة من الاغتصـــاب"[1] فلا يجوز للفتاة الدخول في علاقات عاطفية، "لابدّ لها أن تحافظ على عفّتها وشرفها وشرف عائلتها من خلال المحافظة على عذريتها"[2] التي تعدّ من المعايير الأساسية للانتقال إلى مرحلة الزواج، فهي شرط من شروط السيرة الذاتية للتوظيف ضمن المنضـومة الأسرية الزواجيــة "CV de recrutement au mariage"[3]

عذرية المرأة لا بدّ منها بالنسبة للزوج. يُعتبر قانون اجتماعي للعائلة إذ هو الوحيد الذي يُؤمّن الأبوة الشرعية ومراقبة الخصوبة الأنثوية؛ العذرية مؤسّسة اجتماعياً، هي في نفس الوقت قيمة ثقافية، دينية وإيديولوجية فإذن هي تحت مراقبة اجتماعية لا يمكن تركها تحت عبث الأفراد[4]

كما لا يستوجب التعرف على أسرة الزوج قبل الزواج. لكن الفتى عرّفها بالأم والإخوة والأخوات بعد اتخاذ قرار التهيؤ والاستعداد للانتقال إلى مرحلة الزواج : "بدون أن تعلم أمي... عرّفني على أسرته... "

أ. الزواج تعاقد أسري وليس فردي:

تقول "شريفة" أنّه قبل الزواج: "...أراد... أن أبني علاقة قويّة مع أمه وأخواته..." فالفتى كان يطمح في جلب انتباه العائلة للفتاة والتعرّف على خصالها لتتمّ الموافقة عليها كعضو من أعضاء العائلة حيث يَجني القبول الأسري وخاصّة من الأم، مما يتوّضح أنّ الاختيار لا يعدّ فردي؛ وبالمقابل شريفة -عندما قرّرا الزواج- عرّفته بأخيها كخطوة أولى، إذ تحكي: "...تكلّمت مع أخي الأكبر... تحدّث معه... ومنه ذهب أخي إلى أمي وفاتحها في الموضوع"، مما يثبت أنّه لا يمكن غض النظر عن قرار الأسرة وموافقتها والتي تتضمن

---

[1]. (Garnero, 1982, p.115)؛ نقلا عن: LACOSTE-DUJARDIN Camille، مرجع سبق ذكره، ص.74.

[2]. **أنظر** : camilleri C.، مرجع سبق ذكره، ص. 29

أنظر كذلك: DUJARDIN Camille، مرجع سبق ذكره، ص.83

[3]. مصطلح مأخوذ من مرجع (*Textes* : "formation du couple" -.Michel Bozon et François Héran, (2006) (*essentiels pour la sociologie de la famille*, Éditions La Découverte, Paris.

[4]. LACOSTE-DUJARDIN Camille، مرجع سبق ذكره، ص.88

قوانين وتصورات وتقاليد وأعراف لابدّ من التقيّد بها. فالنسق الأسري ضمن التغيرات الاجتماعية لا يزال محافظ، حيث قرار الأسرة مهمّ جدا في المجتمع الجزائري، فالزواج يحتذي بالقبول الأسري وإلاّ لن يتمّ.

فتمَّ القبول من طرف أم الفتى ولكن أم الفتاة وقفت حجرة عثرة أمام هذا الزواج موضحة شريفة وعي أمها لانتمائها الذاتي المرتبط بالأسرة الحاملة لشخصية إثنية نرجسية[1] معترفة بالأم المفتخرة بمستواها الاجتماعي والاقتصادي:"....أمي لم تتقبّل هذا الزواج... لوضعه الاجتماعي... هي من أسرة عريقة جدا... تهتم بالجانب المادي... والأصل والنسب..."

و تدعّم شريفة أهمية المعايير الأسرية في قضية الزواج بزواج أخيها التي لم ترضى به الأم كذلك حيث أخبرتنا: "...أخي تعرّف على زوجته... فوجدت أن أصل جدتها الأولى من أسرة يهودية اللقب... ومنه أصرّت على عدم إتمام هذا الزواج..."

مما يدلّ أن رأي الأم ضروري و قرار الزواج يعود إليها، مما يتبيّن أنّ الزواج هو تعاقد أسري بين عائلتين وليس بين فردين، فكان من المستوجب على "شريفة" إيجاد طريقة ليتم هذا التعاقد، فرغم وعيها بتقاليد العائلة وأواصرها العرفية لموضوع الاختيار لقرناء الأزواج، إلاّ أنها أصرّت على هذا الزواج.

ب. بروز المرأة كفاعل اجتماعي يحدث التغيير:

واجهت "شريفة" الأم حيث: "أقنعتُها بطريقة عويصة جدّا... وقلت لها أنا أتحمّل مسؤولية اختياري..." مما يدل أن المرأة تستعمل أساليب الإقناع أو التمرّد لتحضى بقبول الأسرة، أين شريفة أثبتت وجودها كفرد يرغب أن يصبو إلى الانفرادية من خلال سلطة الإقناع أمام الإصرار مُستعملة الضمير "أنا"، والذي يعني أن الفرد في مرحلة **تصميم الذات "الأنا الحقيقية" أين يشعر بالاستقلالية**[2] حيث يقوم بالمعارضة لبعض القيم والمعايير الاجتماعية يريد تكوين حياته الخاصة ويحدد مستقبله بطريقة فردية، أين يتلفّظ بحرف النفي "لا" المحقّق كذلك للذات المستقلّة.

[1]. **راجع**: الفصل الثاني، تهميش ص.39، فسّرنا معنى النرجسية الاثنية.

[2]. François de singly، (2002)، مرجع سبق ذكره. ص.3

"WALLON " يبيّن أن الشخصية الفردية تتولد وتنمو وتتحقق عند الوقوف في موقف المعارضة، فالرّفض يُولّد ويُنتج الفرد، كما أن الشخصية والخصائص الذاتية لهما نفس المعنى فكلاهما يبرز مفهوم الهوية الفردية"[1].

و"شريفة" استعملت الضمير "أنا" بصفة قويّة ومتكرّرة في كل أطوارها التنشئوية القادمة، أصدرت القرارات وفرضت الفروض بطريقة فردية حيث تحكي:

"...عارض أخوالي... قضية الزواج بعد شهرين من وفاة أمي ولكنني **قرّرت "أنا"**... وقلت لهم **هي حياتي و"أنا" حرّة**... حتّى **خطيبي قيّدته** فإمّا أن يقوم بالعرس أو يفسخ الخطبة، ومنه تمّ الزواج..."، فتكوّنت بالتالي أسرة حديثة النشأة.

فمهما أن المجتمع يقيد الفرد ويضبط سلوكياته إلى حد الانصياع والخضوع، إلاّ أن الفرد بدوره هو فاعل اجتماعي يمكنه أن يترك بصمته ويُحدث التغيير، وهذا ما يتضح جليا في حياة "شريفة" التي فرضت رأيها وتوصّلت إلى مرادها. **فتكوّن الثنائي، وبنيت أسرة زوجية تحت عزيمة أنثوية**. وهنا يمكن القول أن الفرد نتج وتولّد من الجنس الأنثوي. فـ"شريفة" كوّنت شخصية صلدة، قويّة واجهت بها المواقف الزواجية إلى غاية فترة ما بعد الزواج.

3. واقع الأسرة حديثة النشأة: هي علاقة ثلاثية و ليست زوجية:

تقول شريفة:"...بدأت حياتي الجديدة والتي لم تكن معروفة عندي...كنت أتخيل الزواج... حياة زهرية... ولكن ظروف الحياة الزوجية مغايرة..."

هذه المرحلة التي دخلت إليها شريفة، هي المرحلة الموالية بعد البناء الزوجي حيث تمّ إنشاء علاقة زواجية وتكوين أسرة حديثة النشأة، تعرّفت ضمنها على واقع الحياة بعد الزواج. هذا الواقع المجهول الذي لم تتعرّف عليه ولم تتصوّره "شريفة" إلاّ ورديا بين عينيها، أين المرأة قبل الزواج تخلط بين الخيال والواقع حيث الحب الرومنسي المكتسب بطريقة تخيلية في الفترة التنشئوية تعطي تصوّرا خاطئا لمعنى الزواج، وهذا ما وضّحه عبد الله محمد الغذامي في نصٍّ له يحمل عنوان "الزواج السردي"[2] حيث كتب بقلمه: "حكايات الحب الكبرى هي مجرد خيال وتلفيق... ما يعني أننا هنا أمام خطاب مجازي... لصورة العلاقة بين الجنسين"

---

[1]. فسيان حسين، سبق لنا ذكر عنوان الرسالة، ص.ص. 287-288.

[2]. "الزواج السردي : الجنوسة النسقية"، لعبد الله محمد الغذامي -أكاديمي وناقد أدبي وثقافي سعودي- **موقع النص**: http://www.aljabriabed.net/n51_11ghaddami.htm

فالشخص المقبل على الزواج لا بدّ أن يكون أكثر واقعية وواعي بواقع الحياة الزوجية، حيث الفتاة ستدخل ضمن نظام اجتماعي عائلي أين ستُبني علاقة ثلاثية وليست زوجية حيث اكتشفت "شريفة" أنّ : "الزواج أساسه وقاعدته أسرة الزوج..."

ترفُض الزوجة رمزية هذه العلاقة بعد الزواج، معترضة لكل سلطة وهيمنة ومتقاعسة لأوامر العائلة، إذ: "...تعرضتُ للمشاكل مع أخواته..."، فلم تَستطع الاندماج ولم تتقبل معاييرها التي لم تكتشفها ولم تعرفها إلا بعد ما سمّته "بالعُشرة" أين أصبحت فردا من أفراد الجماعة يستوجب منها الاندماج ضمنها بتقبّل قوانينها؛ ولكن المعيار الإرادي (♦) لم يكن من المفاهيم المعرفية لديها، فلم تكن لديها الإرادة الكافية للاندماج والتطبّع على نمط حياتهم المخالف تماما لاتجاهاتها ويحول بينها وبين رغباتها في تحقيق ذاتها، قائلة: "فكلّ يرتكز على ما يسمى بالتربّص... حيث ينظرون للزوجة... كيف تقوم بالأعمال المنزلية..."

لاحظنا أن الزواج هو ظاهرة اجتماعية، تدخل من خلاله المرأة ضمن منضومة أسرية تحمل قوانين لا بدّ من الانصياع لها، أين ستُختبر كفاءتها وإمكانياتها الخاصّة للعمل المنزلي خلال فترة تربصيّه **حيث يتم تقبّلها كعضو من أعضاء المنضومة أو لا**.

ولكن شريفة أثبتت إمكانياتها ووجودها كامرأة تريد إعادة بناء العلاقة الزوجية: "...اعتبرتُ الزواج مشروع... لابدّ أن أقوي شخصيتي...".

أ. **إعادة بناء الأسرة الزوجية**:

تستخدم الزوجة علامات قوة الشخصية لمواجهة الواقع الذي من غير الممكن تحمّله بعدما وَعِيت بظروفها ووضعها الساحق، حيث الفتاة لم تتزوج بالرجل التي كانت تطمح أن تكوِّن معه علاقة زوجية، وإنما تزوّجت كذلك بأهله المستوجب منها خدمتهم والسهر على رعايتهم بدون تأوّه ولا شكوى، إذ تدخل في صراع أسري.

فإنّ الغياهب التي عاشتها على إثر مكانتها المزدوجة ككنّة وزوجة ضمن النظام الأسري منحتها القدرة على اكتساب الوعي الذاتي والبحث عن الأنا الخاصّة، مما يتضح أن وعي

♦ . بارسونز يفرق بين المعيار العام (normative) و الواقعي (Factual) كما يفرّق بين المعيار الذاتي والإرادي حيث الفرد يرضى بالمعايير المحددة من طرف الجماعة فيستبطنها ويتقبل الاندماج. يقول "تالكوت بارسونز": "الفرد هو فاعل له إرادة حرّة في تحديد أهدافه في ضوء معايير تعتبر محركات غير منظورة للسلوك... وهذا جوهر الاختلاف بينه وبين "إيميل دوركايم". فدوركايم لم يفرق بين قوة المعايير وقبولها الاختياري من جانب الأفراد، أما "بارسونز" يرى أن الفاعل يقبل المعايير كجزء من تكوينه، ومنه يصبح الفعل الاجتماعي له معنى ذاتي وإرادي في نفس الوقت فهو يتوحّد إراديا مع المعايير." **عبد الباسط محمد حسن، علم الاجتماع: المدخل، دار غريب، بدون تاريخ. ص.161**

الفرد بذاته التي استؤصلت وبوضعه الذي أهدر هو من ابرز العوامل التي تؤدي إلى تقوية الذات ومجابهة الواقع لتغيير الأوضاع.[1] وكما يقول "دوتوكفيل": "روح المصـــالح الشخصية هي الدافع الأقوى للثورة والمطالبة بالتغيير..."[2] وهذا بخلق روح صلدة وتقوية الشخصية تساعد الفرد على تجاوز الصعاب.

يعرّف "عبد المحسن عبد المقصود سلطان" قوة الشخصية على أنها: "...هي تلك الشخصية التي تُقْدِم على عمل شيئ الذي اقْتَنَعَتْ أن فيه الخير لها... في جرأة وشجاعة... فهي حرصَه على النجاح والوصول إلى تحقيق الهدف..."[3] ويقول "دوتوكفيل"[4] :"الحيـاة ليست فرحا ولا حزنا وإنما أمر جاد نتحمل مسؤوليته ويتمثل واجبنا نحوها أن نبذل قصارى جهدنا" للوصول إلى تحقيق النجاح الأسري حيث الطلاق يعتبر فشل بالنسبة لها وللعائلة ككل ولا يحقّ النكوص والتراجع.

وبكل جرأة وجسارة حاولت إعادة بناء الأسرة الزوجية، موضّحة شريفة: "...في أوّل فرصة وجدتُها خرجت من المنزل، **وبعد يومين أتى زوجي ليتبعني**...". حيث الزوج عارض في بداية الأمر تكوين أسرة نووية خارج المجال العـائلي المشترك مـــع أخـواته فـ: "...في الأول لم يرضى..." أين وقع التنافس بين النساء على نفس الرجل(♣)

إعادة بناء العلاقة الزوجية هي عملية معقّدة، أين الفتى سيحتلّ موضعه كأب وزوج داخل النسق الأسري وفي الوقت نفسه هو ابن لعائلة وأخ مسئول على أخواتــه بعد فقدان الأم، حيث الأخوات لهم مكانة اجتماعية والرمزية قويّة ضمن العلاقات الأسرية.

ولهذا يجد نفسه بين نارين تحت إجبارية الاختيار واتخاذ القرار الفردي لإنشاء منضومة نووية أو زوجية وبالمقابل من الصعب عليه التخلي على إخوته اللواتي لم تتزوّجن بعد،

---

1. **أنظر:** مصطفى حجازي، الانسان المهدور: دراسة تحليلية نفسية اجتماعية، المركز الثقافي المعرفي، الطبعة الأولى: دون تاريخ. ص.226

2. **أنظر:** جوزيف ابستاين، سير العظماء: "ألكسي دو توكفيل" المرشد إلى الديمقراطية، تر: سمية ممدوح الشامي، مراجعة : أسماء محمد عادل، دار كلمات عربية للطباعة والنشر، مصر: القاهرة، الطبعة الأولى ، 2010.

3. عبد المحسن عبد المقصود سلطان، مرجع سبق ذكره، ص.369

4. **أنظر:** جوزيف ابستاين، نفس المرجع السابق.

♣. أعطى لها الأستاذ فسيان حسين في رسالة الدكتوراه المذكورة مسبقا، ص.ص.271-272، "بأوديب الأفقي موضحا أهمية العلاقة بين الإخوة والأخوات. باعتبارها علاقة أساسية وعميقة ضمن صعوبات الحياة اليومية للعلاقات الزوجية، أين سيكون التنافس على نفس الرّجل..."

و من ناحية أخرى يدعّم فوّة العلاقة بين الإخوة والأخوات، في هامش الصفحة لقصّة قبيل وهبيل للمجتمع الثقافي الإسلامي موضحا بذلك "أحد الإخوة لم يرد مفارقة أخته التوأم حيث فُرض عليها الزواج من أخيها الغريب عنها والذي قتل من طرف أخيها التوأم غيرة عليها. في حين أن الآخر قبل الأخت الغريبة عنه أن تصبح جزئ من ذاته. وهذا كان من بين استراتيجيات الحد من الزواج الداخلي ضمن مجال زنى المحارم مثل تحريم الأم. -ونفس القصّة كانت مع أوديب الذي توصّل إلى قتل الأب من خلال الرّغبة في الأم-... فيمكن اعتبار أنّ اختيار الشريك هو كبديل للأخت أو للأم... فالملاحظ هنا أننا نقف أمام مجموعة أفراد أين نجد علاقات متبادلة بين الهوية الجماعية وهوية الذات"

وهنّ كل ما تبقى له من الأسرة الدموية ولا يمكنه تركهن لوحدهنّ خاصّة أن المجتمع الجزائري التقليدي يحتذي بالرجل كابن وأخ مسئول عن العائلة بعد الأب.

فزوج شريفة لم يتبعها إلا بعد فترة زمنية قدّرتها شريفة بيومين كاملين، مما يمكن إثباته أنّ هذه الأسرة النووية إذن تكوّنت على يديها بجسارتها، بدخول عوامل القوة والصراع ضمن العلاقات الأسرية، أين أصبحت امرأة راشدة وواقعية متحمّلة مسؤولية اتخاذ قراراتها، مما يثبت أن المرأة باتت الواجهة الأساسية ضمن المؤسسة الاجتماعية، جذبت زوجها ضمن حياتها بعدما ضمنت مكانتها ضِمن النسق العائلي كأم إلى جانب استقلاليتها المادية، فكلّها عوامل ساعدت على تحقيق الرابط الزوجي إذ أعطت لها القدرة على اتخاذ القرارات ومواجهة أرض الواقع. أصبح بذلك زوجها رجل راشد ومسئول عن عائلة.

خلاصـــــة:

تكوّن الثنائي قبل الزواج، ولكن استوجب على كل منهما جلب رضا الأم حيث من خلالها يتمّ صدور القرار النهائي لبناء علاقة زواجية، أين التعاقد يتم بين أسرتين وليس بين فردين.

أمّا العلاقة الزوجية تجسّدت بعد الزواج وأصبحت ذو معنى من طرف المرأة الحاملة لشخصية صلدة واجهت واقع اجتماعي لم ترضاه.

ومما يمكن ملاحظته، أن ظاهرة الفردانية برزت عند الجنس الأنثوي وليس الذكوري فالإقناع والإصرار والتمرّد ضدّ الواقع كان من طرف المرأة، والاختيار كان نسوي في مجتمع يزعمون أنه أبوي ذكوري.

سرد حياة الحالة الثانية:

"سكينة" من مواليد 1975 بتيارت تزوّجت بوهران، لها مستوى جامعي. زوجها من وهران ذو أصل وهراني، من مواليد 1969 له مستوى ثالثة (3) ثانوي.

طلبتُ منها سرد التنشئة الاجتماعية لحياتها الخاصّة والحاملة لثلاث مراحل: ففي بادئ الأمر تسلّط الضوء نوعا ما حول التنشئة الأسرية، إلى جانب فترة التعرف على الشريك والاستعداد للزواج، والمرحلة الأخيرة تتضمن مرحلة الدخول في الحياة الزوجية.

فركَّزت المبحوثة في أغلب حديثها على علاقتها مع أبيها، المتأثرة جدّا به، كما تُفرغ ما في جعبتها إذ تتكأ الجراح فتركّز على حياتها الزوجية وعلاقتهـــا مع "الحمـــاة"، فتحكي قـــائلة -ظاهرا على وجهها علامات التبرّم والمأساة، وكأنها غير راضية عن حياتها- وبانفعال:

نشأتي كطفلة كانت طبيعية، أنتمي من أسرة محافظة كانت أمي كسائر الأمهات ربتنا نحن ثلاث بنات وستة إخوة، ولكن الأب كان صارما وذو اتجاه واضح في أمور الحياة اليومية وحريص علينا من الحياة المستقبلية فدائما يوجّه توصياته الخاّصة لنا نحن البنات والأولاد.

...من أهم اتجاهاته، أوّلا طريقة اللباس، نلبس كل ما نريد ولكن في حدود، إلى جانب توصياته حول الأصدقاء وعلاقتنا بهم، وفيما يخصّ الأولاد كان يحرص أن يدخلوا المنزل قبل المغرب... وأهم ما كان يحرص عليه التعليم وإتمام الدراسة، كان يحبّ التعليم لكلّ الأبناء.

...نحن البنات -طوال حياته- لم يقم بضربنا ولكن عندما يقف وينظر إلينا نذوب بالخوف. هاهم أخواتي الأولاد كان يمدّ يده عليهم وهم كبار في السن، فيظهر غضبه لو جاء أحد متأخرا إلى المنزل أو لاحظ بعض الأشياء الغير مرضية من عندهم -وتعطي إشارة الصّرامة بإيماءات في الوجه وإيحاءات باليد-... في الحقيقة عمل على تربيتنا بصرامة، ولكن وجدناها في الكبر وخاصة بعد الزواج كلانا نحن الفتيات والفتيان، "خوتي" لحد الآن متزوجين ومازالوا محافظين على ما نصّ عليه أبونا، كان يصرخ عليهم وهـم متزوّجين –تقولها بتعجّب وانفعال، ومعجبة به- كل ما قدّمه من نصائح كانت في صالحنا.

...أما فيما يخصّ الأم عادي، كانت ماكثة بالبيت، وتقوم على رعايتنا، تعلّمنا منها الطبخ والأعمال المنزلية، ولكن أبي، هو من كان يوّجه التحذيرات اليومية وخاصّة المستقبلية، كلّ ما اكتسبناه من طرفه وجدناه بعد الزواج

...ربّانا على اتجاهات عملنا بها كذلك عند الاختيار للزواج. هاهي أختي الكبرى لم تتزوّج حتـــى اشترت منزلا وسيّـــارة، والأخرى كـــانت لا تبعثر "شهـــريتهـــا"، فأعدّت جهاز العروس (le trousseau) بنفسها للزواج، فكان يعلّمنا كيف نقتصد وندبِّر أمورنا، كان دائما يقول لنا: "الدرّاسة والعمل سلاحكم ليس الرجل. فبكلّ بساطة أقولها لكِ علّمنـــا كيف نعيش، -يرحمه الله-...

مات هذه سنتين... وبالنسبة لاتجاهاته حول الزوج، لم يكن له أيّة معايير محدّدة المهم "خدّام" و"ولد ناس"، ولكن كان يشترط أن نداوم العمل ومنزلا مستقلا، هذين الشرطين الأساسيين...كان عنده فكرة المرأة العاملة "الخدّامة" لا تقدر للعائلة الكبيرة.

فأنا مثلا لم أقدر العيش معهم (عائلة الزوج)، سكنتُ معهم لمدّة خمس (5) أشهر فقط ولم أقدر: ليس لهم توقيت محدّد للغذاء والعَشاء، وأنا عاملة أريد أن أنام باكرا، كما أنّ الطبخ لإثنين ليس مثل ثمانية أفراد حيث كنآ ثمانية (أنا وزوجي، والديه وأخته الأرملة "هجّالة" وابن أخته -تربّى كأخ لهم في وسطهم- واثنان إخوة بدون زواج، خلافا عن اخوتيه البنات(2) متزوّجتين، وأخواه الاثنين متزوّجين مع زوجاتهم وأبنائهم الصغار عندما يأتوا ضيوفا عندنا).

-يرحم بُوك- يَتَعَشَوْا على الساعة العاشرة مساءا، فمتى أحطّ الطاولة ومتى أغسل الأواني ومتى أذهب إلى النوم، أنا أقوم بكلّ الأعمال المنزلية حتى ولو أخواته البنات في المنزل. زيادة على ذلك كل واحد "يتعشّى" لوحده فكلّ واحد لـه وقت خاص به ليأكـل، العشاء في أي وقت ينحطّ على الطاولة، فــأريد القول -tu débarrasse la table plusieurs fois–. إخوته يدخلون المنزل ليلا في أي وقت؛ وكما تشترط حماتي "عجوزتي" إذ تقول لي: حتى يأكلوا جميعا بعد ذلك تأكلين أنت... يعني، حتى يأكل الرّجال وبعد ذلك نأكل نحن النساء جميعنا. ولكن لو كنت وحدي في منزل مستقل، ولو لن أستطع القيام بأحد الأعمال المنزلية أتركها للغد.

-أزيدك علما- حتى الجوع قطّعني فالأكل بحدود ولا أستطيع أن أفتح الثلاجة وتعرفين المرأة الحامل تجوع سريعا -لم أستطع-. كما بدون أن أخبرك على شهر رمضان والعيد الصغير والعيد الكبير كل شيء فات عليّ، تعلمين العقلية القديمة: "الكنّة" تقوم بكلّ شيئ، حتى وأنا مريضة، من المفروض أن تنهضين وتقضين شغل الدّار، لو أكـون في المَـوْت –بتعجّب تقولها-

....بالنسبة للاختيار، "جَابُوهُولي" لم أتعرّف عليه، أخته وأختي يعملان في نفس ميدان العمـــــل -فأختي تزوّجت بوهران-، كانت أخته تردّد دوما أنهم يذهبوا لخطبة فتاة ولا يكون "المكتوب" (النصيب)، فعلِمت أن أختي لها أخت في سن الزواج، حيث قالت لها: كيف لا تقولي لي أن لديك أخت في سنّ الزواج، فلا نجد أحسن منكم، فطلَبت منها أن تُحدّد موعدا لكي يراني أخوها، وهذا ما كان فعلا، فالتقيت معه في مكان عام وتفاهمنا، واشترطت عليه "سكنا مستقلا والعمل"، أمـا هو لم يُعْطيني أيّة شروط وعندما أتممنا الحديث قلت له إذا يريد أن نتكلّم هاتفيا، فلم يرضى وقال لي: "متى تأتي أمّي لإتمام الخطبة" فأجبته: "متى شئت". فإذن بين الخطبة والعقد والزواج ثلاث (3) أشهر، كان عام 2010، كنت أبلغ من العمر 35 سنة.

...أبي لم يعارض فلم يقيّد أبدا الاختيار الحرّ للزّوج، كما أنّه لا يفرضه علكِ أيضا، حتى أخواي اختاروا لوحدهم، فقلت أنه يشترط العمل والبيت المستقل. ولكن بعد الزواج بقيت معهم لمدّة خمس (5) أشهر، وكما تعرفين عروس جديدة تبدأ معهم و لو لفترة قصيرة.

ولكن، وبعد ذلك رأيتهم سكتوا، فلم أتحمّل لم أستطع مواصلة العيش معهم في ذلك النظام، وبعد ذلك كوّنت مطبخي وحدي وانفصلت عنهم. -فقلت لكِ- لم أستطع مواصلة الوضع. هذا حتى "سلايفاتي" لم يقدروا، مع أنهم ماكثين بالبيت، فخرجوا من المنزل لبناء أسرة مستقلّة، فأنا طلبت إلاّ أن أصعد إلى الطابق الثاني ليس إلاّ. وأحكي كيف تمّ ذلك:

أوّلا قلت لأمه، -بتعجّب تتلفّظ- "كي عَمْلت؟!" لم ترضى انزعجت و"عَبَسَت". حتى زوجي لم يرضى... فلم يُرد تحمّل المسئولية حتى أنه تزوّج يبلغ من العمر أربعين (40) سنة لم تكن أبدا له فكرة الزواج، لا يريد المسؤولية، كان أبوه هو المسئول عن العائلة هو من "يَصرف عليهم"، ولكن "شيخي" عندما أخبرته أنني أريد "مطبخي لوحدي" لم يعارض حيث قال لي"حتى أنا "مادابِيَّ" لكي يتعلّم ابني تحمّل المسؤولية.

فإذن شهر يضمن شهر حتى واجهت الأمر ووَضعتهم أمام الأمر الواقع. فإذن كان عنده بعض الأشياء اشتراهم هو في عزوبيته، وزِدت أنا بعضهم وقمت بمطبخي لوحدي، كان من اللازم مواجهتهم "عجوزتي شْنْفَتْ". "يرحم بوك"، "ماقَدّيتشْ" لم أشعر أبدا بالاطمئنان، "تشْنُّف على راسها" !. حتى الآن ولا أشعر بأنّني بنفسية جيّدة، حتّى ولو أنني لوحدي، فأحسن وضع خارج المنزل تماما، منزل مستقلّ فكل شيئ تحت أعينهم، خاصّة "يبغون" التدخّل في الحياة الخاصّة ويحاسبوك. كذلك قلت أنّهم فائقين العدد "بزّاف مَنَجَّمْتْش" لم أقدر لذاك الرّيتم. حتى أنني "توحَّمْتُ" عليهم وكرهتهم للغاية عندما أدخل للمنزل أشعر وكأنهم يذبحونني.

فيوما -قلتُ لك- وضعتهم أمام الأمر الواقع، واتصلت بأختي لها سيّارة ذهبت إلى سوق "الحُمري" واشتريت كل لوازم الخضار، كان يوم خميس -أتذكّر- وطبخت العشاء، لم يرد زوجي الأكل، وفي الغد قمت بطبخ الكُسكُس فنزَّلت لهم صحن مملوئ جيّدا وبعد صلاة الجمعة طلب مني زوجي أن أعطيه يأكل، فهكذا حتى تعوّد... ولكن بعد ذلك سمعت كلاما لم يرضني، فلو أخبروني في وجهي لكان كلاما آخر، فنحن طلبنا في الشروط منزلا مستقلا وهم تغاضوا عن الأمر وكأن شيئا لم يكن. فلا تلقي كما "تَبْغين"، في البداية تنتظرين شيئا وبعدها تلقين شيئا آخر.

...-فتضحك وتقول- كنت أتخيّل الرّجل، عبد الحليم وشادية، كنا متأثرين بالأفلام، الرجل العاطفيّ الحنون، حقيقة لا تلقي كما تبغين؛ مثلا كنت أتمنى أن أخرج معه واذهب أتغذى معه في مطعم عام؛ هذه لا توجد أبدا ولا أتخيلها بعد الزواج، فإذا أردتُ ذلك لابدّ أن يُخرج معه أمه أو أخته لا تكوني مرتاحة، كما أنه دائما في صفّ أمه وأخواته لا يأتي أبدا في صفّك.

....قبل الزواج كانت عندي فكرة أن "العجوز" تتحكّم لأنّه من الطبيعي الدّار دارها، ولكن ليس لهذا الحدّ، كانت في بالي ولكن مع وجود بعض المُفاهمة، وعندما تجدين نفسك وحدك "أنت تَجَّبْدِي وحدك" لا تستطيعي المواصلة؛ فإذن إنعزلت عنهم إلى أقصى حدّ حتى تعوّدوا عليّ وعلى عقليتي، فرضتُ نفسي، واجهتُهم؛ قمت بحدود بيني وبينهم ولا أجلس معهم كثيرا.

...حتى ولو أن العجوز لها عقلية قديمة، فبناتها يوّجهونها، ويكونوا متفهّمين. بالنسبة لأمّي لا تتدخل في أخواي، و"كنّاتها" تفعلن ما شِئن، وحتى "بويا " لا يتدخّل يقول لنا دائما نحن الفتيات والأولاد الله يسهّل عليكم، أنتم الذين تعيشون مع بعض وأنتم تعرفون بعضكم البعض.

....أتوا لخطبتي أشخاص من قبله ولكن هناك من لا تعجبني مهنته، أو عقليته، -déjà- أنا من الأوّل أحبّ أن أضع النقاط على الحروف، "يرحم بوك" تتزوجين وبعد ذلك تبقين في المشاكل. فمثلا كان أحدهم يردّد دائما: أنا "مّا"، مع "مّا"....، فإذن "أمُّك" نعم ولكن هناك حدود -ها كُلّش مُك-. كما أن هناك من لا يريد العمل أو هناك من يحبّ السكن مع أمّه. وهناك من يقول: (نْجيبها تَرْفَدْ "مّا")، دروَكْ "يرحم بوك" نْرّفْدَكْ "أنت" أو "مُكْ"؟ !.

...-بانبهار وتضحك- قائلة: من أعجبتُ به وتعرّفتُ به هكذا، كنت في الثانوي تلميذة بالسنة الثالثة، هو مُقَاول، ولكن اليوم الذي قال لي أنّه يحبّ المرأة التي تبقى في المنزل، لم أرضى ولم أواصل معه، فعلى حسب رأيه لو مكثت في البيت لا ينقصني شيئ فهو كافي مادّيا. أنا قلت لكِ "دايْرة في راسي" كما يقول أبي "الخدمة سلاحي ماشي الرّاجل". أما الثاني كانت عقليته لا تُناسِبني ينزعج بسرعة ومتعصّب كثيرا.

فإذن الحب الآن "لا" كان في الأفلام القديمة لا يوجد، ونحن كنّا نؤمن بهم، فبعد الزّواج عندما يتزوّجان كل واحد منهم يكتشف الآخر، فأعرف الكثير منهم تزوّجوا عن حب ولكن لم ينجحوا لم يُتمموا السّنة. كنت أتمنى الزّواج بهذه الطريقة، ولكن عندما وصلت إلى سن معيّن كنت أبحث أن أَبني أُسرة وألد أولاد، لا أكثر.

بعد الــزّواج تنصدمين، فزوجي الحــالي كان يقول لي أخرجــك، وأفعل لكِ... ولكــن بعد ذلــك –بتأسّف تقولها، ثم بعد صمت مؤقّت تواصل الحديث- ولكن، لو نكن نوعا ما مُتفهّمين، لا يستطيع أن يخرجني ويترك أمّه وأخته في المنزل، لا تبغين سوى الزّوج والأولاد. ومن جهة أخرى لو نكن واقعين –و تقولها بانفعال- أمّه عاشت حياتها فشيخي "زْرّدْهَا" وسافرت خارج الوطن راحت "فرنســا، اسبــانيا، إيطــاليا" في الحــقّ "فَحْشَشْها"، وزيادة على ذلك كانت تخرج "راسها، رّاسو" "عجوزتها" (حماتها) كانت في ولاية "عين تموشنت" بعيدة عنها فعاشت براحة، فإذن حتى هي تكون متفهمة، ولو ابنها يقول لها تعالي معنا نخرج تقول له اخرج مع زوجتك وأولادك. فتتركنا نعيش حياتنا. ولكن أُصبِّر نفسي، حيث أقول: الحمد لله، زوجي ليس عنيد وقلبه كبير، كما أنّه ينسى بسرعة الخلافات، وأشعر أنه يحبّني، ويخاف عليّ، ومن جهة الكمال لله حتى هو فيه عيوب، وأنا بهذه الطريقة أحترمه وأقدّره وأتفهّم وضعه.

أُخبركِ أيضا، عندما كنت عروس حديثة لا أستطيع أن أخرج لوحدي لو أذهب عند الطبيب يقول لي اصطحبي أختي معكِ، ولكن قطعتها له في اليوم الأوّل فأجبته:"اسمع" عندما

أذهب للعمل ستتأتي أمّك وأختك معي؟ أنا لا أقبل هذا-بتعجّب وانفعال تُتْمِم القول- "آه مِيمْتِي" لا يوجد مجال للتَّنهُّد، heureusement عندي "خدّمتي":

عندما كنت معهم في "مطبخ واحد" وكنت بالحمل لا استطيع الأكل جيّدا، فعند خروجي من العمل أشتري وأضع في المحفظة وعندما أدخل للمنزل أتجه إلى بيتي لآكل كما يعجبني، "آه احبيْبْتي" بقيت هكذا خمس أشهر، حتى يوما عبر الهاتف أخبرت أمي فقالت لي لا بدّ عليك أن "تَزَّدْمي"، وإلاّ تبقين هكذا.

-بتأسّف- أعيد القول، ...ليس كما تكونين في منزل منعزل تماما عنهم، فمثلا أريد أن أجهّز عيد ميلاد راسي راسو لا أستطيع يَرَوْا كل شيء، كل ما يصعد فوق، كل شيء تحت الأعين ماذا اشتريت؟ ماذا أكلت؟، ماذا لبِست؟، فزوجة أخي تحتفل بعيد ميلاد أخي كلّ سنة ومع أن أخي مولود في رأس السّنة فدائما تقوم بمفاجئته، حتى أولادها تأخذهم عند أّمها، أنا "يرحم بوك" كيف أقوم بهذا حتى أمي بعيدة عنّي في "تيارت". كذلك من جهة أخرى تحبين تغيير منزلك لا تستطيعين فأنا عندي بهوًا "un hall"، أودّ أن يصبح بيت مقفول لأولادي فإذن لا يمكنني فعل ذلك، -فهِمت !- فبعد عمر طويل للوالدين يقولون "قَّعْ انْسالوا". وأنا أقول لكِ، عندي هذا (تشير إلى أنفها) "آه أختي" لا أستطيع أن أترك الأمور تمرّ هكذا: أتذكّر يوما، كنت ذاهبة للحمّام، وأنا خارجة سمعت زوجي يطلب من أمّه أن تمسك الصبي لفترة عودتي، أتعلمين ماذا قالت له؟ "مَنْشَدْتش، مَنْشَدْتش، أنـــا خاطيني".et bien j'ai fait demis tour وأخذت ابني وأنا مُنفعلة ووجهي "مَيْضَوِّيش"، فتُمسِكُني هي من ذراعي وتقول لي خلاص "هَاتِيه"، فحاوَلــت تهدئة نفسي، ولكن بعدها "حَلِفْت" بأن أبنائي لا أتركهم معها أبدا، ولحدّ الآن، وقلتها لابنتها كذلك في وجهها، اتركهم في la crèche وأبدا لن أتركهم معها، "مال بُوك يَرْحموك"

"أولادي يحبّون "بويا" و"مّا" ولا يتقرّبون من "شيخي" و"عجوزتي"، لحدّ الآن مرّت سنتين على وفاته فيتذكّرون "بويا"، كان يشتري لهم ملابس أو ألعاب ويحنّ عليهم، والله حتى زوجي يوما اندهش حيث "أبي" أرسل صندوق من الفاكهة لي ولأولادي وأعطيت منه لـ"عجوزتي"، ها هم والديه ليس لهم الحنان من جهة الصغار.

تحليل تصريحات المبحوثة (الحالة الثانية):

ذاتية المرأة المستقلّة منحتها الجرأة لمواجهة الواقع الزواجي

1. دور الأم وعلاقتها بالابنة:

الدّور التقليدي للمرأة بقي محافظ عليه من طرف دور الأم التنشئوي، حيث تُبيّن المبحوثة من حديثها: ...فيما يخصّ الأم... تعلّمنا منها الطبخ والأعمال المنزلية"، فدور الأم في الحياة التربوية كان محصور في العمل المنزلي، تعمل على إعادة تنشئة التصورات الاجتماعية حول موضوع الأدوار الاجتماعية الأنثوية وتكوين نساء قادمين على الزواج. فالنظام التربوي للمرأة يُعاد إنتاجه فيَنتقل عبر الأجيال ويدوم في المجتمع بفضل المهمّة التربوية للأم، فتُعدّ **تربية مُحافظة**.

الأمّ كلّ ما يهمّها حفاظ الابنة على مكانتها ودورها التقليدي ضمن عائلة الزوج فنجاح ابنتها ضمن العائلة الزوجية يعتبر كنجاح لها هي بالذّات، "فالأم لها دور نوعي، يجب أن تلعب دورها كأم على أكمل وجه حيث تحسن تربية ابنتها"[1]وتقوم بالاعتناء بها وتربيتها لتحوّلها إلى امرأة كاملة"[2]

وأمام دور الأم التنشئوي يقابله دور الأب، و تشير إليه "سكينة" أنّه:"...هو من كان يوّجه التحذيرات اليومية وخاصّة المستقبلية..." خارج إطار الفضاء المنزلي.

2. أهمية دور الأب في إدراك واقع الحياة عند المرأة (البِنت)

تحكي سكينة:"...الأب كان صارما... حريص علينا من الحياة المستقبلية فدائما يوجّه توصياته...".

من مضمون هذه المقابلة استخلصنا دور الأب المُثبت لوجوده ضمن النسق الأسري، حيث أثبتَ كفاءته التوجيهية العمودية بصرامة أعطى للبنات اللّبنات الأولى لمعنى الحياة وفق التغيرات التي طرأت على المجال العام: "...أهم ما كان يَحرص عليه التعليم وإتمام الدراسة..."

انتشار التعليم والعمل غيّر من طريقة التفكير لأسرة التوجيه حيث الأب هو من كانت له السلطة والهيمنة نحو الفتيات فرض اتجاهاته وعبَّر عن آراءه من خلال نصائح

---

[1]. بوتفنوشنت، مرجع سبق ذكره، ص67.

[2]. (Genevois, 1970, p.32) ؛ نقلا عن: LACOSTE-DUJARDIN Camille، مرجع سبق ذكره، ص.75.

عمِلت بها البنات طوال مسار حياتهنّ التنشئوية. فـ"مِن أبرز التغيرات ضمن العلاقات الأسرية وضع الأب ودوره ضمن النظام العائلي، ففي نفس الوقت هو المهيمن على أفراد الأسرة والراعي والمسير لشؤونهم. وهذا بوجود نوع من التفاهم والتفهّم في علاقته مع الأبناء، وخاصّة علاقته بالجنس الأنثوي؛ مفتخرا بنجاحهم المهني، حـاملا لتوازن العائلة"[1].

مما يمكن أن نعتبر أن الأب هو من يغيّر الأوضاع والأدوار الاجتماعية ضمن النسق الأسري ويعطى القوّة للمرأة لمواجهة الحياة، غيّر بذلك مكانتها ووضعها الاجتماعي. فهو الذي حفّز الفتيات إلى التفتّح على العالم الخارجي وعبور جدران المنزل لتحقيق الذات المستقلة، أين دور المرأة الاجتماعي تجاوز الأعمال المنزلية. "فالأب يعد فاعل اجتماعي يعمل على التغيير، أما الأم فهي من تحمي الثقافة التقليدية ضمن المجال الخاص"[2].

فبذلك نصائح الأب ساعدت الفتيات على اكتساب الوعي الذاتي في مرحلة التعرف بالجنس المغاير إلى غاية مرحلة الزواج وما بعده، إذ تقول "سكينة": " في الحقيقة عمل على تربيتنا بصرامة، ...كلّ ما اكتسبناه من طرفه وجدناه بعد الزواج... علّمنا كيف نعيش"، في عالم متغيّر".

"سكينة"، كانت من بين الفتيات المُتماهية لأقوال الأب **الآخذة بعبره وتوصياته** التي أَسْكنتها في أواصلها واستبطنتها فمنحتها الوعي الكافي ضمن واقع اندمجت إليه حاملة في مجالها المعرفي المفاهيم الأساسية كنوع من النصائح ساعدتها على مجابهة مشاكل الحياة، كما عمِلت بتوجيهاته في مجال التعارّف والتعرّف على الجنس الأخر الذي تطمح أن تكوِّن معه علاقة زوجية في المستقبل، إذ تُخبرنا: "...دايْرة في راسي كما يقول أبي **الخدمة سلاحي ماشي الرّاجل**" بالإضافة: "كان يشترط (الأب) أن **نداوم العمل ومنزلا مستقلا**... كان عنده فكرة المرأة العاملة...لا تقدر للعائلة الكبيرة..."

ما أثار انتباهنا من هذا الحوار الأخير أن الأب فوّض سلطة غير مباشرة للاختيار الفردي للقرين، وتعدّ كاستراتيجية مواكبة للتغيّرات الاجتماعية حيث كان واعيا أن الفتيات ستدخل مجالات تعارف مع الجنس المغاير تتعرّض فيه للإغراءات. كما كان يُحاول ضمان سلامة بناته من مشاكل الحياة الزوجية. وفي الحقيقة زرع فيهنّ وعي الاستقلالية الذاتية

[1]. **أنظر** : Mustapha boutfnouchent,. ، مرجع سبق ذكره، ص. 221-223.

[2]. رسالة دكتوراه للأستاذ فسيان حسين، سابقة الذكر، ص.ص.475-476

وساعدهنّ على أن تكون في المستقبل نساء مسئولة في حياتهن الزوجية وليست تابعة للآخر. قادرة على تحديد علاقاتها الزواجية قبل الزواج وبعده.

3. **مراحل بناء الأسرة**: تُبنى العلاقة الزواجية بإشراف الأسرة داخل دائرة نسوية في مجتمع متغيّر.

تشير "سكينة" في حديثها: "أخته وأختي يعملان في نفس ميدان العمل ... علِمت أن أختي لها أخت في سن الزواج... قالت لها... **لا نجد أحسن منكم**".

لاحظنا من خلال هذا السياق أنّ علاقة الزمالة أدّت إلى التناسب وتكوين علاقات أسرية حيث أن **الزواج كان ساري المفعول في دائرة نسوية** أين كل أخت لطرف العلاقة تعرّفت على خصال كل منهما **أعطت نوع من التصوّرات حول مجالهما الخاص وخصائص أسرتيهما،** حيث خصال الفتاة تُعتبر صورة لخصال عائلتها، فيمكن القول أنّه تمّ التعرّف على الأُسر قبل التعارف بين الزوجين حيث أنّ الاختيار الأسري كان سابق عن الاختيار لقرناء الأزواج، تمّ بذلك اكتشاف وجود علاقة تَنَاسُب وتصاهر يمكن أن تقوي علاقة الصداقة كعائلتين أحسن من زميلتين.

يشير " Michel Bozon " أن الشريك يُكتشف ولا يُبحث عنه في مجال التعارف، أين تتحدّد العلاقات الاجتماعية. حيث العلاقة الزوجية تبنى اجتماعيا، بعدما تتحقق كظاهرة اجتماعية تحت معايير دقيقة يعيها الفرد وتناسب اتجاهاته وتصوراته الفكرية تؤدي إلى الاختيار[1]

هذه المعايير المبدئية تحدّدت بملاحظات بين امرأتين واعيتين بهويه انتمائهما الأسري، ثمّ عملت على تحديدها سكينة بدقّة وبشروط باحثةً عن نوع من التجانس المبدئي بينها وبين الشاب حيث قالت: "...التقيت معه في مكان عام وتفاهمنا...اشترطت عليه سكنا مستقلا والعمل، أما هو لم يُعْطيني أيّة شروط ..."

مما يعي انتباهنا، نريد الإشارة إليه في السياق الأخير أن الزوج كان له دور حيادي في المراحل التمهيدية للتقدم إلى الزواج، أين القبول كان على أرض الواقع قبل رؤية الفتاة، حيث عائلة الزوج هي المشرفة الأساسية على اختيار القرين فالشاّب انساق نحو الاختيار الأسري بلا تردّد حيث لم يطلب أية شروط أمام شروط الزوجة، فالالتقاء المبدئي بين الثنائي كان نوع من التأكيد والإثبات ليس إلاّ، موضّحة من خلال كلامها أن الرجل رفض

[1]. Michel Bozon، François Héran، مرجع سبق ذكره.

أي نوع من التعارف الفردي يتجاوز التعارف الأسري موضّحة:"...قلتُ له إذا يريد أن نتكلّم هاتفيا..لم يرضى وقال لي متى تأتي أمّي لإتمام الخطبة؟" حيث الأم تطلب يد الفتاة من أسرتها رسميا، فالزواج تعاقد أسري والذي تمّ: "...عام 2010 كنتُ أبلغ من العمر 35 سنة"

وهنا نشير أن متغيّر السن يلعب كذلك دورا مهما في موضوع الإيجاب والقبول بالقرين والدخول إلى مرحلة الإعداد للزواج والاستعداد إلى حياة واقعية لمضمون العلاقة الزوجية، حيث فترة الخصوبة مهمّة بالنسبة للمرأة لا يجدر بها الانتظار لبناء أسرة تناسلية مُنجبة، مُشيرة في حديثها: "...عندما وصلتُ إلى سن محدّد كنت أبحث أن أَبني أُسرة وألد أولاد، لا أكثر..."، حتى الزوج: "...تزوَّج يبلغ من العمر أربعين سنة ..."، فكان لا بدّ عليه الدخول إلى عالم الراشدين.

نستخلص مما ورد سابقا، أن الفترة التمهيدية للحياة الزوجية لنشأة الأسرة تحمل مراحل: تبدأ **بالتعارف** الأسري ثم الفردي، وما يليه من **فترة الخطبة** التي تعتبر نوع من العقد الاجتماعي والتعاقد الأسري أين تتحدّد الشروط في واقع اجتماعي حيث يتم بعده الزواج المؤسس **لأسرة زوجية لها شرعية الإنتاج البشري**، أين تعرّفت "سكينة" بذلك على واقع الأسرة الجزائرية.

4. واقع الحياة بعد الزواج: الفتاة لم تتزوّج بالفتى و إنّما بالفتى وأسرته

تقول سكينة:"... بقيت معهم لمدّة خمس (5) أشهر...". فرغم الشروط الموضّحة في العقد الاجتماعي، إلاّ أن العروس دخلت إلى مرحلة المعاينة إذ تكون تحت الملاحظة والمراقبة لأسرة الزوج، وخاصّة من نفس جنسها[1]. فتكون في فترة امتحان ضمن المنظومة الزواجية يستوجب عليها بذل جهد للانضمام إلى الجماعة وتقبّل قوانينها ومعاييرها المحدّدة من طرف "الحماة" التي تحرص أن تبقى "الكنّة" تحت سيطرة الجماعة بصفة ملزمة.

[1]. **أنظر**: LEMARCHANT C.، مرجع سبق ذكره.

انظر كذلك: عبد القادر القصير ، "الأسرة المتغيّرة في مجتمع المدنية العربية": دراسة ميدانية في علم الاجتماع الحضري و الأسري، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1999م.ص.ص.204،201: يوضح تحت عنوان العلاقات الاجتماعية الأسرية كيف أن المرأة ضمن الأسرة التقليدية للنظام الأبوي تعيد إنتاج التنشئة الاجتماعية الأبوية حيث المرأة **"لا تكون تحت المراقبة المباشرة للجل و إنما تحت مراقبة غيرها من النساء."**

ومنه لم تستطع "سكينة" الاندماج في وسط الجماعة، وخاصّة أن المرأة العاملة ليس لها نفس ظروف الحياة اليومية مقارنة مع المرأة الماكثة بالبيت، فتقول: "...لم أقدر العيش معهم... فائقين العدد... وأنا أقوم بكلّ الأعمال المنزلية... أنا عاملة". فإذن لم تتقبّل نمط عيشهم وقوانينهم ضمن نظام عائلي له ضوابط خاصّة.

من القيم الأساسية في علاقة الزوجة بأسرة الزوج الاندماج والخضوع والطاعة، "ففي البداية تكون غريبة ضمن عائلة الزوج، إلى أن **تُبرز همّتها في أشغال المنزل** وامرأة **طائعة** لهم... يستوجب عليها الاندماج جسدا وروحا فتكوّن معهم العقل الجمعي، فيجب أن تحقق وجود منزلي تستكمل فيه وظيفتها حيث تعتني بالعائلة ككل"،[1]

من الملاحظ أن القانون الاجتماعي لا يزال يحمل بطياته البند الخاص بلزوم إطاعة الزوجة لأهل الزوج. هذا ما وضّحته المبحوثة إذ سلّطت الضوء على القوانين التي لم تتمكّن من تقبّلها ولم تتحمّلها ضمن جماعة اجتماعية تعدّ غريبة عنهم ومغتربة "Aliénée" ضمنهم. نوجزها فيما يلي، قائلة:

"...تقضين شغل الدّار، لو أكون في الموت... كما أنه دائما في صفّ أمه وأخواته... ليس لهم توقيت محدّد للغذاء والعَشاء... حتى الجوع قطّعني... وتشترط حماتي حتى يأكل الرّجال وبعد ذلك نأكل نحن النساء جميعنا...".

وهذا ما يميّز الأسرة الجزائرية التقليدية أين يوضّح الأستاذ بوتفنوشنت في مرجه "خصائص الأسرة الجزائرية معرّفا "بأنّها أسرة... تعيش... لأجل الرجل... فالوجبات تكون في جماعة في نفس الطاولة تحت نظام الانقسام الجنسي أين الرجـــال يتم خدمتهم في المقام الأول"[2]. مما يتضح أن نظام الأسرة التي انتقلت "سكينة" للعيش ضمنها لا تزال محافظة على النظام الكلاسيكي إلى غاية وقتنا الحالي، تحمل نفس التصوّرات التقليدية للعلاقة بين الزوجة وأسرة الزوج والتي عملت المرأة (الحماة) على إعـــادة إنتاجه.[3] مما يثبت أن النظام العائلي مُسطَّر ومسيطَر من طرف المرأة وليس الرجل حيث الأسرة الجزائرية تعيش تحت منضومة نسوية وليست رجولية.

---

[1]. بوتفنوشنت، مرجع سبق ذكرة، ص.66

[2]. بوتفنوشنت، مرجع سابق ذكره، ص.69

[3]. **انظر**: Addi. Lahouari ، مرجع سبق ذكره، ص.14.

هذه المنظومة التي لم تتحمّل "الكنّة" مواصلة العيش ضمنها أين أصبحت المرأة تحمل في طياتها شخصية مزدوجة في مجتمع متغير فهي عاملة وزوجة ضمن نظام عائلي محافظ تعجز أن تستوفي الاعتناء العام لعائلة ممتدّة، موضحة سكينة في كلامها بصيغ اعتراضيه:

" **لم أقدر** لذاك الرّيتم ... **لو كنت** لوحدي في منزل مستقل... **ولو لن** أستطع القيام بأحد الأعمال المنزلية أتركها للغد... **فلم أتحمّل**..."، إذ تجرّأت "سكينة" وواجهت الواقع حيث تخبرنا: "..كوّنتُ مطبخي وحدي وانفصلت عنهم."

5. <u>الأسرة الزوجية أعيد بناؤها بعد الزواج</u>: تجسّدت من طرف المرأة وليس الرّجل

تخبرنا "سكينة" أنّه:"....قبل الزواج كانت عندي فكرة أنّ "العجوز" تتحكّم ... ولكن ليس لهذا الحدّ...".

فنرى أنّ الزوجة في علاقتها مع أسرة الزوج وجدت نفسها في وضع ساحق وكاسح عاجزة للتقدّم إلى الأمام شاعرة بالتخوّف والتوجّس بعد مدّة من الزواج حيث لم تستطع مواصلة إثبات وجودها ضمن أسرة الزوج أين الحماة هي محور العلاقة القائم ضمن نظام علائقي صارم. بهذا تطلب "سكينة" التغيير بعد مدّة من الزّمن، فتخبرنا: "...أخبرتُ أمي فقالت لي... لا بدّ عليك أن "تَزَّدْمي"، وإلاّ تبقين هكذا".

فبعد أن غمغمت نفسها من وطأة الحياة القاسية، استنجدت بأسرة التوجيه لإيجاد الحل، أين برز دور الأم التي أرادت مواجهة عائلة النسب وبالضبط "الحماة"، شجّعت ابنتها على إثبات ذاتها لمواجهة الواقع وتغيير ظروف حياتها إلى الأحسن عنوة بفرض الفروض وضبط القيود، فكانت نقطة الانطلاقة لإعادة بناء الأسرة الزوجية والانعزال إلى فضاء خاص بالأسرة النووية.

ولكن لم يكن من الأمور السهلة رغم أنّ، المنزل المستقل في بداية الأمر –قبل الزواج- لم يُفرض إنما كان من بين الشروط المهمّة للقبول والرضا بالزواج، مشيرة سكينة: "... نحن طلبنا في الشروط منزلا مستقلا وهم تغاضوا عن الأمر...". فأم الزوج تراجعت -على ما يبدو- على الاتفاق ولم ترضى الانفصال عن إبنها، إلى جانب الزوج الذي لم يرضى تحمّل مسؤولية الأسرة محبّذا وضعه كإبن تحت رعاية الوالدين، مشيرة في حديثها: "....أوّلا قلتُ لأمه... لم ترضى انزعجت... حتى زوجي لم يرضى... فلم يُرد تحمّل المسئولية...".

بلغ الزوج الأربعين وهو لا يزال تحت وضعية الابن المُتَّكل على مسؤولية الوالدين وبقي كذلك إلى غاية فترة إضافية بعد الزواج منحدر إلى قرارات الأم والطّائع لها: "فإذن شهر يضمن شهر حتى واجهتُ الأمر ووضعتهم أمام الأمر الواقع... وقمت بمطبخي لوحدي..."، إذ أثبتت الزوجة قدراتها على إنشاء أسرة نووية أين الأم وقفت حائلا أمام تكوين هذه الأسرة تركت ابنها في وضعية حرجة معترضا ومتردّدا. خصوصا أن الأب (الحمى) شجّع "الكنّة" على تأسيس أسرة منفصلة، مُبرزة في حديثها: "...عندما أخبرته أنني أريد مطبخي لوحدي لم يعارض حيث قال لي... لكي يتعلّم ابني تحمّل المسؤولية..."

مما يتّضح أن الزوج لم يصبح راشدا بَعْد، رغم أنه تجاوز الأربعين سنة فما دام أن الأم لم تعطي موافقة الاستقلالية فهو لا يزال تحت إمرتها ومنصاعا لحكمها ولم يُعتق كرجل مسئول مستقل، حيث "سن الرشد الطبيعي" لا يتوافق مع "سن الرشد الاجتماعي" إذ أنّ الزوج لا يزال متمسّكا بالأم تابعا للوالدين.(*)

فإنّ "سكينة" هي من واجهت أرض الواقع متجاهلة "الحماة" والزّوج آخذة برأي "الحمى" للانفصال ضمن نفس السّكن حيث المطبخ يضع الحدود بينها وبين نساء العائلة الممتدة: "...فأنا طلبت... أن أصعد في الطابق الثاني ليس إلاّ... فإذن انعزلت عنهم... قمت بحدود بيني و بينهم..."

ففرضَت عليهم بالتالي قوانينيها ومعاييرها وجسّدت أسرة زوجية منعزلة عن الأسرة الممتدة إلى الحد الأقصى متجنّبة كل تفاعل واحتكـــاك بينهم معتبرة أن المنزل المستقل هو من أحسن الأوضاع[1]: "...فأحسن وضع خارج المنزل تماما..."

فإذن توصّلت في كل حال من الأحوال بالتحرّر من قيود الأسرة التقليدية، فإلى جانب الدعم العلائقي للأسرة الأصلية التي شجّعتها على المواجهة وتشكيل أسرة، كذلك نشير استقلاليتها المادية أكسبتها القدرة أن تلبي متطلباتها كامرأة تريد تأسيس مجال خاص بها تقوم فيه بدورها الاجتماعي التقليدي بمنعزل عن كل الضغوطات والقيود.

*. بيار بورديو يشير أنّ: « Les rapports entre l'âge social et l'âge biologique sont très complexes »؛
BOURDIEU P. (1984 , 1992)._ La « JEUNESSE » n'est qu'un mot, minuit, paris ,P2

1. **أنظر** .LEMARCHANT C، مرجع يبق ذكره، يوضحّ بكل دقّة علاقة الكنة بالحماة التي تستوجب بعد المسافة.

وهنا اتّضحت أهمية تحقيق المرأة لذاتها من الناحية المهنية والدراسية واجهت به أرض الواقع في عالم متغيّر. فرغم التغيرات الاجتماعية إلاّ أن المجال الخاص للأسرة الجزائرية لا يزال يحتفظ ببعض معاييره التقليدية الخاصة.[1]

6. المرأة وميدان العمل: مجال تتّخذه الزوجة للخروج من قيود العلاقات الأسرية التقليدية

العمل بالنسبة للمبحوثة كان تحقيقا للذات، ساعدها على الهروب من وضع لم ترضاه: إنّ العائد الشهري الخاص بها ساعدها على تكوين عائلة نووية منفصلة، فرضت على أسرة الزوج اتجاهاتها ووضعتهم أمام الأمر الواقع فالعائد المادي المستقل منحها القدرة على شراء لوازم المطبخ، و تكوين أسرة زوجية تنتظر فيها مولودها في راحة نفسية.

فالعمل والاستقلالية النقدية للمرأة ساعدتها على مواجهة مشاكل الحياة الزواجية أين لا وجود لمعنى "الزوجين" أمام الزوج الذي فرض عليها أسرته في كل مجال وفي كل الأحوال: "....لا أستطيع أن أخرج لوحدي... يقول لي اصطحبي أختي معكِ... لا يوجد مجال للتَّنهُّد، heureusement عندي "خدّمتي".

فالمجال المهني فتح لها مجال للتنفيس والتنفّس من الوضع الساحق الذي عاشته مع الأسرة الممتدة. كل شيء له حدود حتى الأكل والوجبات الغذائية في حدود، مُوضّحة: "كنتُ معهم في مطبخ واحد... لا أستطيع الأكل جيّدا، فعند خروجي من العمل أشتري وأضع في المحفظة، فعندما أدخل للمنزل، أتجه إلى بيتي لآكل كما يعجبني..."

إنّ التغيرات الاجتماعية ساعدت المرأة نحو بناء شخصية قادرة على التحكّم في المحيط الخارجي تستطيع من خلاله تَسْيير شؤونها وعدم طلب يد العون من أسرة الزوج؛ تشير المبحوثة في هذا الصدد: "سمعت زوجي يطلب من أمّه أن تمسك الصبي لفترة عودتي...قالت له...أنا خاطيني...ومنذ ذلك الحين...اتركهم فـي "la crèche"... **"مال بُوك يَرْحموك"**.

فإذن الاستقلالية المادية للمرأة منحتها القدرة على تغلّب الصعاب، غيّرت كذلك نمط التفاعل العلائقي بين أفراد الأسرة جميعا، اندثرت وتلاشت بذلك العلاقات التضامنية، أين الشحنات تركت أثرا في نفسية المرأة (الحماة) الصادرة للأحكام والقرارات. فتغيرت

[1]. **أنظر**: Article Mustapha boutefnouchent, la famille Algérienne : Quelle modèle ?, revu : changement familiaux, changement sociaux,2006, N°2 Alger.

اتجاهات "الكنة" نحو "الحماة" والعكس لا ينفي ذلك، إلى حد ضعف العلاقة بين الأجداد والأحفاد أين البعد العاطفي ليس له أي تأثير.

7. الأسرة والعلاقات العاطفية:

الأستاذ "بوتفنوشنت" يشير في مرجعه "خصائص الأسرة الجزائرية وتطوّراتهـــا" –السالف الذكر- أن قوة العلاقات العائلية وأهميتها في خط الأب تظهر في درجة العلاقة العاطفية مع الأحفاد، فكلما تعلّق الأطفال بعائلة الأب ومندمجين ضمنها كلّما برزت قوّة النظام الأبوي، أمام هشاشة العلاقة مع عائلة الأم[1].

ولكن هذه الحالة وضّحت لنا كيف أن التوترات النسوية التي كانت قائمة بين الزوجة وعائلة الزوج أفرزت ضعف النظام الأبوي أين المرأة تمرّدت وانسحبت كلية إلى الحد الأقصى عن أسرة الزوج، مبرزة سكينة في حديثها: "أبنائي لا أتركهم معها (الحماة) أبدا... ولا يتقرّبون من "شيخي" و"عجوزتي"..."

والعلاقات بين الوالدين والأحفاد ضمن أسرة الزوج تغيّرت أين أصبحت الحماة تركّز على الابن فقط، فتكوّن علاقة عاطفية ثنائية بينها وبين ابنها متجاهلة أبناؤه ومُظهرة في نفس الوقت تمرّدا وحقدا مع من تعتبرها منافسة لها وتريد أن تأخذ ابنها.

تخبرنا "سكينة": "تنتظرين شيئا وبعدها تلقين شيئا آخر...بعد الزّواج تنصدمين". تنصدم عندما تكتشف أنّ العلاقة التي أُنشأت لم تكن علاقة بين زوج و زوجة، وإنما مرتبطة بالأسرة عامّة والأمّ خاصّة، مع الزوج الذي يبقى ابن للعائلة ووفيّ لها. أما العلاقة الزوجية هي علاقة تزاوجية يتم من خلالها الإنتاج البشري.

يشير الأستاذ فسيان أنّ: "بعد الزواج الأم توطّد علاقتها أكثر بالابن إلى حدّ أن الكنّة ستشعر أنّها لم تتزوج برجل مسؤول عن أفعاله وقراراته...ولكن رجل له علاقة قوية بأمّه...فالرجل الذي يعتبر انه تزوّج بالمرأة التي تعرّف بها، في النهاية هو مقابل المرأة التي ستعيد النشاط لعلاقتها بابنها ... فالعلاقة في الزواج الجزائري هي علاقة ثلاثية...اجتماعيا نفضّل أن تكون علاقة الابن مع أمه أسمى من علاقة الزوج بزوجته. ونشجع الزوج على مواصلة حب امرأة لا يمكن إقامة علاقة جنسية معها"[2]

[1]. بوتفنوشنت، مرجع سبق ذكره، ص. 66

[2]. فسيان حسين ، رسالة دكتوراه سابقة الذكر، ص.297 **أنظر كذلك**: LACOSTE-DUJARDIN، مرجع سبق ذكره، ص.157

إنّ العلاقة الأمومية هي علاقة عاطفية جيّاشة، فالزوج لابدّ له أن يثبت دوما أنه الطفل المطيع والجدير والمقدّر بعرفان الأم. ولا يمكن تفضيل أيّة امرأة عن أمّه التي لا تعوّض.

أوْرد الأستاذ الدكتور "ادوارد سعيد"في سيرته الذاتية، كيف أن الأم تعتبر أهم عضو في البناء الأسري، وما للأم من أثر بالغ في حياته، استطاعت بكفاءة أن تجلبه نحوها وتبقى في القلب وتسكن الذات حتى بعد مغادرتها الحياة.[1]

تقول سكينة: "لو نكن نوعا ما متفهّمين... لا تبغين سوى الزّوج والأولاد. ومن جهة أخرى لو نكن واقعين... أمّه... كانت تخرج "راسها، رّاسو"...**حماتها كانت بعيدة عنها، فعاشت مرتاحة** فإذن حتى هي تكون متفهمة... تتركنا نعيش حياتنا...".

فمن الملاحظ أن **الأم هي التي لها القدرة أن تقوي الرابط الزوجي بين الزوج والزوجة أو تضعفه**. فالأم هي الطرف المحتذى به ضمن العلاقات الأسرية الزواجية، والزوجة ما عليها إلاّ الرضوخ للأمر الواقع و تصبر وتتقبّل حياتها الزواجية.

فمن الرّجل الأب –المتوفّى- تماهت "سكينة" إلى الرّجل الزوج مقتنعة بظروف حياتها وحياة علاقتها الزوجية: "...الحمد لله، زوجي...قلبه كبير... وأنا بهذه الطريقة أحترمه...وأتفهّم وضعه"؛ وبالمقابل تَنازلت عن تتبّع أهوائها إذ تخبرنا -بتأسّف-: "...أريد –مثلا- أن... اخرج معه. "راسي راسو"... هذه لا توجد أبدا ". حيث تقبّلت الواقع كامرأة راشدة مكتشفة أنّ الحب بين الزّوجين نسبي، أمام مشاكل الحياة اليومية يمكنه أن يتعرّض للهشاشة[2] أما الحب للوالدين فهو مطلق رغم أيّة مشاكل يواجهها الإنسان في علاقاته العائلية. ما على الزّوجة إلاّ الاحتفاظ بالزّوج كأب للأطفال.

خلاصـــــة:

الأسرة بُنيت وأعيد بناؤها تحت سلطة نسوية بين المجال العام والمجال الخاص، أين اتخذت القرارات، حيث المرأة أسفرت عن قدراتها الشخصية مستعينة بوضعها المادي مواجِهة لظروف لم تتحمّل تقبّلها.

---

[1]. **أنظر**: -السيرة الذاتية لادوارد سعيد تحت قلم نهى بيومي- : مجلة باحثات، النساء في الخطاب العربي المعاصر،-2003 2004، نهى بيومي: " ذكورة/ أنوثة وقلق الهوية "

[2]. **أنظر كذلك**: Kaufmann J-C ، مرجع سبق ذكره، ص.41.

سرد حياة الحالة الثالثة:

"حنان" من مواليد 1967 بوهران ومن أصل وهراني، تخبرنا على مرحلة طفولتها موضّحة أيديولوجية العائلة التي نشأت فيها. كما أبرزت لنا طريقة التعرّف على الجنس الآخر وميولاته اتجاهه، أين تولّدت لها الرغبة للدخول إلى عالم الراشدين؛ فتقول:

كانت أجمل وأفضل المراحل التي عشتها في حياتي فاعتبرها مرحة البراءة، الحنان، والعطف ولا نعرف حينها معنى المسؤولية. من أحبّ الناس إليّ في طفولتي وأقربهم إلى قلبي"جدّتي" (أم الأب) التي عملت على تربيتي، إذ كنت أنا الفتاة البكر في العائلة وأول مولود، و لهذا كنت محبوبة جدّا من طرف عائلة أبي.

أسرتي تحمل ثلاث أجيال الجدّة، الوالدين والعمّ الذي كبر فيها أيضا وتزوّج ضمنها، والإخوة والأخوات -لديّ أخ وأخت صغرى-. أنا من عائلة متواضعة ومتوسّطة الطبقة مادياً ومستورة... تربينا على القناعة، والآداب، والحشمة، وعدم الجرأة،... وبقيت راسخة فينا حتى الآن. نحمل تقاليد صارمة، يمكن أن تعتبريها أسرة محافظة حيث تمنع منعا باتاّ التبرّج -لدرجة ممنوع عندنا الماكياج للفتيات- إلى جانب عدم الاختلاط بالجنس الآخر.

سأخبرك على مرحلة الابتدائية كنا فتيات فقط، -فتضحك وتقول- إلى غاية المرحلة المتوسطة درسنا مع الفتيان فبدون مراقب و بدون أن نَعبى، أقصد عفويا نجد أنفسنا نجلس مع نفس الجنس، ولا نتكلّم مع الزملاء الفتيان إلاّ في إطار الدراسة. كانت العلاقات بين الجنسين حقيقة علاقة احترام وكانت الحشمة لكلا الطرفين والوقار...كانت المرأة أو الفتاة عزيزة جدّا "على من ترضى"، عكس الآن "الرّجل بات عزيزا وعلى من يرضى"

...لدي مستوى تعليمي جامعي، و لكن أحكي لك كيف أتممت دراستي: ففي الرابعة متوسّط تركت مقاعد الدّراسة، ....لا أدري ربّما لم أحصل على دعم عائلي في الصّميم مثل أخواتي، فأختي أتممت دراستها وأخي أيضا، بالرغم أنني كنت أحب الدراسة وأهوى طلب العلم ولكن في لحظة توقفت، ليس لظروف عائلية بل ظروف دراسية أوّلها أن سنِّي لم يعد يساعدني لإتمام الدراسة، فواصلت بالمراسلة عن بعد من السنة الرابعة متوسط إلى غاية الثالثة ثانوي، ودخلت التكوين "CFPA" بحي "مارافال" دامت سنة لنيل شهادة كاتبة، ومنه دخلت للعمل في القطاع العام كنت أبلغ من العمر 19 سنة.

واصلت بعدها دراستي فأخذت الباكالوريا وسجّلت بالجامعة، ولكن لم أواصل الدراسة لأنّني تزوّجت، حيث اشترط علي ألا أعمل ولا أتتم الدراسة، فأخذت الليسانس إلاّ بعد طلاقي، والآن أحمل ليسانس دورة 2012 تخصص علم الاجتماع.

-وبدأت تحكي على زواجها-...: تزوجت كان في عمري 23 سنة، وأخبرك أنني تزوجت على اقتناع واختيار خاص وعلى حب مع زوجي إذ تعرّفت عليه بميدان العمل، كانت لدي مواصفات خاصّة كنت أتمناها في الرّجل حيث كنت أتمنى أن يكون متعلّم وحنون وذو أخلاق عالية، وتمنيت أن أحبّه ويحبني، وما انتظرته وجدته فيه، فأعتبر الحب هو شريان الحياة. أحببت زوجي كثيرا، الذي تعرّفت عليه لمدّة سنة قبل الخطبة في العمل ولمدّة سنة في فترة الخطبة.

دخلت ميدان العمل كنت صغيرة أبلغ من العمر 19 سنة، كنت أتمنى أن اعمل بفكرة أنني أريد مدخول مادّي، وأصلاً لم تكن لديّ فكرة الزواج أبدا، فلم أكن ناضجة عاطفيا، فكريا وعقليا، كان العمل بالنسبة لي أن أجني منه ربح مالي أساعد به نفسي وعائلتي إذ كان أبي هو الدعم الوحيد للأسرة، وكان يتعب كثيرا، هو ربّ العائلة، وأمي ماكثة بالبيت، وأخواتي لم يكن يعملان آنذاك حتى عمي كان تحت مسؤولية أبي حتى ولو أنه عامل ومتزوّج.

فلا أخفي عليك كان ضغط عائلي جدّ قاسي ومتعب في فترة من الزّمن وكلّنا نسكن في بيت صغير جدّا فكانت ظروف عويصة نابعة من "الضيق"، فإذن أبي كان منشغلا جدّا بالعمل كان كلّ همّه يلبي الرغبات المادية "المأكل والمشرب". وأمي لا حيلة لها سوى العمل المنزلي. تزوّجت كان في عمرها 17 سنة وغير متعلّمة درست بالابتدائي لفترة قصيرة وجدي أوقفها من التعليم وأبقاها في المنزل لرعاية أخواتها حيث أمي يتيمة الأم ماتت جدتي وهي تلدها، لهذا عندما بلغت سن معيّن تحمّلت مسؤولية ثلاث إخوة إلى غاية أن تزوّج خالي، ثم بعده زوّجها جدي مع أبي.

فإذن كنت أقول أن دخولي ميدان العمل كانت على أساس هذه الفكرة لإعالة نفسي ماديا، وعندما التقيت بالرّجل -من مواليد 1957- المناسب الذي لاحظت منه كل الاهتمام والاحترام والتقدير كزميلة في فترة التعارف –هكذا أُسميها- أحسست من ناحيته بالعطف والارتياح النفسي فأصبح موطن اهتماماتي العاطفية فشعرت أنني مهمّة، حيث لم أشعر بهذا الاهتمام من قبل إلا من جدتي التي ربّتني وأعطت لي كلّ الاهتمام. فبكلّ صراحة أحببته. كان يحمل كلّ المواصفات المطلوبة التي تمنيتها، وبات الزواج بالنسبة لي استقرار نفسي وروحي.

حكيتُ أوّلا لأمي بصفة غير مباشرة، عن الشاب وعن مواصفاته بأنه شاب محترم ومتعلّم ويريد التقدّم للخطبة. وأمي بدورها أخبرت أبي ووافق أن يتقدّموا. وهو (الزوج) كذلك قال لأمـه، -أمه من منطقة تلمسان، وهو على فكرة يتيم الأب، فأعطى لها مواصفات خاصّة بي مثل الحجاب أو "حدها حدّ روحا"، فنحن "لا نخالط " شبهنا أمنا،... فإذن تقدّم، رغم أن أمه تحمل معايير خاصة بالزواج مثل اسم العائلة وأصل النسب، ومع ذلك لم ترد أن تعارض الزواج عندما رأت أن ابنها مصرّ على هذا الزواج وباقتناع.

...نحن ليس لدينا معايير خاصّة المهم انه ابن عائلة محترمة وذو أخلاق وموظف كانت عائلتي مقتنعة بما حَكَيْتُهُ عنه، وخير دليل أنه لم يأتي للخطبة بل أتى ليتمم "يكمّلوا" فأبي قبِل به قبل أن يدخلوا المنزل، و بعد سنة من فترة الخطوبة تمّ الزواج.

وهنا اكتشفتُ –بعد الزواج ظروف اجتماعية مغايرة عما كان متوقّع –تقولها بكلّ حزن وأسى- فلم أتحمّل ولم أستطع مقاومة الموقف وحملت نفسي وخرجت بعد سنة من العشرة، كنت على فراش "النّفاس" بعد ولادة ابنتي الوحيدة حاليا...

زوجي لم يتغيّر أبدا بقي كما عرفته وبالزّيادة -متحسّرة على وضعها وكأنها لم ترد تذكّر تلك المرحلة فتنهّدت وقالت-:

كانت أسرة ممتدة أي شيئ أفعله لا يُعجبهم، مهما بحثتُ على رضاهم لم يتقبلوا مني أي مبادرة، زيادة على أنهم يعتبروني كغريبة عنهم منذ البداية ولا يريدون تدخلاتي العائلية ولا يخبروني بأي موضوع عائلي معتبرين أنها أشياء عائلية لا دخل لي فيها، حتى أنهم يسكتون عند رؤيتي، وزيادة على ذلك عندما يدخل زوجي إلى المنزل يخبروه بكل التفاصيل "يْعَمْرولوا راسو عليّ"، وكانت أمه بصفة غير مباشرة تلمّح بالطلاق، حتى زوجي كان يخاف منها ولا يستطع مواجهتها أبدا، حتى أخته وأخوه، تربوا على الخوف والموانع الدائمة.

ربّما كانت تشعر وأنني أخذته منها فكانت تردّد دائما عبارة "أنا تعبت على أولادي في تربيتهم وتعليمهم –إذ كلّهم جامعيين- أنا كبَّرْتُهم و ربَّيْتُهم لوحدي" وكأنها تريد أن تقول: هي تعبت عليه وأنا لقِيته واجد

فماذا أقول ظروف عائلية عويصة لم أتحمّلها فخرجت من المنزل، ولم أكن في حالة نفسية مريحة، لم أعبي بنفسي وعلى فراش النفاس -كما قلت- أخذت ابنتي وذهبت. حقيقة عندما أتذكّر يؤلمني وضعي وأتحسّر على زوجي، وأتكلّم مع نفسي لحدّ الآن ولمرات عديدة، كيف سمحت لهم أن يتدخلوا في حياتي الخاصّة وسمحت لنفسي أن خرَّبْتُ حياتي، لماذا لم أواجه الوضع و أثبت ذاتي، لم أفكّر أبدا بعيدا وفي حياتي المستقبلية، أنا خرّبت حياتي، لأنني سمحت لهم أن يفعلوا ما فعلوه، حقيقة لم تكن لدي شخصية قوية، تربيت على السكوت والطاعة والخوف... وأمام قوانينهم العائلية هكذا سمّيتها "الشريعة القانونية للعائلة" وجدت نفسي بدون مستقبل وبدون عمل ولا مهنة ولا دراسة. حيث قال لي في البداية ليس لدينا بنات تعمل، فحتى زوجي كان حاملا لقوانين أمه المانعة. وبما أنني كنت مُنبهرة به وكنت أحبّه، فضحيت بعملي ودراستي لأجله، ضحيت بتحقيق الذات لأفوز به وبمحبّته.

ماذا أقول "العشرة فتاشة"، حتى أنهم بعد خروجي لم يريدوا أن يقوموا بأي خطوة لاسترجاعي أبدا، وهو لا يواجه أمه أبدا حتى في غير فائدته وغير صالحه.

أعاد الزواج بعدي بامرأة منعوتة له من طرف أصدقاء، ولكنها شرطت المنزل المستقل وكما سمعتُ عنها أنها امرأة تفرض نفسها ومسيطرة على الوضع. هي عكسي تماما من حيث تنشئتها. أمّا أمه فقدت سلطتها الآن فهي مريضة جدّا. وأنا أتممت دراستي الجامعية ودخلت للعمل وحققت ذاتي بعد الطلاق.

تحليل تصريحات المبحوثة (الحالة الثالثة):

العلاقة الزوجية تحت سلطة الأم

1. الاحتكاك بالعالم الخارجي: ميدان العمل فتح الأبواب نحو التعرّف على الجنس الآخر:

تقول حنان: "...لإتمام الدراسة، واصلت بالمراسلة عن بعد... دخلت التكوين... لنيل شهادة كاتبة، ومنه دخلت للعمل... لإعالة نفسي ماديا... وواصلت بعدها دراستي فأخذت الباكالوريا وسجّلت بالجامعة، ولكن لم أواصل..."

"حنان" كانت امرأة مثابرة طموحة في الحياة أرادت تحقيق ذاتها وكسب استقلالية مادّية تمنحها القدرة على الاكتفاء الذاتي والخروج من نمط عائلي عويص: "...إذ كان أبي هو الدعم الوحيد للأسرة...". فعمِلت كل ما في وسعها لإتمام دراستها والتحصّل على شهادة تسمح لها باقتحام المجال المهني، طامحة بمواصلة دراستها في نفس الوقت، ولكن الظروف حلت دون ذلك إذ تخبرنا: "عندما...دخلتُ ميدان العمل... التقيتُ بالرّجل... الذي لاحظت منه كل الاهتمام..."، حيث غيّر موازين حياتها وتفكيرها وشعورها الداخلي قائلة: "بات الزواج بالنسبة لي استقرار نفسي وروحي..."

فميدان العمل الذي يحمل رمزا ماديا في الواقع، هو في حقيقة الأمر مجال يبني علاقات اجتماعية تحت نظام الاتصال والتواصل أين يتم الاختلاط بين الجنسين يتعرّف من خلاله الفرد على القرين يطمح أن يشاركه حياته ويبني منظومة أسرية.

2. **بناء الأسرة بإشراف الوالدين**:

تقول "حنان": "...حكيت أوّلا لأمي... أبي ووافق أن يتقدّموا... وهو (الزوج) كذلك قال لأمه،... فإذن تقدّم."

مما نلاحظ أن قرار الأسرة وموافقة الأهل من المعايير الصارمة ضمن العرف الأسري، فالأسرة تجسّدت تحت تعاقد أسري حيث يتمّ الإيجاب والقبول بين أسرتي التوجيه، أين يعدّ قرار الأمّ ضروري للتقدّم إلى الزواج وبناء أسرة زوجية.

3. **واقع الحياة الزوجية**: **الزوجة تحت سلطة "الحماة" مع غياب سلطة الزوج**.

تقول "حنان": "...ما انتظرته وجدته فيه (الزوج)... فأحببت زوجي كثيرا..."، ولكن اكتشفَت أن ما وجدَته في الحقيقة لم يكن في أرض الواقع حيث وجدت نفسها تحت سلطة عائلته وإمرة الأمّ، مُشيرة: "...ظروف عائلية عويصة لم أتحمّلها...". كما لم تجد الدعم والمساندة من طرف الرجل المحتذى به فـ:"حتى زوجي كان يخاف منها (الأم) ولا يستطع مواجهتها أبدا... حتى في غير فائدته..."

فحنان كانت تحمل "الذات العاشقة ...التي تسلم طوعا حريتها إلى سيد يسلّمها بدوره حريته..."،[1] ولكن الرّجل كانت حريّته مقيّدة من طرف الأم، فالزوج كان منحدرا انحدارا تاما للأم منجرفا نحو طاعتها.

فباتت تحاسب نفسها وتؤنّب ذاتها التي لا تحمل الجسارة والقوّة لمواجهة الظروف التي تعرّضت لها، مبرزة في حديثها: "...حقيقة لم تكن لدي شخصية قوية، تربيت على السكوت والطاعة والخوف..."

ومن هذا المنوال نشير إلى نظرية "فرويد" التي تعبّر على ما يستبطنه الطفل في آسرته وتلقّاه يبقى في أواصله ويؤثر في تكوينه الذاتي وعلى شخصيته في المستقبل[2] أين عبّرت حنان عن شخصيتها بعد زواجها حيث دخلت حنان معترك الحياة الزواجية بإطار معرفي ضعيف وخيالي، وتنشئة اجتماعية مبنية على الطاعة تاركة كل طموحاتها خلفها، إذ تخبرنا:

---

[1]. بيار بورديو، الهيمنة الذكورية، تر: سليمان قعفراني، مراجعة : ماهر تريمش ، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت. 2009، ص.165.

[2]. **أنظر**: أوقيل برم، ستانتولويلر، تر: علي الرغل: التنشئة الإجتماعية بعد الطفولة، دار الفكر، 1982.

"...بما أنني كنت منبهرة به... ضحيت بعملي ودراستي... فوجدت نفسي بدون مستقبل..." ضمن مجال اجتماعي يحمل قيود مفروضة وضغوطات خارجة عن نطاقها لم تستطع تقبّلها **ولا حيلة لها سوى الصّبر**، فعجزت عن مواجهة الموقف والظروف السيّئة وجدت نفسها في وضع كاسح أمام **الزوج الذي أدركت أنه ليس في صفِّها، وهي تزوّجت بالأم وعائلته وليس فقط بالزوج المحبب لديها**.

يشير Serge chaumier أن "العلاقات العاطفية هي طريق لحياة خيالية"[1]. سيمون دي بوفوار في نفس السياق تموّه "أن المرأة تأخذها الأوهام فتعجب بزوجها إذ تمنحه حبها بغير تحفّظ إلى أن تدرك وتكتشف أن زوجها يستطيع الاستغناء عنها، فترى بذلك أن الحياة المنزلية لا تقوم بحمايتها فترى نفسها معزولة مهجورة".[2] فإذن البذخ العاطفي للرّجل لم يكن السلاح القوي الذي تدخل به واقع الحياة الزواجية فـ: "...خرجتُ من المنزل...أخذت ابنتي وذهبت..." حيث لم تحظى بالزواج السعيد.

كما أشار "LE MARCHANT" أن "الزواج السعيد" يتحقّق عندما تندمج الفتاة إلى أسرة الزوج حيث تكون لها الإرادة القصوى للتحمّل وتجاوز الصعاب[3] . وهذا الذي لم تقدر له "حنان" التي كانت شخصيتها مهدورة ضمن نظام أعطت له إسم "الشريعة القانونية". فاختارت الانفصال متأسّفة على زوجها الذي لم يوجّه أي انتقاد يواجه به الأم.

فالأم كانت الحلقة الأقوى والتي تحمل لها رمزية قويّة في المجال المعرفي لدى الابن فهي علاقة صلدة أين التفكير السماوي الذي ينشأ الطفل عليه يكوّن فيه نوع من التوجّس والخوف، فطاعة الوالدين بطاعة الله.

"فالحماة تحمل مصادر القوّة من الدين، تستعمل المقدّس على أساس المنفعة حيث يدعمها الدين والعرف"[4] تجذب ابنها إليها وتضع حاجزا -من الصعب تجاوزه- بينه وبين الزوجة حيث تُخضعها تحت وطأة أقدامها تمنع السعادة الزوجية، قد تعرّض العلاقة الزوجية إلى الانحلال وتصبح مستحيلة. فالحماة هي العائق الوحيد بين الزوجين والواضعة للحدود المؤهّلة إلى فضّ الرّابط الزواجي.

---

1. Serge Chaumier « **Les Pièges de l'exclusivité** » ,، ذكر سابقا.
2. سيمون دي بوفوار. مرجع سبق ذكره، ص.161.
3. **أنظر**: LEMARCHANT ، مرجع سبق ذكره.
4. علم الاجتماع العائلي، علياء شكري، احمد زايد، طلعت ابراهيم لطفي، امال عبد الحميد، عالية حبيب، محمد الجوهري، فاطمة يوسف، القلبني، فاتن الحناوي، عايدة فؤاد عبد الفتاح؛ دار الميسرة، 2009.

4. **الطلاق: الزوجة تزوّجت بالأم وانفصلت عنها وطُلِقت منها.**

تقول "حنان": "...كانت أمه بصفة غير مباشرة تلمّح بالطلاق...". الحماة تقوم بالهيمنة والسيطرة في علاقتها مع زوجة الابن، "تملك سلاح قويّ رادع: الطلاق، أو العقاب... لها وسائل هجومية سحرية تبعد بها الكنات: تجرّدها من مهامها كامرأة، تحرجها وتعطي لها شكل غير لائق في نظر الأسر،[1] إذ تخبرنا حنان: "عندما يدخل زوجي إلى المنزل..."يْعَمْرولوا راسو عليّ"

"إذا الأم رضيت باختيار الابن، فبدوره عليه أن يرضى بقرار الطلاق النابع منها إذا اشتكت من زوجته. فالأم تحاول إعادة إنتاج النظام الحامل لمنطق العقل الجمعي والتراتبية بين أعضاء الأسر"[2].

يرى "زيمرمان" أن "...أسرة الوصاية تحمل في داخلها بذور انهيارها وتفككها... سلطتها المطلقة على أفرادها تؤدي إلى سوء الاستعمال فقد تُظلم الزوجات وقد يتعرض الأولاد للخطر أو يُصبحون عرضة للطغيان والظلم كما أن حقوق الأفراد قد تُقمع بوجه عام وهذا يؤدي إلى نشأة المنازعات..."[3] والهروب من وضع لا يرثى له حيث صاحت النفس تحت وطأة أوامر الحماة الضاغطة والحاملة للسلطة.

فالزوجة أخذت قرار **الهروب والانفصال**، ومن جهة أخرى كانت طامحة **بالرجوع والعودة** تحت الكنف الزوجي. ولكن حنان كانت متزوّجة بالآم وليس الزوج فقط، ولهذا قرار العودة كان تحت سلطة الأم حيث الابن لا يحمل أيّة سلطة ضمن النظام العائلي للأسرة الأصـلية –أسرة الوصاية-[4]. تقول: "...حتى أنهم بعد خروجي لم يريدوا أن يقوموا بأي خطوة لاسترجاعي أبدا"، فالأم هي الآمرة والناهية في غور العلاقات الأسرية وقفت حائلا أمام إعادة بناء العلاقة الزوجية حيث انتهت بالطلاق[5].

---

[1]. LACOSTE-DUJARDIN، مرجع سبق ذكره، ص.160.

[2]. عدي الهواري، ملرجه سابق الذكر، ص.ص.80-82

[3]. د.محمد مهدي القصاص، مرجع سابق الذكر، ص62.

[4]. **أسرة الوصاية**: لها سلطة كبيرة على أفرادها ، حيث من تكون له الشرعية في ممارسة هذه السلطة يقوم بدوره كوصي على الآسرة و يتحمّل مسئوليتها...أما عضوية الأسرة فإنها تعتمد على طقوس معينة...يمكن للجماعة أن ترفض أو أن تقبل أعضاء جدد...**(محمد مهدي القصاص، مرجع ذكر سابقا، ص62.)**

[5]. يشير "كوفمان" في مرجعه: (sociologie du couple, 1ère édition, PUF, 1993.)، ص.38-39. أن بنية التصورات العاطفية بسيطة يمكن سردها بلا ملل، فهي قصّة حقيقية كما لها بداية لها نهاية تبدأ بنزوة شديدة " coup de foudre"، وتتواصل بتقلّبات فجائية، حيث المشاعر لا نتحكّم فيها. ويمكن أن تنتهي دراميا.

"هذا الطلاق في المفهوم اللغوي يعني حل الوثاق، وهو مشتق من الإطلاق أو الإرسال، والترك... وقانونيا هو إنهاء للعلاقة الزوجية"[1] ولكن في الواقع الاجتماعي هو فضّ العلاقة بين امرأتين وليس فقط بين الزوج والزوجة.

"حنان" قد هربت من نظام اجتماعي غير مقبول متوقّعة ردّ اعتبارها، ولكنها في حقيقة الواقع تركت مجالا مفتوحا للأم للمبادرة باتخاذ قرار التطليق وأخذ الحكم النهائي للحدّ من علاقة زواجية قد تتضرّر هي منها، فتُطلِّق الابن من زوجته أحسن من أن تُطلَّق هي من ابنها، حيث موضوع **التنافس كان قائما بين امرأتين على نفس الرّجل**[2] الحامل لوضعين ودَورين مختلفين ضمن النسق الأسري.

مما يثبت أن الزوجة لم تملك القوّة والجسارة لمواجهة الحماة وجذب الزوج نحوها، قائلة: "حقيقة...أتحسّر على زوجي...سمحت لهم أن يتدخلوا في حياتي الخاصّة...لم أواجه...وأثبت ذاتي...". أما الزوج يحمل شخصية منصهرة ضمن نظام اجتماعي أين لا وجود للحرية الفردية أهّلته إلى التنازل عن دوره ووضعه كأب وزوج. ومنه فازت الأم بابنها أو بالأحرى رجل حياتها فلا تستطيع التخلي عنه لامرأة أخرى لم تتعرّف عليه سوى أيام معدودة. حيث صدر قرار الطلاق.

فإذن الطلاق هو فضّ الصراع والنزاع بين ثنائي من نفس الجنس وليس بين جنسين مختلفين حيث لاحظنا أنه لا وجود لأي شقاق بين الزوجين، قائلة "حنان": " زوجي لم يتغيّر...بقي كما عرفته وبالزيادة"، فالنزاع والصراع كان قائما مع الحماة التي طلَّقت الكنّة وقيّدت الزوج في وضعه كابن حيث هذا الأخير اختار الأم **كشريكة الحياة وليست الزوجة**. يشير الأستاذ فسيان أنّ: "الزوجة هي حقيقة قصيرة الأجل ليست دائمة فالعلاقة الزوجية كما لها بداية يمكن أن تصبح لها نهاية فهي علاقة هشّة واهية يمكنها أن تنقطع.[3] حيث الرجل لا يستطيع مفارقة العلاقة الأمومية.

---

[1]. عبد القادر القصير، مرجع سابق الذكر ص.98

[2]. **أنظر**: Lahouari A.، مرجع سبق ذكره، ص.62.

[3]. فسيان حسين، رسالة دكتوراه سالفة الذكر، ص. 436

الزوج_الابن: رجل غير راشد.

عبد القادر القصير في مرجه "الأسرة المتغيّرة في مجتمع المدنية العربية" يموّه إلى إحدى خصائص التنشئة الاجتماعية أنها عملية نمو يتحول خلالها الفرد من طفل يعتمد على غيره... إلى فرد ناضج يدرك معنى المسؤولية الاجتماعية ويتحملها،[1] ولكن نشير نحن أنها ليست خاصية حتمية ومطلقة مع الابن الذي تخلى عن مسؤوليته كأب وزوج ليبقى ابن تحت أوامر وموانع منصاع لها أين يقف تحت نقطة الاختيار بين الطفولة والرشد. **"فالإنسان يصبح راشد عندما يكون مستقلا"**[2] وله الجسارة في اتخاذ قراراته كرجل راشد مسئول عن عائلة بأكملها حيث يحاول العدل؛ وزوج حنان كان تابعا ومتبوعا وغير مستقل أين تمسّك بالأسرة الأصلية وبقي منفصلا عن الأسرة الزوجية "ليس مستعدّ للعلاقة الزوجية فهو منفرد في علاقته مع الأم تابع لها"[3]

الابن لا يستطيع فصل أواصله عن الأم، فهي علاقة أبدية تبقى في القلب والذات فالأم هي المرأة الوحيدة طوال مسار حياة الرّجل منذ الطفولة -من المهد إلى اللحد- لا تعوّض. بخلاف الزوجة، الشرعية الإسلامية منحته أن يعوّضها بزوجات أخريات كما يمكنها في أي لحظة مغادرة البيت الزوجي[4].

ومنه يشير "برودون": "بصراحة، إزالة الحب من الزواج مطابق للعدالة".[5] فالحب والميل العاطفي عفويان تماما أما الزواج فتصميم وإرادة[6] يتطلّب تضحيات، وحنان ضحّت في بداية حياتها الزوجية ولم تواصل. فالتعرف على الجنس الآخر والتمسّك به من الأمور السهلة، ولكن المحافظة عليه من الأمور العويصة والتي تتطلّب جهودا أكبر تقاوم به الأم العاشقة لابنها.(♠)

---

[1]. عبد القادر القصير: "الأسرة المتغيّرة في مجتمع المدنية العربية": دراسة ميدانية في علم الاجتماع الحضري و الأسري، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، ط1، 1999م.ص.73.

[2]. سناء حسنين الخولي، الأسرة و الحياة العائلية، دار الميسرة ط1. 2011.

[3].**أنظر**: LACOSTE-DUJARDIN ، مرجع سبق ذكره: ص.181.

[4]. **أنظر**: أ.فسيان حسين، رسالة الدكتوراه، سابقة الذكر، ص.ص. 301-302.

[5]. سيمون ديبوفوار، نفس المرجع السابق الذكر، ص. 163.

[6]. سيمون ديبوفوار، نفس المرجع، ص. 129.

♠ . تشير سيمون دو بوفوار، نفس المرجع، ص. 185 : "وكما أن اصطياد الزوج فن، فإن المحافظة عليه تتطلب الكثير من المهارة. خصوصا أنّ المرأة تقامر بأشياء لا تستوجب التفريط: الأمن المادي والمعنوي، البيت الخاص، مكانة الزوجة".

ولكن في كلّ الأحوال الطلاق ليس بالمعنى انهيار الأسرة ولكن ستتخذ شكلا آخر أين ستبرز امرأة أخرى لها شخصية صلدة وتملك سلطة أقوى من الأم أعادت إنشاء وبناء وتجسيد هذه الأسرة حيث فازت بالزوج في آخر المطاف، إذ تُخبرنا حنان: "..أعاد الزواج بعدي بامرأة...تفرض نفسها ومسيطرة على الوضع...هي عكسي تماما من حيث تنشئتها".

خلاصة:

الأسرة هي تحت سلطة نسوية وليس ذكورية في مجتمع يعتبرونه أبوي. أين الذكر هو موضوع مهيمن من طرف النساء داخل النظام الزواجي.

سرد حياة الحالة الرابعة:

هذه الحالة تخصّ المبحوث صابر؛ وأضفنا حوار خاص مع الأم تحكي لنا عن العلاقة بينها وبين كنّاتها حيث اكتشفنا واقع الحياة الزواجية تحت لسان الحماة. فنستهلّ بحكي صابر:

"صابر" من مواليد 1975 بتلمسان، له شهادة تقني في الإعلام الآلي، DEA في القانون ويواصل دراسات أخرى في قانون الأعمال... زوجته من مواليد 1978 لها مستوى دراسي جامعي، ولهما ابنة تبلغ من العمر ثلاث سنوات... يسرد لنا مراحل تنشئته منذ الطفولة، له أخت من مواليد 1969، وأخ من مواليد 1970، وهو الأصغر سنّا، فيحكي ما تعلّمه واكتسبه واكتشفه، وما أعاد تصحيحه، من خلال تجاربه الخاصة في الحياة قبل الزواج وبعده، فيخبرنا:

أنا عشت طفولة انعزالية انطوائية منغلقة، لم أكن متفتّح على كلّ الناس كبرت في محيط منغلق إلى غاية مرحلة الثانوي فبدأت أتفتّح، ولكن بعلاقات محدودة، فمن المدرسة إلى المنزل، والعكس صحيح.

...الأب يرحمه الله كان إنسان متفتّح ولم يكن منغلق على نفسه، وفّر لنا أحسن عيشة، وكان عنده نوع من الثقافة والحوار، والأم لا أفضّلها عليه رغم أنها لم تتعلّم ولم تدخل مدارس من قبل كان موجود نوع من التكامل بينهما، رغم أنها غير متعلّمة.

ومنذ وفاة أبي كنت أبلغ من العمر 12 سنة: انحدرت للأم ("لزّيت" لـ"مّا")، أخي تكفّل بنا، كان يبلغ من العمر 17 سنة، وبعد وفاة جدّي (أب الأم، في ولاية سيدي بلعباس)، بَقِيَتْ جدّتي لوحدها، ذهبت أمي لرعايتها وبَقِيَتْ هُنَاك إلى أن توفيت (الجدّة) –فلم نكن نراها إلاّ في العطل- في هذه الفترة صارت الأخت الكبيرة كأم لنا، هي تكفّلت بنا حتّى تزوّجت ولم تقطع الصّلة بنا، دائما تتفقّدنا تقريبا كلّ يوم. فإذن تعلّمت المسؤولية.

بدأ الانفتاح على المحيط من خلال الاندماج في أعمال مختلفة كان في عمري تقريبا 17 سنة، فعملت في سوق الخضار، كذلك في المقاهي ومحلات "البتزا"...وغيرها، وهكذا كلّما تكبر، كلّما تتغيّر وتتطوّر المعارف مع النّاس؛ زاد التفتّح بكثرة عندما دخلت العمل في الإدارة ومنه اندمجت في تجارب مع النّاس ولكن دائما في حدود، فلا أصادق أحد حتّى أتعرف عليهم وأتحدّث معهم وأكتشفهم. فكوّنت بذلك علاقات صداقيه وصار عندي مجموعة معروفة ومحدودة من الرّفاق، فإذن تعرّفت على الحياة بأفراحها وأحزانها

...كانت الأسرة بالنسبة لي-formateur pour la vie- وكــانت "مّا" هذا -le formateur- تعلّمت المسؤولية والاعتماد على النّفس بكثرة، ومن جهة أخرى عندما ذهبت أمي وتزوّجت أختي أصبحتُ منّي امرأة ومنّي رجل، كنت أقوم بتدبير شؤون الدّار والطّبخ، تعلّمت كذلك الأخلاق وطريقة التعامل مع النّاس، فالأسرة التي أنتمي إليها، هي أسرة محافظة.

ولكن حتّى أنا كذلك طوّرت شخصيتي فالأسرة لا تعطيكِ كلّ شيء، أقول، الأسرة تعطي لكِ رؤوس أقلام، أو الخطوط العريضة لمعنى الحياة، فأنا طوّرت معالمي بالعلم والقراءة للكتب وحضور دورات تثقيفية، وعلمية...فعلى سبيل الذكر، الدين اكتسبناه بمفهوم ضيّق؛ فأصبح المهم عندي الجانب الديني والرّغبة في معرفة الدين الحنيف، لأنّنا نحن لدينا في الحقيقة نقص كبير نحو الدين...فمثلا لو نتكلّم عن المرأة، ديننا أصبح عبارة عن مقولات شهيرة متداولة "الرجال قوامون على النساء..."، "النساء ناقصات دين وعقل"...ولكن علينا أن نفهم أنّ هذا في ميادين والإسلام سوّى بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات... فإذن أريد القول أنّ، الأسرة لا تعطينا كلّ شيء، فنحن نطلّع على الأشياء... المفاهيم والتصوّرات حول الزواج والمرأة اكتسبتها بالاحتكاك مع المحيط أكثر من الأسرة.

...تصوّري الخاص حول المرأة، أنا كأي رجل –مثل الفتاة التي يكون لديها أمير أحـــلام- -فيضحك-. أقول هذا الأمر مرتبط بعامل السنّ ومدى نضج الإنسان على كلّ المستويات: في بادئ الأمر كانت لديّ نظرة الجمال، كان جانب الجمال هو الغالب ولكن بعد ذلك اعتبرت هذه الأشياء هي ثانوية المهم تكون مقبولة الشّكل... ثم بعد ذلك كنت أريد الأصغر سنّا، ولكن لا لم يعد من بين محددات الزواج. وبعد ذلك اكتشفت أن الأخلاق هي أهمّ ما أبحث عنه عند التي أقدر أن أعيش معها لأن الزوجة النصف الثاني وتكون نوعا ما مثقفة وواعية حتّى ولو لم تكن ذو مستوى دراسي عالي، قلت المهمّ درجة من الوعي لكي أستطيع أن أعيش معها...

...يجب أن تكون لدينا بُعد النّظر والتخطيط لاتخاذ القرار... فالإنسان له جانب عقلاني وجانب عاطفي... على الإنسان بقدر المستطاع التوفيق بين العقل والعاطفة، فمن المستحيل التقدم إلى الزواج ولا تملك شيئ، فأرتكز على العاطفة وأتوكّل على الله غير كافي هذه أمور غيبية فالإنسان لابدّ أن يكون نوعا ما واقعي.

فإذن عوامل اجتماعية اقتصادية ونفسية تنمي شخصية الإنسان، وهذا ما حدث لي، وبَدَأتُ اخطّط للطريق نحو المستقبل، وأفكّر بذلك في الزواج. ففي مرحلة يشعر الإنسان أنه بحاجة إلى شيء يكمّله، خاصّة بعد ثلاثين (30) سنة، كان يلزمني نوع من الاستقرار الشخصي، كان عندي استقرار عائلي ولكن ليس كالاستقرار الشخصي والنفسي، والجنسي، فالإنسان لا يستطيع أن يبقى لوحده، ولكن ظروف ماديّة منعتني وتوصّلت لها في مرحلة متأخرة من العمر، كان يلزمني أوّلا عملا رسميا ومنزل مستقل وهذا لم يكن متوفّر، وعندما توفّرت هذه الشروط بدأت أبحث عن شريكة الحياة.

...قبل التعرّف على الزوجة الحالية كانت لديّ علاقات عندما بدأتُ أدخل في مرحلة الخطبة، وهنا بدأت تتكوّن لديّ فكرة عن المرأة، فيوجد المرأة التي تبحث عن الجانب المادّي "شْحالْ تَسْوا"، الأغلبية تبحث عن المّادة.

أنا في الأوّل كنت أبحث عن امرأة ماكثة بالبيت ولكن للظروف المادية "شَهْرَيْيتِي قليلة"، رأيت أن الماكثة بالبيت لا تُناسبني فاتجهت نحو المرأة العاملة التي تساعدني، كنت بكل صراحة أتكلّم معهنّ عن هذا الأمر و تقول معظمهن "طَمَعت فيّ"، ولكن لم يكن أبدا قصدي فالحياة صعبة والتعاون على أساس "الاستئناس" و ليس "عُنوة"

الدين يعطي الحق للمرأة ألا تنفق في البيت الزوجية إلا رغبة منها، ولا يحقّ للرّجل امتلاكها وامتلاك أموالها، ولكن ظروف الحياة أصبحت قاسية... فالانطلاقة مع من اختار كانت الصّراحة (ها لّي عندي، ولّي أوفره، وماذا أشترط) المعاونة والمفاهمة والحوار هذا هو الذي أريده في حياتي الزوجية... فأعطتني أميّ الحرية في الاختيار لكي لا ألومها، هي كانت تبحث على الحاجة للّي "تهنيني"

فإذن زوجتي، أختها تعمل معي، تكلموا لي عليها و"نعتوها لي" ولكن، قبل أن أتقدّم لها كنت خاطب من قبل واحدة أخرى ولم يكن المكتوب، لكن لم أستطع التقدّم حتى خرجت من المرحلة السابقة، بما أنني كنت مُنصدم ومتأثّر بها كنت متعلق بها، أنا إنسان عاطفي وأأمن بالحب. ولكن وجدت أنها ماديّة كأخريات.

فإذن، قلت بعد خروجي من هذه المرحلة، كانوا "ناعْتِينْهَالِي" مسبّقا (زوجتي حاليا)، صديقة أختها حَكَت لي عنها فإذن كانت لدي فكرة عليها من قبل؛ ذهبت لرأيتها في مقر عملها، فقالت لي نسأل عليكُم وتسألوا علينا.

عندما تم القبول، قلت لأختها التي تعمل معي إذا كان بالإمكان أن "أتكلم معها وألتقي بها"، وهذا ما جرى فعلاً فالتقيت بها وجلست معها في العمل عند خالتها كانت رئيسة مصلحة في القطاع العام، أَخَذَتْنا إلى مكان نتكلّم فيه وتكلّمنا لمدّة ساعة تقريبا وكانت حتّى هي واعية وبكل صراحة اقتنعَت بكلامي و ما شاء الله وجدتها "شاربة عقلها" فتقدّمت للخطبة.

... الأم لم تراها من قبل ولم تذهب إلى أهلها لتقييم وتقويم الوضع قبل الخطبة الرسمية، فالقرار كان ليّ، -ولكن نبّهتني لكي لا أكثر معها الكلام لكي لا تقم المشاكل بيني وبينها- فالأم كل ما تطلبه لنا "الهناء" هذا ما كانت تتمناه لأولادها. ولكن خالة الزوجة تعمل كذلك مع أختي، فبحثت في تفاصيل حياتهم.

...رفضت الأم من قبل اختيار شخصي فأنا خطبت لمرّات عديدة، فكان الرفض في حالات، نعم رفَضَتْ يوما ومرّات-يقولها بإيماء يوحي بأنه تذكّر- ولكن مرّة عندما رفضت حاولت إقناعها، والإقناع كان له مبرّرات قويّة، مثلا قلت لهم (الأم والأخت) "البنت كيف هي، سألت عليها بنت من، دارهم... ولكن بدون جدوى لم يقتنعا. حتى قلت لهم: "روحوا شوفوا وإذا لم تعجبكم فلا بأس"

ولكن الأم عندها بُعد النظر وعندها الخبرة، والذكاء. والنتيجة عندما ترفض وتقول لا تصلح فإذن لا تصلح، فإذا وافَقْتُني كنت سأتحمّل العواقب، وأتحمّل مسؤولية الاختيار. كما أتذكّر أنها لم تقبل إحداهنّ كذلك، وحكَيْت لها عن البِنت وكان يوجد اعتراض، وبما أنه في تلك المرحلة لم أكن جاهزا، جات السبَّة، ولكن في الأخير كانت من قبل قد أعطتني الاختيار لي. فالزوجة التي اخترتها من مواليد 1978، كان لديها مستوى تعليمي ليسانس، وأتمّت الماستر" بعد الزّواج في 2012"

...بعد الزواج إذن كل واحد وبيئته، وكل واحد وعالمه، هي متفتّحة كثيرا فاندمجت بسهولة في وسطنا، ولكن أنا أذهب عندهم إلاّ عندما أُوصلها فبقيت متحفّظ نوعا ما. كما اكتشفت كذلك أنها عندما تناقش تدخل مباشرة في الموضوع وعندما تقرّر وتضع شيئا في فكرها، لا أحد ينزعها لها ولا أحد يقف في طريقها، فأعتبرها صارمة جدّا.

فمن بين التجارب المهمّة التي تعلّمتها بعد الزواج Mon linge sale je le lave moi même. الأم تتعاطف مع الابن، والابن الذي يحكي كل شيء للأم يزيد المشاكل، والنسيب يبقى نسيب والعروسة تبقى عروسة، التعامل مع البنت ليس كما العروسة ومع الابن ليس كما هو مع النسيب. سأحكي لك على مشكل:

كانت زوجتي لم تذهب عند أهلها حوالي ثلاث أسابيع فقلت لها هذا الأسبوع كذلك لا تذهبي... حتى تزايدنا في الكلام فلم أتكلّم معها لمدّة يومين. فإذن قالت لي "مَتَحْرَمْنيش من دارنا"، وأنا ماشي بُونيشة"، واتّصلَتْ بأبيها ليأخذها، فقلت لأبيها "بنتك ريها ماشيا بدون إذني"، فقال لي: "يا ولدي أنا لست على علم، فهذه أشياء بينكما لا دخل لي فيها"، وتقول لي كذلك -مصرّة-:"نمشي نمشي لدارنا"، أحسست بإهانة "ماشي راجل" قلت لها "أقعد في داركم"، وقَعدت أسبوع بالكامل وكنت مصرّ لكي لا تعود، كما أحسست بالتحدّي، حتّى "مّا "و "أختي" قالتا لي إذهب وآتي بها "روح جيبها"، "ابنتك في الوسط".

وأمي هنا وبدون علمي ذهبت إلى ميدان عملها ودافعت عنّي أمام جميع زملائها وزميلاتها صرخت عليها. حتّى أصبحت أمام زوجتي امرأة مرّة أخرى "منعدم الرّجولة" قالت لي "ترسل لي "مّاك" لِيَهْ أنت لست رجلا تدافع على نفسك".

فإذن، رَأيْتِ أين وصلت الأمور، رَأيْتِ دور الأم ودور الأسرة، فإذن دخلت في ظروف متشابكة بين النساء. وهي كذلك عندها والديْها مقدّسين، ومنحدرة جدّا لأمّها، حتّى أمّها قالت لها: "شفت حرمنا من بنتنا ومن حفيدتنا". أنا رغم أني أنتمي من العائلة ولكن دائما أبقى غريب، فأنا لم أنوي هكذا.

بعد ذلك تكلّمنا وتحاورنا من الساعة الثامنة مساءا حتى الواحدة صباحا، قلت لها أفرغي لي ما في قلبك، حتّى أنا حاسَبَتْني وقالت لي: "أنتَ تظلّ عند "الأم" وأنا تحرمني". لم يكن القصد، دارهم

بعيدة نوعا ما عن المدينة، وأنا دارنا في وسط المدينة وبالقرب من عملي. فكان الحل عندما تحب "دارهم" و"واليدها"، تروح كي تكمّل وتشبع دارهم تعود بطيب خاطر لو تبقى حتّى شهرا كاملا.

أم "صابر":

دخلْتُ فيما بعد في حوار مع الأم "مليكة" عندما سنحت لي الفرصة هي من مواليد 1947، فتكلّمت معها ضمن مناقشة حرّة -كان حديثا بالمشاركة- تعطي رأيها حول موضوع الخطبة والاختيار وفي نفس الوقت تتحدّث عن كنّتيها (لها2) التي أعطت لهما في الأوّل فرصة للاندماج داخل الأسرة، ولكن لم تتوصّل أيّة منهما إلى إرضائها، فتحكي:

كنت "قايْمة" بهما ، فقُمت مثلا بمساعدتهم بالأشغال المنزلية عند الرّحيل إلى المنزل الآخر، كما أنني أحسِن استضافتهما، استضافة جيّدة، فلم يُهمّني أولا وقبل كل شيئ إلاّ سعادة أولادي الاثنين. -هكذا تبدأ الحوار و تواصل قائلة-:

"لواحد كي يَمْشِي يخطُب مَا يَعْرَفْ الدوَاخْل العَشْرة هِي الصَّحّْ، والعروسة (الكنّة) لّي داربة عام ماشي كيمَّا لي داربة عامين في منزل الزوجية. ...مثل عروستي زوجة الابن الأكبر نهار الأول كانت تْبَان شْرُوحِيَّة -تبعث النشاط والحيوية داخل الأسرة- ولكن عام بعد الزواج، قلت لـهـا كلمـة واحدة فـإذن –وتقولها باندهاش- أربع (4) أشهر لم تتكلّم معي... وزِيد الدّراع والو، ليست نشطة في الأشغال المنزلية حتّى الولد الذي ربّي وهبه لها ماشي (ليس) تَع وجهها مْقَابْلَتُه إلاّ المربّية أو ولْدي، وحتى زوجها ليست مُعتنية به... حتّى عندي لا تحب المجيء ولا تأتي بالولد الصغير معها والشيء الذي لم يتحمّله ابني، زوجته تقارن بينها وبين أخته "..لو كان أختك، لو كان أختك..."

أما الكنّة الثانية (زوجة صابر) شْحال مّا الأولى تَهْدر شْحال مّا الثانية سَاكْتة "من التحت التحت"، حتّى هي عندها بعض الأشياء ليس كما أحب -فمثلا- لا تتكلّم كثيرا، تذهب إلى منزلهم لأيام، لا تتصل بزوجها ولا تسأله عن أحواله، ثقيلة في شُغْل الدّار، هي في الحقّ نقية ودارها تَشْعُل وحتّى البنت (ابنتها) مُعتنية بها جيّدا، ولكن ثقيلة...هكذا !! أمّا الأولى تجّلبك بـالهدايا ولكن تضيّع أموالها، والثانية تتصرّف في المال ولها الرّاي

عندما تذهب للخطبة أين تعرف هذه الأشياء؟، الحمد الله يسكنوا وحدهم. هكذا ولم نَسْلك؛ هاذوا هم بنات اليوم "كي عيشة، كي عويشة، وإذا مْشات عيشة تأتي مكانها عويشة"

...قديما بعد الزواج، كنّا نتّبع ونخضع لعائلة الزوج عام تقريبا ولا نتكلّم أو حتّى بعد الإنجاب، ولكن الآن راهم يفرضوا نفسهم من اليوم الأول، تقول لك:...أنا أحب هكذا أو هكذا، أنا خاصني هذه، أنا مَنْحَبْش هكذا، راهم يْحَبوا يعَّمْلوا برأيهم الخاص. الآن نْتَبْعُوهم نحن، ونَعَّمْلُوا بالحاجة التي يُحبّوها هم. حتّى أولادي، يقولوا لي: "على بالك، لم تُرد كي قلت لها أو كي أعْملت لها،

وفعلت لها"، يْكَاكِينِي (يوعّيني) ماذا تريد زوجته، فإذن بَقيت أنا أَعمل كما يُحبوا، لكي نْهَنِّيهُم وانهنِّي أولادي.

...كانت الحماة قديما تعتبر أن الكنّة أخذت لها ابنها -وهي تضحك- ولكن هذه أشياء قديمة، كانوا هكذا، وأنا مَعَنْدِيشْ هذه، و أولادي يظلّوا عندي. ولكن هاهو ذا، زوّجْت ابنتي ولكن عندما جئت لتزويج أولادي شيئ آخر -بمعنى الشعور ليس نفسه-...لا أدري؟..."

تحليل تصريحات المبحوث (الحالة الرابعة):

الأم مركز ثقل العلاقة الزوجية

I. مرحلة الاختيار للشريك:

1. البحث عن الشريك له بعد سيكواجتماعي وسوسيواقتصادي:

محتوى هذه الحالة جاءت مخالفة عما دوّنه "Michel Bozon" من خلال ما أتى به Alain Girard فيما يخصّ النظرية القائلة أن الشريك يتم اكتشافه ولا يبحث عنه. حيث تدخل عوامل تتحدّد في معايير على أساسها يتم الاختيار، ومن ثمّ تبنى العلاقة الزوجية.[1]

ومع صابر، ظاهرة اختيار الشريك وبناء العلاقة الزوجية باتت بعد البحث والتنقيب عن المرأة المناسبة له، وبصفة جدّ دقيقة فإنّ في حقيقة الأمر كان البحث في المعايير التي تناسب وضعه المادي والسيكولوجي، حيث كان يطمح في الاستقرار النفسي وبناء أسرة كسائر الشباب.

يقول:"...منذ وفاة أبي...انحدرت للأم...بعد وفاة جدّي...بَقِيَتْ جدّتي لوحدها، ذهبت أمي لرعايتها...لم نكن نراها إلاّ في العطل...الأخت كأم لنا، هي تكفّلت بنا حتّى تزوَّجَت...وبَدَأتُ أخطّط للطريق نحو المستقبل، وأفكّر بذلك في الزواج..."

أين شعر بالوحدانية، فـ"صابر" كان متعلّق بالأم والأخت –حيث مكانة الأخت عند "صابر" هي بمثالة أم اجتماعية- انشغلتا بدور اجتماعي آخر، صار بالتالي وحيدا معظم حياته محروما من البعد العاطفي. أراد بذلك بناء أسرة مع امرأة يستكمل من خلالها البعد السيكولوجي ويلقى الدعم العاطفي الذي يضمن له الاستقرار النفسي والاجتماعي[2] فكان الدافع الأقوى للتفكير في شريكة الحياة التي تعوّضه عمّا فقده إلى مرحلة متأخرة من العمر،

---

[1]. François Héran, Michel Bozon، مرجع سبق ذكره

[2]. في هذا السياق نشير إلى ماجاء به F. de singly: "الرجال يبحثون عن الجمال و**الدعم العاطفي** "، (F. de singly, les manœuvre de séduction, revue française de sociologie, 25(4),1984.)؛ نقلا عن: "كوفمان" في مرجعه سبق ذكره، ص.104-105

قائلا: "...ففي مرحلة يشعر الإنسان أنه بحاجة إلى شيئ يكمّله...مع التي أقدر أن أعيش معها لأن الزوجة هي **النصف الثاني**(*)...". فكان يريد من تكمّله (♦) وتفهمه وتتفهّم وضعه أين "المرأة بعد الزواج تسلك سلوك زوجة وأم لزوجها في نفس الوقت حيث تحاول إسعاد الزوج"[1] وتكون الطّرف المستأنس لوحدته[2]

فإذن الزواج بات يشكل معظم تفكيره، والذي يؤهّل الفرد للدخول إلى وحدة اجتماعية. فمن وضع الفرد كابن وأخ ضمن علاقة أسرية أين يحمل هوية ذاتية يوصف بها بـ"الأعزب" يقوم بتدبير شؤونه لوحده، إلى حالة مختلفة تماما يكتسب في قلبها أوضاع وأدوار تحدّد مسؤوليات أسرية تفوق المسؤولية الشخصية، فبعدما يكون مسئولا عن النفس سيبدو مسئولا عن الغير ضمن مجال الراشدين، فـ"الزواج في الثقافة الجزائرية هو في نفس الوقت مرحلة نفسية واجتماعية، فهو نهاية التطوّر النفسي للشخص...نهاية مرحلة المراهقة والدخول إلى عالم الراشدين."[3]

ولكن نتساءل ونعيد التساؤل: هل البعد السيكواجتماعي كل ما يهم في حقيقة الواقع، تؤهل البحث عن النصف الثاني أين تكون المرأة مكمّله له؟

---

*. **نصفين متكاملين**: يتكلم الأشخاص على "الشريك" كما وانّه "نصفه" الأخر...الزوجين لا يعتبران لقاء بين وحدتين وإنما هي وحدة تتشكّل من إتحاد بين ثنائي كل طرف يعتبر جزئ والأخر الجزئ المكمّل له ويصبح المهم في حياته ((Edgar Morin.(1969)). ووفقا لأفلاطون...العلاقة الثنائية هي جمع بين شخصين غير كاملين في البداية. ومنه الوحدة تتشكّل من نصفين، حيث الاتحاد الذي يكتب على الشاكلة 1+1=1، ففي الحقيقة هي 1/2 + 1/2=1، فخارج العلاقة الزوجية كل واحد لا يشكّل إلاّ النصف. والشخص لا يمكن أن يصبح كاملا إلى إذا وجد نصفه الثاني... وهذه المعادلة تفسّر حالات الحب الكلّي والنهائي المطلق.

(**Serge Chaumier**,« Du couple au trouple », Le **Passant** ordinaire, **n°50**, octobre 2004.)

- http://www.passant-ordinaire.com */revue/50-688.asp*http://textesetcultures.univ-artois.fr

♦. إن النصف الثاني لكل زوج يعني التكامل، وهذا المفهوم يوضّحه "كوفمان" في مسألة التشابه والاختلاف بصفتها مسالة معقّدة: فالبحث عن التقارب لا يحدد بالمكانة الاجتماعية، ففي المكانة الثقافية...الزوجين يحاولان اكتشاف إمكانية التوافق بينهما بوجود لغة مشتركة، وفي نفس الوقت يحاولان البحث عن التكامل فإذن الاختلاف. Kaufmann J-C.، مرجع سبق ذكره،ص.12.

[1]. **أنظر**: ديباجة (F.de singly) لمرجع le marchant c.، 1999. سابق ذكره

[2]. مجلّة أزواج و تساؤلات تعطي لنا بعض اللوحات التاريخية الدينية حول مضمون العلاقات الزوجية وخصوصا في مقال الخمار بوقرعة -في الصفحة 23- يشير لنا أن " ***مفهوم الزوجين عليه أن يكون أكثر وضوحا ...الانسان الرجل (آدم) اسبقية في الوجود بالفعل (الخلق)...فآدم الإنسان يحتوي حواء كزوجين في الجوهر و الجوهر سابق عن الوجود...فوُجدا كنفس واحدة قبل أن يوجد آدم الرجل (المخلوق من تراب وحواء (المرأة) المخلوقة من هذه النفس كزوجة لآدم)...لقوله تعالى في سورة النساء، الآية 1: يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها و بث منها رجالا و نساءا"، وخلق الناس من نفس واحدة لا تختلف عن مفهوم الزوجين"*** .فيتّضح لنا أن أمنا حواء خلقت من الذرع الأيمن لآدم عليه السلام، خلقه الله وخلق منه زوجا مما يفسر أن الفرد لا يمكنه العيش لوحده. و يسفّر لنا ...أن حواء خلقت من ذرع الرجل مستأنسة لوحدته.

[3]. رسالة دكتوراه للأستاذ فسيان حسين، مذكورة سابقا، ص. 289

يقول صابر:"...الإنسان له جانب عقلاني وجانب عاطفي،...كان يلزمني نوع من الاستقرار الشخصي...ولكن ظروف ماديّة منعتني..."، فـ"الرجل يضع في مقدّمة الزواج المهنة ورأس المال الاقتصادي"[1] مُؤكّدا صابر:"كان يلزمني أوّلا عملا رسميا ومنزل مستقل وهذا لم يكن متوفّر...".

فأمام البعد السيكواجتماعي يقابله البعد السوسيواقتصادي أو الاستقرار المادّي والمهني الذي كان يَحُول دون الوصول إلى مراده، فلا يمكنه التقدّم للأمام إلاّ بعد تكوين الحياة الماديّة. مما يبرز لنا أنّ البحث عن القرين هو يأتي في المرتبة الثانية بعد استوفاء الشروط االمادية، بخلاف البعد السيكولوجي الذي أهّله إلاّ للتفكير في الزواج ليس إلاّ، أين كان القرين يطفو في المجرّد، يقول: **"عندما توفّرت هذه الشروط بدأتُ أبحثُ عن شريكة الحياة."**

وفي "سوق الزواج" كان متطلبا زيادة عن اللزوم إذ يخبرنا: "...أنا في الأوّل كنت أبحث عن امرأة ماكثة بالبيت ولكن للظروف المادية... اتجهت نحو المرأة العاملة التي تساعدني...". لكن الاختيار لم يكن مؤهّل تحت سلطته، فالتعارف يبدو سهلا ولكن الاختيار واتخاذ القرار من الأمور العويصة في غور وغمار العلاقات الاجتماعية.

2. اختيار الشريك تحت سلطة نسوية.

يقول: "...عندما بدأتُ أدخل في مرحلة الخطبة... بدأت تتكوّن لديّ فكرة عن المرأة... الأغلبية منهنّ تبحث عن المّادة...". فـ**النساء يبحثن عن الرأسمال الاقتصادي**[2] وكلّمـــا كان الرّجل أكثر ثراء كلمـــا ازداد طلبه في سوق الزواج بدرجة قوية[3] مبرزا صابر: "كنت خاطب من قبل...ولكن وجدت أنها ماديّة كأخريات... ".

فمن الملاحظ هنا أنّ المرأة هي من تحمل القرار النهائي للقبول أو الرفض وهي من لها السلطة في بناء الثنائي(*) حتى ولو أنّ المبادرة الأولى تعدّ من طرف الرّجل. فللتقدّم إلى

---

1. F. de Singly, les manœuvre de séduction : une analyse des annonces matrimoniale, *Revue française de sociologie*, 1984. P545.)؛ نقلا عن: Kaufmann J-C.، مرج سابق الذكر، ص.11.

2. (F. de singly, les manœuvre de séduction, revue française de sociologie, 25(4),1984.)؛ نقلا عن: Kaufmann J-C، نفس المرجع، ص.105-104.

3. F. de Singly, les manœuvre de séduction : une analyse des annonces matrimoniale, *Revue française de sociologie*, 1984. P545.)؛ نقلا عن: Kaufmann J-C.، نفس المرجع، ص.11.

*. الفتيات يقيّمون وضعهم الاجتماعي في سوق الزواج، "François De Singly" يشير إلى المنفعة من خلال تحليل خاص حول الفارق الاجتماعي، فيحلل مفهوم "الزواج السعيد" هو الذي يسمح للمرأة بالحراك الاجتماعي المتصاعد، ومرتبط بالتبادل الزوجي. لأن النساء يقيّمون وضعهم الاجتماعي عبر أزواجهم، تحت نظام التبعية الاجتماعية لعلاقات السلطة. François De Singly, fortune et infortune de la femme mariée, paris, PUF, 1987.)؛ نقلا عن: Kaufmann J-C.، مرجع سابق الذكر، ص.21.

الأمام وتحقيق ما يريد أن يخبو إليه كان إلاّ بعد جهود مضنية. فالمرأة كذلك لها نظرة عقلانية أبعد منه أين تبحث هي الأخرى في سوق الزواج عن من يُلائمها فلا شيء يدعو للشفافية.

وفي هذا المضمون يركّز "بورديو" على مصطلح "الليبيدو" السيكولوجي معتبرا أن العلاقات الغرامية تؤسس اجتماعيا قبل الرغبة الجنسانية حيث الإنسان يلعب ألعاب اجتماعية يحاول من خلالها الاندماج إلى أعلى مستوى..." [1]، و"صابر" لم يكن يملك البعد الاجتماعي والمادي التي تطمح إليه الفتيات.

فالفرد لا يمكنه أن يتفاعل مع الآخر إلاّ إذا توفّرت له الشروط الاجتماعية والذاتية، أين المرأة تبحث عن الشخص الذي يحقّق احتياجاتها ويوفّر لها الرفاهية والحياة الرفيعة حيث تشعر معه بالألفة (♦) إذ أنّ "الحب لا يضرب في أي مكان...يضرب في خط الزاوية"[2] و"نقع بالحب بقلوبنا ولكن حتى بعقولنا"[3]

وبقي "صابر" دائما في نفس المعترك النسوي معتقدا أنه المالك لسلطة الاختيار واتخاذ القرار، قائلا: "...أعطتني أميّ الحرية في الاختيار لكي لا ألومها..." ولكن في الواقع أن الاختيار لا يزال تحت السلطة الأنثوية، فالأم فوّضت سلطة الاختيار بصفة غير مطلقة حيث تبقى دائما الفاعل الاجتماعي المسيّر والموجّه ولها سلطة القرار، مُشيرا: " ...رفضت من قَبْل إختيار شخصي... رفَضَتْ يوما ومرّات...كان يوجد اعتراض، **وبما أنني في تلك المرحلة لم أكن جاهزا**، جاءت السبّة"، فالأم استطاعت إقناعه بطريقة سحرية للتخلي على اختياره الغير مقنع.

ولكن لاحظنا أن صابر له أمّين، أم بيولوجية وأم اجتماعية عملت على تربيته وتحمّلت مسؤوليته -ألا وهي الأخت- إلى حدّ أنها اتخذت مكانة الأم في اتخاذ القرار الزّواجي، مشيرا: "مرّة عندما رفضت (الأم) حاولت إقناعها...مثلا **قلت لهم** (الأم والأخت)

---

[1]. بيار بورديو، الهيمنة الذكورية، ترجمة د.سليمان قعفراني، مرجع سابق الذكر.ص.122

♦. في هذا الصّدد وفي نفس السياق نأتي ما جاءت به سناء الخولي ة،2001. مرجع سبق ذكره، ص.155. حول نظرية "العجلة الدائرية Wheel theory" لرايس "Reiss" التي توضّح موضوع الحب والعلاقات العاطفية ضمن أربع (4) مراحل هي كالآتي: مرحلة الشعور بالألفة، مرحلة البوح الذاتي، التبعية والاعتماد على الأخر، وأخيرة وهي أهم مرحلة "تحقيق الاحتياجات" وتعتبرها السبب الأصلي للشّعور بالألفة. سناء الخولي، (2001)، ص.155.

[2]. علم الاجتماع الثنائي، ج.ك.كوفمان، ترجمة بسمة بدران،ط1، المؤسسة الجامعية،2001.

[3]. سناء الخولي (2011)، ص.148.

البنت كيف هي...بنت من، دارهم،...ولكن بدون جدوى **لم يقتنعا**...**قلت لهم** "**روحوا شوفوا** ...**اذهبوا** لرؤيتها وإذا لم **تعجبكم** فلا بأس."

من الملاحظ أنه استعمل في بادئ الأمر الضمير هي "الأم" ثم الضمير هما (الأم والأخت) حيث كانتا محور العلاقات الأسرية في مضمون الانتقاء لقرناء الأزواج. وتتبّعتا موضوع الاختيار واتخاذ القرار إلى غاية القبول النهائي والرّسمي للزوجة الحالية.

II. تُبنى الأسرة الزوجية بقرار أسري في مجتمع متغيّر:

الزوجة الحالية تعرّف بها من خلال غمار شبكة العلاقات في ميدان العمل المشوّب بالصداقات بين الرجال والنساء أين السلطة تعود للأسرة في الاختيار واتخاذ القرار. يحكي "صابر" و يقول:

"....زوجتي...ذهبتُ لرأيتها في مقر عملها...الأم لم تراها...قبل الخطبة الرسمية...ولكن **خالة الزوجة تعمل كذلك مع أختي**...فبحثَت في تفاصيل حياتهم".

لاحظنا في هذا السياق أنّ، **الاختيار تمّ في ميدان العمل تحت سلطة الأخت حيث الأم وافقتها وضمنت حسن الانتقاء**، مما يثبت لنا أن **السلطة المركزية في الاختيار واتخاذ القرار للأم وليس الابن، فقد فوضت التعارف ولم تفوض الاختيار والانتقاء واتخاذ القرار.**

فنأكّد إذن أن الاختيار لم يكن فردي وإنما كان تحت إشراف عائلي، أين الأخت كان لها بعد النظر معتبرة هي الحامية للأخ والابن في نفس الوقت، ووجدت أنها الزوجة الجديرة بالأخ والأسرة المقبولة للتّناسب معها. فإذن استراتيجيات خفية عملت على ضبط مضمون الاختيار أين الفرد لا حريّة له إلاّ تحت الضمير "نحن"، فالحريّة نسبية وغير مطلقة وقائمة على تعاقد أسري أين يتم الإيجاب والقبول.

بعد القبول النهائي اعتبر صابر أن المسألة لا تنتهي إلى هذا الحدّ فلا بدّ من وضع النقاط على الحروف، معتبرا أن الزواج هي معادلة أسيّة بين شخصين قبل أن تكون بين أسرتين: "**فعندما تم القبول**...التقيت بها ... وما شاء الله وجدتها واعية..."

في ظل التغيرات الاجتماعية نجد أن الأسرة لا تزال محافظة على نظامها العقائدي في الاختيار واتخاذ القرار، فهي المشرفة على نظام الزواج الخاضع لشروط وقوانين عرفية، إذ تُعتبر العلاقات العائلية مهمّة في بناء الأسرة الزوجية. مع وجود لمسة حديثة يحاول الفرد تأكيد الاختيار حيث يتعرّف الثنائي على بعضهما قبل الزواج.

فيمكننا القول أنه وجد نصفه الثاني. فهل حقيقةً الزوجة تعتبر النصف الثاني وشريكة مدى الحياة؟

III. واقع العلاقات الاجتماعية الأسرية بعد الزواج:

1. الأسرة الأصلية هي النصف الثاني للزوجين: كما أن الزوج منحذر لأمه، الزوجة كذلك منحذرة لأمها.

مرفولوجية الأسرة الناشئة كانت عبارة عن أسرة نووية، تخفي في عمقها ضمن شبكة العلاقات العائلية خلفية ثقافية، حيث لا تزال الأسرة النووية محلّ تساؤلات. يشير بوتفنوشنت أن الأسرة لا تزال أسرة تقليدية ممتدّة رغم الاستقلالية في السّكن الذي أصبح طموح كل فرد من أفراد المجتمع الجزائري فكل شخص يودّ التقرب من الأهل من حيث المسكن وحتى ضمن العلاقات والزيارات للوالدين[1]. وكما فصّل "علي قعوسي" في نفس المنوال مشيرا أنه يجب دراسة العلاقات الأسرية من خلال تبادل الزيارات في المحيط الحضري.[2] فرغم بعد المسافة الزوجين يزورون الوالدين مرات عديدة خلال السنة -مع إمكانية استعمال الهاتف-[3]

وهنا كان المشكل العميق عند المبحوث "صابر"، أين دخل الزوجين في دائرة المحاسبة على عدد الزيارات العائلية، فيحكي:

"كانت زوجتي لم تذهب عند أهلها...فقلت لها هذا الأسبوع كذلك لا تذهبي... فإذن قالت لي "مَتَحْرَمْنيش من دارنا"... حتّى أنا حاسَبَتْني وقالت لي: أنت تظلّ عند الأم...تزايدنا في الكلام...واتّصلَتْ بأبيها ليأخذها..."

مما يفسّر أن الدخول إلى عالم الراشدين لا يعني القطيعة مع الوالدين ولا الابتعاد عن العائلة الأصلية، ففي نفس الوقت هما أبناء وأزواج سيدخلان في عالم التنافس ضمن تراتبية سلمية زوجية وأسرية –بين الجنسين وبين الجيلين- أين التفاهم سيخيّب الأمل.

الأسرة الممتدّة لا تزال قائمة ولو أن مرفولوجية الأسرة تغيّرت إلى النووية حيث العلاقات الأسرية لا تزال تقليدية، والرابط الأخلاقي بالوالدين يشعر به كل زوج تسدعي الزيارات

---

[1]. Article Mustapha boutefnouchent, la famille Algérienne : Quelle modèle ? ، سبق لنا ذكره.

[2]. KOUAOUCI Ali.. ، مرجع سبق طكره، ص.183

[3]. **أنظر:** "علي قعوسي"، نفس المرجع السابق الذكر، ص.ص.213، 215.

المتكرّرة لهما. مما ولّد علاقة تحدّي وصراع بين الزوجين إلى غاية الاستنجاد بالوالدين؛ حيث المشاكل ضمن العلاقات العائلية لم تنمحي أين "الكنّة" تجد نفسها دائما في علاقة ثلاثية بين الزوج والحماة، مشيرا المبحوث:

"...من بين التجارب المهمّة التي تعلّمتها بعد الزواج ...الابن الذي يحكي كل شيء للأم يزيد المشاكل... أمي...ذَهَبت إلى ميدان عملها...صرخت عليها. **حتّى أصبحتُ أمام زوجتي امرأة "منعدم الرّجولة"**... حتّى **أمّها** قالت لها...حرمنا من بنتنا ومن حفيدتنا... فإذن دخلت في ظروف متشابكة بين النساء"

إنّ مضمون كلامه يوحي بالعلاقة القوية بينه وبين أمّه. وطبيعة هذه العلاقة إلى غاية الصداقة بين الأم والابن تضعضع العلاقة الزوجية.[1] كما لاحظنا من خلال هذا المضمون أنّ **العلاقة باتت رباعية** حيث الزوج دخل هو أيضا في معترك التناقضات والأحكام مع أسرة النسب، معترفا بذلك أنّ: "النسيب يبقى نسيب...". وجد نفسه ضمن علاقة عائلية أصبح تحت هيمنة نسائية -فاقدا هويته الذكورية- بين الأم والزوجة، وأم الزوجة "النّسيبة". فحرمان الزوجة من والديها أحرز نزاعات عائلية أكثر منها زوجية

صابر كان يريد إصدار الأوامر وإبراز هيمنة تراتبية ضمن الأسرة النووية فـ"الرّجل يستكمل شخصه كزوج وكوالد" -على حدّ تعبير سيمون ديبوفوار-[2] حيث يثبت رجولته ضمن النسق الزوجي، إذ لم تكن له القدرة سابقا على إبراز أي نوع من هذه السيطرة ضمن أسرته الاصلية.

ولكن وجد أن رجولته أهدرت في معترك العلاقات النسوية، ولهذا شعر بالدونية عندما لم توفي له الزوجة برغبته ولم تحترم تعليماته قائلا: "أحسست بإهانة...قلت لها أقعد في داركم... وكنت مصرّ لكي لا تعود...". **فوصلت الجرأة أن كل واحد منهما يستطيع التخلي عن الآخر مقابل الأسرة الأصلية، وحفاظا على الكرامة الذاتية، ولا أحد منهما يعدّ نصفا للآخر**؛ فزوجته كذلك محبّة لعائلتها بالدرجة الأولى، مشيرا صابر: "...عندها والديْها مقدّسين...".

[1]. **أنظر**: ديباجة (F.de singly) لمرجع le marchant c.، 1999. سابق ذكره

[2]. سيمون دي بوفوار، مرجع سبق طكره، ص.122.

"سيمون دي بوفوار" تشير على أن المرأة "ينبغي لها أن تكون مولهة بحب زوجها وإلا تصاب بالخنق أمام حرمانها من نتائج جهودها"[1] قائلة له:"...أنا ماشي بونيشة"(♦). فإذا أحبّته ستحاول الاندماج والخضوع لمتطلّباته وإذا دخلت في علاقة معه كزوج متسلّط فلا تتحمل ولن تصبح أبدا نصفه الثاني. معتبرة نفسها أنها "وسيلة طبيعية وعاملة لا يستغنى عنها" على حد تعبير "DEBONALDE"[2] فكان لابدّ لها أن تعيد اعتبارها الذاتي، حيث: "..اتّصلَتْ بأبيها ليأخذها".

أما الزوج كان لا بدّ عليه أن يترك رجولته على جَنَب طائعا للأم التي كانت حاملة السلطة لإعادة بناء الأسرة، مثبتا ذلك: "...مّا وأختي قالتا لي إذهب وآتي بها ...ابنتك في الوسط"، وهذا ما قام به، أين دخل في حوار مع الزوجة، مُشيرا في حديثه: "تكلّمنا ...-لساعات طويلة-...فكان الحل عندما تحب...والديها تروح... لو تبقى حتّى شهرا كاملا" (*).

وبالتالي فصل في الأمر أين باتت الأم هي النصف الثاني الموجّهة والعامل بنصائحها مدى حياته ولن يتخلّى عن رأيها والاقتداء برغبتها، فلا وجود للتبادل العاطفي أين لا وجود للتضحيات بين الزوجين أمام الحب الجياش للأسرة. فلن يكوّن علاقة صلدة مع الزوجة بانحداره الأمومي، والزوجة لن تحقّق رابط قوي مع زوجها بانحذارها الأمومي، وكل واحد من الزوجين ابن لأمه وهذا مقدس في الأسرة الجزائرية فالأم هي محور العلاقات القائمة بينها وبين أولادها من بعيد أومن قريب.

2. علاقة الأم بأبنائها:

تقول الأم: "...هاهو ذا زوّجْت "ابنتي" ولكن عندمـا جئت لتزويج أولادي شـيء آخر -بمعنى الشعور ليس نفسه-" مما يدّل أن نفسها كانت تختلج نوع من التخوّفات إذا انحاز أبناؤها نحو الرابط الزوجي، ولكن ما كانت متخوّفة منه "الحماة" لم يتحقق، إذ تخبرنا:

---

[1]. سيمون دي بوفوار، مرجع سابق الذكر، ص.160

♦. الزواج مفروض على المراة لسببين: أولا أن تنجب الأطفال للجماعة، و ثانيا، إرضاء حاجات الذكر الجنسية والعناية بمنزله، فهو عبئ مفروض عليها ..كخدمة مقدمة للزوج. سيمون دي بوفوار، مرجع سابق الذكر، ص.122.

[2]. (Martin Segalen, sociologie de la famille,6ème Ed : Armand colin,2008.)

*. نلاحظ أن الاتصال بين الزوجين يلعب دور مهم في فضّ الخلاف والصراع أين يبحث كلاهما عن التجانس الفكري والتوافق في تجارب الحياة: **أنظر**: KELLERHALS Jean, Widmer Eric, Levy René, mesure et démesure du couple :cohésion, crise de résilience dans la vie des couples, payot § rivages,2004.

أنظر كذلك: kaufmann، سبق لنا ذكره، ص.111.

"...كانت الحماة قديما تعتبر أن "الكنّة" أخذت لها ابنها ... ولكن هذه أشياء قديمة..."، فهي تعتبرها من الماضي لأنها واثقة بنفسها مشيرة: "...أنا **أولادي يظلّوا عندي**" تعمل دائما على التوجيه والإرشاد محاولة إعادة إدماج أبنائها تحت ظلّها، فهي مرتاحة نفسيا حيث استطاعت أن تحفظ الرابط الأمومي بعد الزواج. وتستبعد تخوّفاتها من "كناتها" وشعورها بتملّك أبنائها. فإنّ الرابط الزوجي لن يتحقّق أمام العلاقة الوطيدة بين الأم وأبنائها. رغم أن الأبناء كوّنا حياة مستقلة إلاّ أن الاستقلالية تعدّ شكلا ولكن مضمونا بقيت العلاقات الأسرية وطيدة محاولة الحماة جذب أبنائها إليها.

وفي نفس الوقت أرادت جذب الزوجات إلى محميتها الممتدّة محاولة في بداية الأمر جلب انتباه الكنّات إذ تُخبرنا: "...كنت قايْمة بهما... كما أنني أحسِن استضافتهما..." في اعتقادها إذا انحازت الكنات لها ستجتَلب العلاقة الزوجية تحت إمرتها وطاعتها مما يسمح لها بممارسة السلطة، حيث المعاملة الجيّدة لهنّ ما هي إلاّ سطحية توجّهها رسميات العلاقة، مُبرزة:"...لم يهمّني أولا وقبل كل شيء إلاّ سعادة أولادي الاثنين..."؛ باحثّة ضمن العلاقة بين الزوجين على الشوائب والنواقص والتدمّرات التي يستاء منها الزوج اتجاه زوجته، أين الأبناء يتودّدوا إلى الأم مشتكيين لها الظروف الصعبة التي يمرّان بها ضمن العلاقة الزوجية. وهذا ما أشار إليه "صابر" حيث كان يحكي تفاصيل حياته الزوجية للأم، -فهذا ما تبحث عنه الحماة- حيث تحاول إخضاع أبنائها دائما في وضع طفولي تريد التروّف بهم وكأنها لا تريد فقد دورها الاجتماعي التربوي والتنشئوي.

فتحاول الأم إعادة إدماج أبنائها إلى نظامها بعد الزواج، وما يهمّ الحماة إلا سعادة أبنائها المحتكين بها بصفة دائمة، أو بالأحرى ما يهمّها سوى سعادتها بأبنائها، **محاولة الحفاظ على الرابط الزواجي دون الرابط الزوجي**، فحسب رأيها: "كي عيشة، كي عويشة" بمعنى النساء سواسية، فالمهم أن أولادها حولها من بعيد أومن قريب تراهم دوما وغير منفصلين عنها، أمّا بالنسبة "للكنّات": "الحمد الله يسكنوا وحدهم. هكذا ولم نَسْلك"؛ فدائما "الحماة لها نظرة دونية للكنة معتبرة أنها، المرأة التي ستأخذ منها ابنها".[1]

[1]. le marchant C.، مرجع سابق الذكر، ص.102

3. علاقة الحماة بزوجات أبنائها:

أُم صابر متأسّفة على علاقتها بكنّاتها اللواتي لم تندمجن تحت طوعها حيث لم تستطع إعادة إنتاج النظام التقليدي، مشيرة بذلك استياءها منهنّ فتقول: "...قديما بعد الزواج، كنّا نتبَّع ونخضع لعائلة الزوج...ولا نتكلّم...والآن...راهم يْحَبوا يعّملوا برأيهم...الآن نْتَبْعُوهم نحن ونَعَّمْلُوا بالحاجة التي يحبّوها هم".

فمن خلال كلامها، يتضح أن كل فرد يدخل في علاقة أوضاع وأدوار وانتظارات في قلب النسق العائلي، فكل طرف من أطراف العلاقة له دوافع ورغبات يريد الوصول إليها أين "الحماة" كذلك تكون تحت موضع الأحكام والانتقادات من طرف الكنة، تقول: "...حتّى أولادي، يقولوا لي...لم تُرد كي قُلتلها وكي أعْملت لها... بقيت أنا أعمل كما يُحبّوا، لكي نْهَنِّيهُم وانهنِّي أولادي"، فوجدت نفسها مجبرة على تقبّل الوضع.

يشير le marchant أنّ: " الحماة أصبحت تحاول هي الاندماج إلى رغبات الكنّات؛ تَدخل إلى مسار تنشئوي مُنقلب **"socialisation à l'envers"** والتي تعني تجديد الهوية الذاتية **"soi renouvellement du"**[1] . وهذا هو مضمون فرق العلاقة بين امرأتين في الماضي والحاضر حيث نستلهم من خلال حديثها أنه قديما كانت الكنة تنصاع لتندمج في ضمن أسرة الزوج ومنه تصبح لها نوعا ما القدرة على التعبير عن رغباتها. ومع بداية بروز ظاهرة الفردانية والذات المستقلة عند الجنس الأنثوي، باتت "الكنة" ترفض الخضوع إلى معايير الحماة فارضة رأيها.

فإذن تصبح العلاقة بين امرأتين علاقة معقّدة تحمل مضمون علاقة تطاردية: كل طرف يستدعي الطرف الآخر للإندماج ضمن معاييره واتجاهاته الخاصّة وكأنها عملية تجاذب لها مضمون هش، وفي نفس الوقت تَبرز علاقة تنافرية بين الحماة والكنّة

هذه العلاقة تتولّد بعد الزواج من خلال أهمّ مفهوم سوسيولوجي ألا وهو "العشرة"، مشيرة مليكة: "..الواحد كي يَمْشِي يخطُب لا يَعْرفْ الدوَاخْل العَشْرة هِي الصَّحّْ" فهو مفهوم يدل على معنى اكتشاف شخصية الآخر مع الوقت، مُبرزة : "...عروستي... عام بعد الزواج، قلت لها كلمة...أربع أشهر لم تتكلّم معي..."

الحماة والكنّة مهما تودّدا لبعضهم البعض لا يُحرزا علاقة وطيدة بينهما، ففي أي حال من الأحوال لا تتقبل "الكنة" من "الحماة" أية إهانة فـ"الحب الذي نحمله ونكنّه للأم

[1]. le marchant C.، مرجع سابق الذكر، ص.15

يبقى وحيد وفريد للغاية أين تتوصّل الكنّة إلى رسميات العلاقة مع الحماة فيمكن القول **أحبي الحماة مثل أمك، وليس كالأم**... فالمسألة هنا...مرتبطة بعلاقة الانتماء "relation de filiation"[1] حيث تبقى الحماة أم الزوج وليست أم الكنّة كما لا تكون أبدا الكنّة موضع البنت أمام حماتها المتطلّبة أكثر من اللزوم وأي سلوك مهما يكن لن يأتي برضاها، على حد تعبير صابر: "...التعامل مع البنت ليس كما العروسة"، مما لا يسمح بالاندماج الأسري للكنات بصفة مطلقة. وبما أن "الكنّة" تعي بوضعها أنها لا تحرز رضا الحماة مهما فعلت ومهما أنها أثبت وجودها فتقوم بالنفور والابتعاد.

وبالتالي تبقى الزوجة منحازة لأهلها وأمّها خاصّة، وينجرف الزوج نحو الأم وعائلته.

خلاصة:

نستخلص من كل ما سبق أن بناء الأسرة وإعادة بنائها هي تحت سلطة أسرية وبقرار نسوي أين تعدّ الأم هي موطن الذات، تحاول دائما جذب الابن إلى صفها وتحت رعايتها حيث يبقى دائما في وضع ابن مطيع لها.

إنّ قوّة العلاقة مع أسرة الانتماء لكلا من الزوج والزوجة تعيق تشكيل العلاقة الزوجية. إضافة إلى أنّ العلاقة بين الكنة والحماة لا تحرز أي تراضي ورضا حيث كل منهما يبحث عن الثغرات الموجودة في شخصية الآخر.

[1]. le marchant C.، مرجع سابق ذكره، ص.17.

سرد حياة الحالة الخامسة:

"رامي" هو من وهران، الأصل غليزان، من مواليد 1975، عامل بالقطاع العام، متزوج وله طفلة تبلغ من العمر أربع (4) سنوات، يتحدّث عن الاختلاف التنشئوي بينه وبين أخواه مبرزا وعيه بهوية انتمائه والمتقيّد بأواصر العائلة الأمومية ووشائجها، موضّحا وإيّاها كيفية الاختيار للزوجة، فيحكي قائلا:

نشأتي كانت أغلبيتها في ولاية غليزان وهي ولاية ليست بدرجة التحضّر كولاية وهران، هي ولاية ريفية ذو طابع بدوي، لا صناعية ولا حضرية، يحمل أهلها اتجاهات صارمة إلى حدّ الآن. أعرّف لكِ الولاية لأخبرك أني كبرت بوهران إلا أنه لدي نزعة بدوية ومتأثر بها كثيرا، فدائما أعود إليها في فترات العطل (شتوية وربيعية وصيفية)، فتربيت مع أخوالي، حيث يمكن أن أقول أن جدّتي هي التي ربّتني، والوالدة كأي الأمهات الأخريات تحب لأبنائها الخير وتعطي رأيها ولكن لا تفرض علينا شيئا، فنشأت على الاستقلالية منذ الصغر، أما أبي -يرحمه الله توفي كان في عمري 17سنة- كان حتى هو لا يقول متى دخلت أو متى خرجت، المهمّ لا تأتي بالمشاكل من أي نوع كانت وخصوصا مع الجيران. فلو يشتكى أحد منّا يوما لأبي، لا يرحمُك.

أبي أصله من غليزان أيضا، وتربىّ بها ولكنه دخل صغيرا إلى وهران وعمل موظّفا بالمرسى، وأخواي -الأكبر مني الأول من مواليد 1960 والثاني من مواليد 1964- ليس تماما مثلي، فبالنسبة لي لا أريد التقليد الشباني، وليس لديّ الميزاج للسلوكات الحديثة، فأنا دائما تابعا للتقاليد الصارمة لولاية غيليزان، عكس أخواي لهما طبع وهراني فهم مُنحدرون إلى اتجاهات أبي، أما أنا مُنحدر للوالدة وبكثرة فالوالدة كانت متمسّكة بي كثيرا وتخاف عليّ كثيرا وتحرص علي فأنا "المازووي"، وبقيت في نفس السيرة معها حتى كبرت.

فإذن أعود لأخبركِ على نشأتي فأريد أن أقول أنها كانت عادية، فأدرس أقرأ وأعمل في نفس الوقت منذ أن كان في عمري 15سنة لأجني ربحا فلا أريد أبدا أن أطلب من عائلتي مالا، حتى بعد وفاة أبي حيث تكفّل بنا أخي الأكبر، فبقيت دائما أدرس وأعمل إلى أن تخرّجت من جامعة وهران، وبعدها قمت بالجيش بولاية بلعباس، وبعدما أتممت الخدمة الوطنية قمت بأعمال حرّة يوم أجني ربحا و يوم آخر لا. وفي نفس الوقت أمرّ بمسابقات التوظيف إلى أن نجحت ودخلت كعامل بالقطاع العام.

هنا تعرّفت على زوجتي الحالية. –التي تزوّجتها في نوفمبر 2010 كنت أبلغ من السن 35 سنة– هي من مواليد 1984، أصلها من بني بوسعيد بالزوية دائرة مغنية ولاية تلمسان ومولودة بوهران، أختُها كانت زميلة لي في ميدان العمل متزوّجة ولها أطفال، وهي دخلت معنا في نفس القطاع تحت نظام تشغيل الشباب.

في البداية لم يكن لديّ أي تصوّر خاص حول الزواج فنحن لا نتكلّم في هذه المواضيع مع العائلة وحتى مع أخواتي الكبار لدينا الوقار، فعيب و"حشومة" نتكلّم عن الزواج، حتى مع أخوالي رغم أنّني عاشرتهم و"موالفهم" واتخذت طبعهم ولكن لا أتحدّث معهم أبدا في هذه المواضيع، ولم يعطوني رأيهم فيه، ولكن أعلم أن الزواج مسؤولية وليس بالأمر السّهل وتضحية كذلك، هذا ما التقطته عبر الملاحظة ضمن العائلة، ووجدت الزواج كما كنت متوقّع، فمثلا: -والله بعض الأحيان وأنا حاليا متزوّج أنسى نفسي في الملابس المهم أن العائلة راضية حتى الزوجة تقول لي اشتري لنفسك بعض الملابس-.

فإذن لم نكن نتكلّم في هذا الموضوع. الشيئ الوحيد حول موضوع الزواج أتذكّره هو أن الوالدة كانت تقول لي دوما عندما تريد الزواج اختَرْها أنت لكي لا تَلُمني بعدها إن لم تُعجبك، هذا ما فاتحتني به الوالدة... فاخترتها لوحدي.

...طلبت مني أمي هذا لأنها تعرفني أن لدي بعض الطباع الصارمة وذو عقلية نوعا ما من اتجاه واحد. كما تعلم أنني قيد التقاليد العائلية وأن تفكيري صعب "مْزيّر"، فتقول "دبّر راسك"...فبالنسبة لها لم تكن لها معايير محددة للفتاة التي اختارها، فهي دائما تردّد "إذا "مليحا" ليك وإذا "قبيحة" ليك أيضا".

أما فيما يخصّ أخي الأكبر لم يعرف أي واحدة وهو الذي وكّلها للبحث له عن زوجة، فالوالدة هي التي اختارت له، ولكن طابقت هواه، أما أخي الأوسط فاختارها لوحده فزوجته تعدّ ابنة أخت زوجة أخي الأكبر –فالخالة وابنة الأخت "سلايف" بمعنى كنّات في منزل واحد-؛ أما أنا فقلت زوجتي اخترتها بنفسي، ولكن لا أُأْمِن بموضوع الحب فالحب بعد الزواج، حيث في اليوم الذي دخلت فيه للعمل حددت العلاقة مع زميلات العمل فهي زميلة و"بسّ" ففي الأول نضع الحدود لا أُطْمِع حتى واحدة، خاصّة أن المكان الذي كنت أعمل فيه به ظاهرة العنوسة مرتفعة

حتى العلاقة مع زوجتي الحالية في العمل كانت علاقة زمالة، ولم تعرف أبدا أن لدي نية الزواج منها، وبما أنّي كنت أبحث عن الاستقرار لم يهمّني يوما أصلها أو حسبها ونسبها أو حتى جمالها، المهم تكون بنت عائلة محترمة، ومقبولة شكلا فالجمال لا يدوم، فكنت ألاحظ طبعها عن بعد وأميّز تصرّفاتها وسلوكاتها.

...فأول خطوة قمت بها -حيث الفتاة لم تكن تدري بنيّتي اتجاهها- فاتحت أختها في الموضوع - قلت لك أن الأخت زميلة لي في العمل- فتحدّثت وقلت لها أني أريد التقدّم لخطبة أختك فلا أدري إن تقبلوا، وبعد ذلك الأخت فاتحت أبوها في الموضوع، إذ قالت له: "هناك زميل في العمل يريد خطبة أختي الصغرى –فهي الأصغر- ونعرفه منذ زمن"، فإذن وافق الأب بالتقدّم، وبالتالي ذهبت الوالدة لتطلب يدها وتتعرّف بالأسرة.

أحكي نوعا ما عن نشأة زوجتي :"الزوجة ملازمة للأم "لازّا للأم" أبوها كان صعب الطباع فكانت هي وكل أخواتها محتكين بالأم، فتطبّعت عليها وكما تعرفين البنت تشبه أمّها ومن عندها اكتسبَت العادات والتقاليد، فوجدتُها بعد الزواج أنها تحمل الاتجاهات نفسها لاتجاهات عائلتي. كما أنها لا تتكلّم فإذا اشتريت لها لا تحاسب وإذا لم اشتري لها فلا تحاسب أيضا، واندمجت وتأقلمت مع عاداتنا وتقاليدنا وخصوصا -أنتِ تعرفين- مجال الطبخ كل وطريقته، فتعلَّمَت حيث تأقلمت في الدّار ومع الوالدة (مكرّرا هذه العبارة ظاهرا علامات السعادة على وجهه) فالوالدة تسكن معي، وبالنسبة للأكبر خرج ليسكن لوحده، أما الثاني فهو معنا في نفس المنزل إلاّ أن المطبخ منفصل.

تحليل تصريحات المبحوث (الحالة الخامسة)

اندماج تام للزوجين ضمن الإطار العائلي

I. ميدان العمل هو موطن اكتشاف القرين:

المجال المهني كان المكان الذي تمّ فيه الاختيار للقرين، مشيرا "رامي": "...دخلت كعامل بالقطاع العام. هنا تعرّفت على زوجتي..."، فأصبح ميدان حديث الطلعة ليست له آثار تقليدية يتم فيه التعارف بين الجنسين أين اكتشف رامي الفتاة التي تناسب معتقداته الفكرية: "...**كنت ألاحظ طبعها عن بعد وأميّز تصرّفاتها وسلوكاتها**.."حيث وجد فيها المعايير التي تناسب شخصية انتمائه الأسري.

II. اختيار الشريك و اتخاذ القرارات:

1. هوية الانتماء واختيار الشريك

يشير Michel Bozon في تكوين العلاقة الزوجية أن اختيار الشريك يتم تحت معالم معيارية صارمة مبلورة في نظام سوسيوثقافي، فرغم أن هذا الاختيار يعد شخصي إلا أن الفرد واعي بهوية الذات وانتمائه العائلي والعرقي فهو أمر يفوقه، يعتبرها M. Bozon أنها ظاهرة اجتماعية تفاعلية بين الأنا والآخر يتم من خلالها إصدار الأحكام وفقا لرواسب التنشئة أين كوّن الفرد إديولوجية تحدد انتمائه الأسري حيث لا يدخل في علاقة تفاعلية عشوائية مع أيّا كان.[1]

[1]. أنظر: François Héran, Michel Bozon "، مرجع سبق ذكره.

يقول رامي: "...تربيت مع أخوالي... فالوالدة كانت متمسّكة بي كثيرا...وبقَيْتُ في نفس السيرة معها حتى كبرت". مما يثبت لنا أنه يحمل إيديولوجية النسّب الأمي(*) ويميل إلى نزعة الخؤولة فهو متمسّك تمسّكا وثيقا بالأم وملازم لها استبطن بذلك الثقافة الأموية، فاكتسب مجال معرفي مرتبط بتقاليد بدوية الأصل أين نشأ وترعرع فتطبّع على معايير خاصّة حدّد من خلالها أفكاره واتجاهاته فكوّن ذاته، أين الأنا ستوجّه السلوك في اختيار شريكة الحياة حيث يعود إلى الرواسب الثقافية رغم التغيرات الاجتماعية، مبرزا في حواره: "...فأنا دائما تابعا للتقاليد الصارمة لولاية غيليزان.."

فبذلك رمى رُمح الانتقاء الزوجي على حسب القيم العائلية التقليدية أين التجانس في المعتقدات الأسرية كان أهم ما ميّز العلاقة، فيقول:" لدي نزعة بدوية...أما الزوجة أصلها من بني بوسعيد بالزوية دائرة مغنية ولاية تلمسان." مما يتّضح لنا أنّ كِلاهما ينتميان من نفس الانتماء البدوي والتجانس في المعتقدات الأسرية (♦) فمهما كان الاختيار فردي يكون محدّد ومقولب في معايير خاصّة بثقافة الأسرة.

في نفس السياق تشير نهى بيومي، من خلال السيرة الذاتية لـ"إدوارد سعيد"[1] فتوضّح لنا كيف أن الفرد رغم حراكه الاجتماعي والجغرافي إلاّ أن قيم وتقاليد ومعايير العائلة تقيّده طوال سيرورة حياته، مشيرة أنّ ادوارد سعيد وجد أن الزوجة الأمريكية لا تناسبه ولا تحمل نفس اتجاهاته وقيمه التي نشأ وتربّى عليها، وما كان عليه إلاّ العودة للجذور حيث الإنسان يعود إلى الأواصر ويسترجع الذكريات مما يبيّن أنّ مرحلة الطفولة هي أهمّ مرحلة يكتسب فيها الفرد الفكر الإيديولوجي لبيئته الأصلية.

---

*. الفرد قد ينحذر ويميل إلى الاتجاه الامومي أو الأبوي أو لكلا الطّرفين. فانحدار الابن من خلال نسب أبيه يطلق عليه **نسب أبوي**، وانحدار الاين من نسب أمه يطلق عليه **النسب الأمي -أو الأمومي**- وإذا كان انحدار الابن من نسب أبيه وأمه في آن واحد فإن النسب يطلق عليه **بالنسب المشترك**. وهناك القرابة الأولية التي تربط الوالدين بالأبناء كالعلاقة التي تربط الاب والام والاخ والاخت. والقرابة الثانوية التي تربط الإبن بالخال والعم ببنت الأخ... **(Fox,R.Kinship, And mariage A pelican (Book, midlesex,England, 1967.؛ نقلا عن: احسان محمد الحسن(2005)، ص.51.**

كما اهتم **"راد كليف براون"** بمكانة الخال وأهميته فهو يرى أن مفهوم الخؤولة يتضمن نسقين متعارضين من الاتجاهات: في النسق الأول يمثل الخال السلطة العائلية وبالتالي فهو يتمتع ببعض الحقوق على ابن أخته الذي يظهر نحوه الطاعة ويشعر بالرهبة والخوف منه؛ بينما في النسق الثاني يتمتع ابن الأخت ببعض الامتيازات التي تتمثل في عدم الكلفة والشعور بالألفة نحو الخال وذلك في المجتمعات التي تكون السلطة العائلية أبوية حيث يمثل الأب السلطة والخال جانب الحنان وحين يمثل الخال السلطة –كما في المجتمعات الأموية- تكون العلاقة مع الأب تتسم بالمودة والآلفة...**(فاتن شريف، الأسرة والقرابة: دراسات في الأنثروبولوجية الاجتماعية، دار الوفاء: الإسكندرية، ط1، 2006.ص38)**

♦. يُعتبر هذا الزواج، زواج داخلي (endogamie). راجع الفصل النظري، ص.20.

[1]. الكاتب، الناقد والأكاديمي الفلسطيني/الأمريكي عرف بكتاباته من أهمها كتاب "الاستشراق": **أنظر**: مقال نهى بيومي "ذكورة/ أنوثة و قلق الهوية "، مجلة باحثات، النساء في الخطاب العربي المعاصر،2004-2003.

وفي نفس المضمون نشير إلى "نظرية التوليد الروحي maïeutique " لسقراط[1] (*) التي تبيّن ما اكتسبه وما تلقاه الفرد في طفولته تبقى في أواصله، حيث الروح توجّه الجسد طوال مراحل التنشئة الاجتماعية. أين الأسرة أو الأم لها الأثر البالغ في تكوين الفرد حسب انتمائه الأسري والعرقي.

إنّ "القيمة الأساسية الموجهة للطفل وهي الاندماج الاجتماعي أكثر منه تحقيق هوية الانتماء... في نظام maïeutique القيمة الأساسية وهي اكتشاف الذات -للراشد وللطفل- وتأكيد سلوكياته النابعة من نفس الجماعة الاجتماعية والمتأثر بها. هذا الاكتشاف للأنا يتولّد من خلال علاقة مركزية بامتياز... بين الموجِّه والموجَّه... يمكن للفاعلين الاجتماعيين توجيه السلوك. المعايير والعقائد لها تأثير قويّ في ذلك... يستقيها الفرد عند الحاجة، على حسب المواقف بصفة اختيارية... تنشط الفكر (الرصيد الاجتماعي المرشد والمسيِّر...) و**تقود الذات لإيجاد الصفات المشتركة في الآخر**".[2]

2. اختيار الشريك تحت السلطة المضمرة للأم.

يقول "رامي": "...تقول لي دائما اختر زوجتك كما تريدها أنت...تقول لي هكذا لأنها تعلم أنني قيد التقاليد العائلية...ذو عقلية نوعا ما من اتجاه واحد...فأنا منحدر إلى الوالدة".

فأوكلت الأم له سلطة الاختيار متأكّدة أن الابن لن يخذلها في اختياره. مما نلاحظ أن سلطة الأم واضحة من خلال تنشئتها لابنها عملت على جذب ابنها الأصغر إلى نسبها وقامت بإعادة إنتاج البعد الثقافي العائلي الأمومي منحتها الثقة بالنفس فوّضت له سلطة الاختيار، فكان الوحيد من بين أخواه الذي حمل التوكيل الاجتماعي الرسمي من الأم –من بين أخواه- كانت واعية باتجاهات الابن الأصغر الشديد التقرّب لها فـ: "أخواي...منحدرين إلى اتجاهات أبي..."، حيث وجّه رامي اختياره بما يناسب هوية انتمائه الأمومي أين وافقت الأم على اختياره أثناء التعارف الأسري.

---

[1]. Jean KELLERHALS, Eric WIDMER, René LEVY , mesure et démesure du couple :cohésion,) (crise de résilience dans la vie des couples, payot § rivages ,2004, ص.31،

*. Maïeutique: تعني "immortalité de l'âme" خلود الروح...من خلال ما يسمّى بروح التساؤلات التي تسمح بإيجاد الحقيقة في النفس... سقراط يؤكّد بأن كل واحد منا يملك معارف دون وعي. والتساؤلات تسمح لنا باسترجاع ذاكرتنا...فالروح تتحكّم وتحرس أعمالنا وليس الجسد. **رابط النص**: http://la-philosophie.com/maieutique-socrate-definition

[2]. KELLERHALS J., WIDMER E., (2005,2007).- Famille en suisse : les nouveaux liens, presse) (polytechnique et universitaire romande, Lausanne، ص.ص.71-72

3. الفضاء العائلي مقر اتخاذ القرارات

المستقبل الزواجي هو بين يدي الأسرة وليس الفرد كما أن فترة التعارف ليست مرتبطة بالزوجين فحسب بل بالأسرتين أين قرارها يعتبر مهمّ وضروري، فكان ملزم على "رامي" قيام بخطوة ضرورية:"...فأول خطوة قمت بها...فاتحت أختها في الموضوع...قلت لها..أريد...خطبة أختك **فلا أدري إن تقبلوا... وبالتالي ذهبت الوالدة لتطلب يدها، وتتعرّف بالأسرة"**

مما يدلّ أنّ الزواج هو تعاقد اجتماعي بين أسرة الزوج وأسرة الزوجة يتم التعارف والالتقاء بينهما لتقويم وتقييم العلاقة حيث "فترة اللقاء الأوّل مع أسرة الزوج لا يمكن الاستغناء عنها في العلاقات الثنائية فهو سلوك محافظ. وتعد نقطة الانطلاقة للعلاقة الثنائية"[1] "فهي مرحلة الإعداد للاندماج الزوجي بالمعنى الدوركايمي، بهذه الطريقة **الزوجين يحزمان الأمر فيتمسّكا ويقوّيان العلاقة[2]**، فالتعارف مع أسرة الزوج إذن يعتبر الوقت الحاسم والقطعي يدخل في تاريخ العلاقة الزوجية"[3]. فكيف ما كان التعارف وطريقة التواصل فالقرار النهائي والأخير للأسرة، وخاصّة الأم التي رضيت باختيار الابن.

III. واقع الحياة الزواجية:

الاختيار الصائب يؤهل إلى نجاح الزواج حيث توفّق "رامي" في زواجه أين الزوجة اندمجت بسهولة في الإطار الثقافي للأسرة الزواجية، مشيرا في حديثه: "وجدتُها بعد الزواج أنها تحمل الاتجاهات نفسها لاتجاهات عائلي...اندمجت وتأقلمت مع عاداتنا وتقاليدنا" كما انسجمت الزوجة فكريا وعاطفيا مع الأم: "...وتأقلمت في الدّار، ومع الوالدة"، فرامي **قام باختيار "كنّة" للأم وليس زوجة له** مكتشفا أنّ الفتاة المرتبطة بأمّها ارتباطا وثيقا اكتسبت تنشئة تقليدية بحتة: "فالزوجة ملازمة للأم..."، أين الأم تُرسي التقاليد وتهتم بالنجاح الزواجي للابنة. فبالتالي الزوج كان موفقا في الاختيار حسب ما ساعد متطلبات أمّه. حيث أصبح الزوج السعيد.

---

[1]. Le Marchant C (1999)، مرجع سبق ذكره، ص.99

[2]. (دوركايم، 1960)، نقلا عن: .Le Marchant C (1999)، مرجع سبق ذكره، ص.105.

[3]. .Le Marchant C (1999)، مرجع سبق ذكره، ص.105

خلاصة:

من كل ما سبق، نستلهم أنّ الحرية في اختيار الشريك هي في حدود ما يسمح به العرف العائلي. والأسرة هي المشرفة على علاقات الزواج ولها القرار في الاختيار، رغم التغيرات الاجتماعية التي سهّلت مجال التعارف والالتقاء بين الجنسين.

سرد حياة الحالة السادسة:

"منصف" من مواليد 1977 بوهران، الأصل تلمسان، متزوج وله طفل يبلغ من العمر تسعة (9) سنوات عامل بالقطاع العام. يحكي لنا عن العقبات التي تخطاها في حياته وأثّرت في نفسيته لمرحلة ما بعد الزواج، اكتشف فيها واقع اجتماعي ضعضع توازنه الفكري تحت وطأة النظام التقليدي الذي أُعيد إنتاجه، حيث كان لابد من مواجهته والتحرّر منه.

ولكن قبل سرد حكيه سنقدّم حكي الوالديين، نبرز من خلاله أهم ما ورد في النصّ بإيجاز، وما يساعدنا على تحليل محتوى نصّ منصف -الذي يهمُّنا في الدراسة- إذ نقوم نوعا ما بالتنسيق بين المقابلتين، أين يشير الوالدين إلى طريقة تنشئتهما من خلال الإشارة عن طريقة الزواج التقليدي من الوالدين وصولا إلى الأبناء. فله ابن من مواليد 1980 وإبْنَه من مواليد 1983، بعد منصف. فـإذن:

"قادة" الأب، من مواليد 1949 بوهران تلمساني الأصل، متقاعد. يخبرنا عن تنشئته على مراحل حياته مبرزا لنا طريقة زواجه وكيفية التعارف والاختيار لشريكة حياته في غور العلاقات العائلية. فيبدأ يحكي -وزوجته أمامه التي هي من مواليد 1955 من تلمسان:

زوجتي من أقرباء النسب لأختي الكبرى حيث زوجها وأب زوجتي أبناء الخال، زوجتي كانت تقضي فترة عطلتها عند ابنة خال أبيها وفي هذه الفترات تعرّف أخواتي عليها، فاغتنموا فرصة مجيئ أختي من الحج لأراها، وعن بُعد قالوا لي "هذه التي أَخْبَرْنَاك عَنْها". تزوّجتُ كنت أبلغ من العمر 28 سنة وكانت فكرة الزواج من أختي الكبرى، على حسب رأيها الوقت يمضي بسرعة وعلي أن أبني عائلة.

الزوجة: آنذاك لم أكن أعلم سبب ضيافتي، حيث أبي ذهب إلى مقر عملي وطلب من المدير يوم راحة وبدون عِلمي كذلك، فسافرنا. وبعد عودتنا وبأيام قليلة أخبروني أنهم "مَدُّوني" فلم أستطع أن أقول شيئا...تزوجت من العائلة...كان أبي لا يحبّ الغريب "البرّاني"، كان يحبّ من نفس الأصل.

الزوج: ...كنت أراها ولكن لم تكن في بالي، ولم أفكّر أبدا في الزواج، كيف أخمّن في الزواج وأنا كنت مسئوول العائلة على كل أخواتي بعد وفاة أبي، كنت الوحيد الذي أعمل في العائلة بين أخي الأصغر مني سنا، وثلاث أخوات لا تزَلن في صف الدراسة، مع أختين آخرين متزوّجين، وأمي التي كانت مريضة، فإذن تكفّلت بهم وأنا في عمري 18 سنة.

قديما كانت العائلة تعتمد على ربّ الأسرة الكبير سنا كيفما كان ومهما كان، ولا وجود لأي نقاش معه... ولا يحق التعبير عن رأيه؛ موضوع الزواج كان من المواضيع التي لا يحقّ أبدا ولا يستوجب الكلام فيه مع أيا كان.

لو أحكي لك على والديّ كيف تزوجا: أمي تزوّجت ابن خالها. في يوم ما إلْتَمَّت العائلة في منزل واحد بَدَأْ فيه النساء يجهّزن وَلِيمة خاصّة ليوم احتفال بزفاف، وكلا الزوجين لا يعلمان أن هذا اليوم هو يوم الاحتفال بعرسهما بالذات...فتم إخبارهما فيما بعد. فدخل عليها وهي لم تعلم أصلا أنها ستتزوّج ابن خالها. فأريد أن أقول انه كان الكبار هم من يختار وعليهم القرار ولا يصحّ الرّفض.

كما أن الحكم للأب، أتذكّر أبي كان صعب، عندما ينظر إلي عيناي تنغلق لوحدها، وكانت أحد أخواتي بنظرة منه ولوعفويا تقوم بالبكاء. فقرار زواج أختي الكبرى كان تحت طوعه وأمره... الدين يتكلّم عن طاعة الكبار ورأي الولي إجباري، ومن جهة أخرى يتخلّوا عن الجانب الذي يقول على المتقدم إلى الزواج طلب رأي كل من الفتى والفتاة.

كان الكبير هو كل شيئ، والآن تحت تصرّف الجيل الحالي أصبحنا نحن الصغار "بْزُوزْ" معهم وأمام رأيهم. والرجل كان هوّ الذي يحكم، المرأة ليس لها القرار؛ كما لا يصحّ أن يتكلّم مع زوجته، عيب وحشمة كبيرة، ولا يتصوّر أبدا أنه يجلس مع زوجته أو يتنزّه معها، لا يتخيّلها ولا يفكّر فيها إطلاقا، فلا تطبّق أبدا بوجود العائلة، كما لا يحق أن يتخيّل زوجته قبل الزواج ولا يحق له أيضا بعد الزواج. فلا نعرف ما هو الزّواج إلاّ بعد الزواج.

...أخبرك عندما زوّجت ابنتي، قالت لي جدّة الزوج: "قالوا لنا أنت حكَّامْ، والآن هي عَنْدْنا أُحْكُم إذا تستطيع"،...تزوّجت من العائلة، فالحماة أخوها زوج أختي، سمِعَت أن ابنتي لم تتزوّج، فأتت لخطبتها.

<u>تتدخّل الزوجة</u>:...اختارتها هي وانقلبت عليها بعد ذلك، هي كلُّش في الدار..حتى في اليوم الذي جاء ابنها لرؤية ابنتي لم ينظر إليها حتى جيّدا من قوّة أنه يخاف من آمه.

<u>يتكلّم الزوج</u> –لم يترك الزوجة تتحدّث كثيرا-:...أما الأبناء، زوّجوا أنفسهم، فهم اختاروا زوجاتهم،...حيث الأوّل ذهب عند عمّته الكبرى وأخبرها أنه يريد الزواج وبدورها حدّثتني وأخبرتني بما يجري، حيث أبوها لم يرضى بهذا الزواج بحجّة أنه لم يرد التناسب مع العائلة مرّتين فابني أراد ابنة خالته، فذهبتُ أنا للكلام معه و إقناعه، وهذا ما جرى. فذهبنا لإتمام الخطبة. أما الثاني فتحدّث معها (الأم).

<u>تتدخّل الزوجة</u>: تعرّف بها تسكن أمام المحل الذي يعمل به، فذهبت أنا وعمّته لرؤيتها ورؤية أسرتها، وتمّت الخطبة بعد ذلك.

....العلاقة معهنّ (الكنّات)، أنتِ تعرفين كل جيل ووقته، يعملن برأيهم ولا يهمّهم رأينا، ...فالأولى فرضت نفسها عوض أننا نفرض عليها، حتى ابني لا يعمل بمشورتي ورأيي، لا يُحب عليها أبدا ودائما في صفّها، تريد كما تحب هي، وتردّد دائما، "أنا لا أحب هكذا، أنا لا أرضى بهذا" إلى أن

أصبحنا نتركها تفعل ما تشاء لا نتدخّل في أمورها الشخصية ومع زوجها، سَكَنَت مَعَنا لمدّة سبع (7) سنوات. أما الثانية من الأوّل لوحدها تأتي لرؤيتنا ولكنّها كانت قريبة نوعا ما مناّ مقارنة مع زوجة الابن الكبرى، -تتنهّد قائلة- "ابنتي المسكينة لم تتعرف عليه ولم تختطفه".

- **"منصف" الابن الأكبر**، بدأ يتحدّث أولا عن أباه ويقول:

كان صعب بكثرة ولم نكن نراه إلا قليل، كان يأتي بالأعمال المهنية حتّى في المنزل، وكذلك كان متعصّب الطباع ويحكُم ولا يتكلّم معه أحد، كان على الطاولة عندما يبكي أحد منّا، أو لا يُعجبه شيء ما، يقلب الطاولة كما هي، كان محرّم علينا الخروج من المنزل، فمن المدرسة للمنزل ومن المنزل للمدرسة.

"أنا و أخي تربّينا عند عمّي كان أبي يتنقّل من بلاد لبلاد ويأخذ أمي معه -هنا في الجزائر- كان مسؤول، وهو "déjà" كابر في المسؤولية، مسئول في ميدان العمل وفي العائلة، ويتكلّم إلاّ بالقانون "مزَّيْر بزّاف" "يحكُم، و يتدّخل في كل شيء: متى تدخل ومتى تخرج وماذا تقرا، وماذا تعمل؛ عندما تخرّجت من CFPA قال لي: لما لا تقوم بعمل تحت نظام تشغيل الشباب تقترض مالا وتقوم بمشروع؛ وهذا ما قمت به في البداية وجهّزت الملف، ولكن فهمت بعد ذلك أنه سيخرج للتقاعد وهو من يريد هذا المشروع؛ فإذن ذهبت عند "الكاتبة" وقلت لها:"بطَّلت" حيث تراجعت...

...وفيما يخصّ زواجي، أهل الفتاة كانوا على وشك أن يُزوّجوها "ماشْيْن يمدّوا البنت لّي كُنت حابها"، فذهبت عند عمتي، وقلت لها "اذهبي قولي لهم (الوالدين)"؛...أمي لم أقل لها، فايْن تهدر مع "مّا"، هي كذلك طوال حياتها لم تتحدّث معنا ولم تجلس معنا -ويتكلّم عن عمّته بكلّ افتخار وإعجاب وهو يضحك- عمتي كانت وقتيّة تعمل toujours la mise à jour مع الوقت"

... عندما تزوَّجت -يتكلّم وكأنه تَعب- :"الحُكم بزَّاف كلّ شيء بالقانون كان أبي يَحكمُ وأنا متزوّج وبالولد، فمثلا قبل المغرب لابدّ أن نكون في الدّار ولا يجب أن أخرج معها (الزوجة)، "المرا" (الزوجة) لم تستطع، يحسن عونها، هيّ لم تتربّى في هذا "الزِّيَار" والقوانين، حتّى كان عندما يتكلّم معها (الأب) ويقول لها: لا تقومي بهذا ولا تفعلي هذا، تجيبه وتقول مثلا: "لِيَّهْ (لماذا) هذا ممنوع؟، حتّى يُجيبها حائِرا، "لاّ! ". أنا لا أستطع قوْل أو فعل هذا !.

فإذن وقع المشاكل كثيرا، تزوّجتُ كان في عمري 26 عام شَفْت المسؤولية، بدأت نَخْدَم ليلا ونهارا لأجني مالا، ونَعْمل داري، و"المرا" ساعدتني كانت صبورة في بعض الأحيان وأحيانا أخرى كانت تَكْره -يحسن عاونها- أبي من جهة والضيق من جهة، وأمي من جهة أخرى، حتّى أنا لم أعرف كيف أَنْسلّكها معَهم "المرا" من جهة و ولدايّ الذي لا أستطع أن أُفرِّط فيهما من جهة أخرى.

وصل الأمر إلى حد طلبوا مني أن أطلق، -"أنا تزوجت ماشي باش نطلّق"- حتّى أخي الأصغر منّي يتدخّل ويقول لي: "إيّا طلّق". فإذن، كان "خاصْني" أن أكون رجلا وأُصلح الوضع، حتّى أمامهم كلُّهم قلت لهم أنا لا أطلّق، وأنتَ اليوم الذي تتزوج فيه، بعده تعرف "أنا فاش راني".

صرت امرأة معهم؛ هذه العبارة أصبحت موضة، فأحد أصدقائي تزوّج وسكن مع والديه، وبعد شهور يطلب مني مساعدة في البحث له عن منزل للكراء، مُوضّحا لي بذالك أنه أصبحَ امرأة، فأجبتُه "صَايِي وْلّيتْ مْرَا إيوَا غِيل أخْرُج"

...أنا كذلك هذا ما قمت به "المرا" لم تستطع وأنا لم أعرف آتي "من" أو "من"، وحتّى "المرا" أصبحت تَرُدُّ الكلام -تدافع على نفسها، تواجه-..."حتّى أَمرْتها أن تضُبّ متاعها وتذهب، فلم تُرِد وبدأَت "تبكي"، مرددة أنها يمكنها أن تصبر معي أكثر...فأجبتها أنْ تَثِقَ بِي وَلنْ أَخْذُلَها أو أسْمَحْ فيها، سأبْحَث عن بَيْت للكِراء، ونبدأ من جديد.

سبع (7) سنوات من المشاكل والتعب، فمازلت شاب وأُصبت بضغط في العينين... فإذن بقيت زوجتي أربعة أشهر في منزلهم، وأنا في هذه الفترة تحمّلت بقصوى ساعدني أصدقائي ماديا ومعنويا، وبدون علم الوالدين حيث اتّكلت على نفسي لكراء منزل وتجهيزه وبناء حياة مستقلة، وحتى "المرا" قَارِي لْزْمان عْقُوبة كانت معدّة كل لوازم المنزل، حيث اشترت الأواني بكلّ أنواعها، نقولك حاجا ما كانت خاصَّتْنا، أنا اندهشت في اللوازم والمعدّات...كانت خدّامة حتّى هي. وتَلمْ الدْرَاهَم مْعَاي، لم أشعر يوما "دراهمها وحّدهم ودراهمي وحّدهم"، "خَرْجَتْ "مرا" مْعاي حتّى هي"

وبالنسبة لوالديّ "المرا" غابت عن المنزل وكأن بالنسبة لهم ولا شيء قد كان فلم يأبهوا ولم يتحرّكوا ساكنا ولم يكترثوا لغيابها ولم يعطوا للموضوع أهميّة، -زادت بقات في خاطري- ولكن والديّ ماذا أفعل يبقوا والديّ حاولت إرضاءهم كذلك. فعندما كريْت وجهّزت المنزل دخلت عنده (الأب) وتكلّمت معه، وقلت له:"أنا لا أفعل مثلك" -لأنّه هو خرج من دارْهُم بِدون عِلم أمِّه – جدّتي- فكان يُخرِج حاجيات بيته شيئا فشيئا، حتّى جدّتي دخلت للبيت فجأة ورأته فارغ- فإذن طلبتُ رضاه وقلت له: "أنتم والديَّ وعلى راسي ونَطلب رضاكم، وأنا كذلك أحب زوجتي وابني ولا أفرّط فيهم. راني خارج من الدّار وهذه "مليحا لينا وليكم"، وتأتوا لعندي وبالفرحة والسرور. "عاييت، عاييييت!".

تحليل تصريحات المبحوثين (الحالة السادسة):

الرجل يصبح راشدا بعد أخذ الاستقلالية من الأسرة

I. اختيار الشريك واتخاذ القرارات: مسألة عائلية ترتكز على قيم محافظة

يتحدّث قادة (الأب) مشيرا: "موضوع الزواج كان من المواضيع التي لا يحقّ أبدا..الكلام فيه مع أيا كان"؛ ولا يزال إلى حدّ الآن فلم يجد منصف أمامه سوى العمّة الكبرى المواكبة للتغيّرات الاجتماعية واعتبرها الوحيدة التي يمكن مفاتحتها في الموضوع مبرزا أنّ: "عمتي كانت وقتيّة..." متفهّمة.

فالزواج هو مسألة عائلية تهم الجميع وترتكز على قيم محافظة كان لا بدّ على "منصف" إيجاد طريقة للاتصال مع الوالدين بصفة غير مباشرة تضمن له الإيجاب والقبول بين الأسرتين. فكانت العمة هي الفاعل الاجتماعي الوسيط المحتذى به ضمن شبكة العلاقات العائلية لها الشرعية في إصدار الأوامر فهي الأخت الكبرى للأب والعامل بتوجيهاتها وتعليماتها والجديرة بالاحترام، فـ: "قديما كانت العائلة تعتمد على ربّ الأسرة الكبير سنا كيفما كان ومهما كان"، مشيرا الأب. و"منصف" هنا لم يخرج من المعيار أين توصّل إلى مراده حيث تم الإحلال بالإجماع على الاختيار الذي كان من بين أبناء العمومة بالتقاطع إذ الزواج كان داخلي من العائلة (*).

ويعتبر هذا الزواج، "الزواج الأندوغامي" وهو المطلوب بشكل قطعي...يتمّ التركيز على المجال العائلي حيث العلاقات الجنسانية تكون عائلية ولا تخرج عن إطارها· لأن الزوجة الدخيلة والغريبة لا تندمج بسهولة ضمن المؤسسة العائلية[1]. و"لكن مهما كان نوع الزواج، فدخول المرأة ضمن الجماعة الأسرية لها دور مهم فقد تقوي العلاقات العائلية أو تضعفها"[2].

---

*. قد يكون الزواج بين أبناء العمومة:
- الزواج بين أبناء العم المتوازين خط الأب: زوجة الابن هي ابنة أخ الأب
- الزواج بين أبناء العم المتوازين خط الأم : زوجة الابن هي ابنة أخ الأم
- الزواج بين أبناء العم بالتقاطع خط الأب: زوجة الابن هي ابنة أخت الأب
- الزواج بين أبناء العم بالتقاطع خط الأم : زوجة الابن هي ابنة أخت الأم

KOUAOUCI Ali.، مرجع سبق ذكره. ص.122.

1. Camilleri C. .، مرجع سبق ذكره، ص.ص.09-10

2. Camilleri C. .، نفس المرجع، ص.ص.10-11

زواج "منصف" لم يحرز التجانس في المعتقدات الأسرية أين تبيّن في الواقع الاجتماعي بعد الزواج الفارق في الطريقة التنشئوية بين الزوجين حيث كل زوج له نظام عائلي مختلف عن الآخر؛ أفرز بذلك توترات في قلب الأسرة، فقد نعتبره زواج خارجي(♦).

II. واقع العلاقات بعد الزواج:

يقول الأب: "..لا نعرف ما هو الزّواج إلاّ بعد الزواج" ويضيف "منصف" موجّها انتقاداته للأخ: "..اليوم الذي تتزوج فيه، بعده تعرف "أنا فاش راني"، فمنصف اصطدم بالواقع حيث واجه مشاكل عنيفة توصّل به الأمر إلى حدّ التأوّه والشكوى، مشيرا: "عاييت !..."، من المشاكل الأسرية الناتجة عن نظام ضاغط لم يتم تحمّله وتقبّله، وحتى الزوجة لم تتحمّل القوانين والمعايير المعمول بها، مُشيرا "منصف": "الحُكم بزَّاف كلّ شيء بالقانون..."المرا" لم تستطع...هيّ لم تتربّى في هذا "الزِّيَار" والقوانين". مما يوضّح أن الاختيار للقرين لم يكن موفّق حيث لم يحرز التجانس الأسري والذي يعتبر من أهم مميزات النجاح الزواجي.

فالزوج من أسرة دكتاتورية أين "قادة" أعاد إنتاج النظام الأبوي القديم. مما يتّضح لنا أن الهيمنة والتسلّط الأبوي لا يزال قائما ولا تزال التقاليد تقف حكرا وعقبة أمام الحياة الزوجية، يقول منصف: "...فمثلا قبل المغرب لابدّ أن نكون في الدّار ولا يجب أن أخرج معها (الزوجة)..."، وهذا ما وضّحه "الأب" وأراد تطبيقة على الابن حيث يخبرنا قادة: "...لا يصحّ أن يتكلّم مع زوجته ...ولا يتصوّر أبدا أنه يجلس مع زوجته أو يتنزّه معها...فلا تطبّق أبدا بوجود العائلة...". لا يمكن للزوج اصطحاب زوجته إلى أي مكان فالزوجة تخرج تحت إمرة الأم، دائما تابعة لها.[1]

وفي نفس السياق يوضح لنا "Camilleri C." أن التفاهم والبعد العاطفي بين الزوجين أمر لا وجود له ولا يعني شيئا في العلاقات العائلية فهو غير مطلوب. فالزواج له وظيفة رسمية مبنية على الإنجاب ولا لتامين السعادة والحب داخل النظام الزوجي حيث لا يتولّد معنى الزوجين، فالتوافق الزوجي لا يُجدي نفعا ضمن الأسرة التقليدية، والسعادة الزوجية تبنى

♦. في المجتمعات التي تحدد التمييز بين أبناء العمومة، يعتبر أبناء العمومة المتوازون إخوانا وأخوات يُستبعدون من الاختيار الزواجي تماما، أما بالنسبة لأبناء الآسرة بالتقاطع فلا يُعتبرون من أعضاء الأسرة فيُفضلون عن غيرهم في الاختيار الزواجي لأنه يزيد من الروابط بين الأسر السابقة، وهنا نجد أن الزواج من أبناء العمومة بالتقاطع يقوم بنفس الوظيفة التي يقوم عليها الزواج الخارجي. **محمد نبيل جامع، مرجع سبق ذكره، ص.ص. 83-84**

[1]. LACOSTE-DUJARDIN Camille ، مرجع سبق ذكره، ص. 160

بطريقة أخرى أين يمكن للزوجة الاندماج ضمن النظام العائلي...وبعد الزواج تسهر الكنّة على احترام القيم والمعايير للجماعة الأسرية التي تحددها الحماة.[1]

الكنّة يستوجب عليها تقبّل العرف العائلي واحترام وطأة النظام الأبوي الصارم وكذا تقبّل سلطة الأم، لتحقيق التوافق والانسجام؛ وهذا ما اعتبرته زوجة "منصف"بطشا وتعسّفا عملت على مواجهته بكلّ جرأة: "...أصبحَت تَرُدُّ الكلام -تدافع على نفسها، تواجه- ..."، مشيرة الحماة كذلك في حديثها: "...فرضت نفسها عوض أننا نفرض عليها..."، فزوجة منصف حاملة لشخصية قوّية مواجهة فرضت نفسها ضمن العائلة ولم تندمج ضمن المعايير، ولم تُحرز تقبّل الوالدين، إذ يخبرنا منصف في حديثه: "وصل الأمر إلى حد طلبوا مني أن أطلق...وصرت امرأة معهم"، فـ"الزوج عند مسايرته ومجاراته للزوجة يُتّهم بعدم الطاعة لعائلته وفاقد لرجولته"[2].(*) فكان على منصف إثبات رجولته ومواجهة الموقف والتحرّر من النظـام التقليدي.

1. <u>التحرّر والرّشد</u>: الزوج يواجه النظام التقليدي ويطلب التغيير:

يقف "منصف" موقف الاختيار بين الرّشد كزوج مسئول عن أسرة وبين المكانة الاجتماعية كابن مطيع لوالديه، فاحتار: "...لم أعرف آتي "من" أو"من"... لازم أن أكون رجلا وأصلح الوضع..."، محاولا الإنصاف أين مفهوم الرّشد عند "منصف" يتّضح كيف كان مصلحا بين الزوجة والوالدين فلم ينحاز إلى جانب واحد حيث أراد التحرّر من القيود التقليدية وبناء أسرة مستقلّة، رأى أنه راشد ولابدّ أن يتحمّل مسؤولية الزوجة والأبناء وفي

---

[1]. Camilleri C، مرجع سبق ذكره. ص.ص.10-12

[2]. Camilleri C. ، مرجع سبق ذكره. ص.ص.26-27

- بعد الزواج على المرأة أن تنصاع لزوجها وتخافه، و إلاّ لن تُؤمّن التراتبية بين الجنسين، وهذا التصوّر مُنغرس في الثقافة لقرون طويلة ضمن العلاقات العائلية. كما أن الرّجل عليه محاولة دائما إثبات رجولته أمام الأم، فإذا انجرفت العاطفة نحو الزوجة ستتغيّر نظرة العائلة إليه بحجّة أنه غدر بالمرأة التي حملته وربّته وأطعمته... **(عدي الهواري، مرجع سبق ذكره، ص.46. ص.65)**

* ."...كان المجتمع العربي يخشى أن تكون هناك علاقة حميمية بين الزوجين.. يقدم "طاهر لبيب" إجابة سوسيولوجية ناضجة...حب الأزواج لزوجاتهم حالة استثنائية تحتفظ التصانيف الشعرية بذكراها...وأورد "الكسائي":..."يمكن أن يُنظر إلى الزوج الذي يبالغ بحب زوجته نظرة سيئة، بل ويُرغم على تطليقها، ...بفضل ضغط الجماعة أو بضغط الأسرة"، ولنا لرثاء جرير لزوجته خالدة، يقول: **""لولا الحياء لعادني استعبار ** ولزرت قبرك والحبيب يزار""**

يتضح لنا من خلال هذا التصريح بالحب ...المتأخر بعد موت الزوجة ...جذورا حميمية ناضجة بين الزوجين كانت ممكنة التحقق لولا تلك "النظرة السيئة" كقيمة تقليدية اجتماعية **"<u>لولا الحياء</u>"** إنه اعتراف بلحظة واعية ورغبة في البكاء والحزن، **"لولا"** تلك القيم الاجتماعية التي تحرّم الشخص حتى من زيارة قبر زوجته **(لولا الحياء...لزوت قبرك)**...فهناك رغبة خفية في العيش في حميمية بين الزوجين لولا تلك الحميمية تُكبت على مستوى اللاشعور...: نقل**(مقاربات: أزواج و تساؤلات، سلسلة بإشراف عائشة بلعربي، نشر الفنك، 1992. مقال للأستاذ "الخمار بوقرعة ":عضو الجمعية الدولية لعلم الاجتماع، يحمل عنوان: "الزوجان و الخطاب": نحو وضع اشكالي لمفهوم الزوجين، ص.ص.18-19.**

نفس الوقت لا يخسر رضا الوالدين اللذان هما رمزا دينيا واجتماعيا في العلاقات الاجتماعية التفاعلية.

فرويد (1909) يسطّر في بداية نصه "le roman familiale des névroses": "الفرد في سيرورة نموّه يبحث عن الاستقلالية من الهيمنة الأبوية. فهو من الحقائق المهمّة والضرورية ولكن الأكثر ألما ضمن التقدّم الاجتماعي"[1].

حيث لا يوجد حل آخر سوى الاستقلالية والانفصال عن السكن الأبوي وبناء أسرة نووية، فـ"العامل المؤدّي إلى التوترات هو السكن الموحّد الذي يجمع الزوجين وأسرة الزوج"[2] وهذا ما وعى إليه "منصف" فكان من اللازم أن يفرض سلطته الذاتية لمواجهة السلطة الأسرية ويطلب التغيير، فمن تجارب الحياة المختلفة يغيّر الفرد ما استبطنه واكتسبه من المجال الخاص ويختار مستقبله بطريقة فردية مبتعدا عن التبعية في علاقته مع الوالدين(•) أين يصبح راشدا متحرّرا مثبتا لذاته المستقلة، مُشيرا في حديثه: "..اتّكلت على نفسي وساعدني أصدقائي...وخرجت من المنزل.." وحتى الزوجة كانت امرأة راشدة ذو شخصية صلدة وصبورة في نفس الوقت عملت على مساندة الزوج ماديا ومعنويا طامحة هي كذلك في التحرّر **أمام المساندة الزوجية** حيث **كان الزوجين يحملان نفس الاتجاه والهدف** (*)

فبالدعم الزوجي، وبشدّة درجة تفتّح منصف على المحيط الخارجي اكتسب مساندة اجتماعية ساعدته على بناء شخصية مستقلة اتخذ بذلك قرار الاستقلالية وإعادة بناء الأسرة أصبح بالتالي راشدا غير تابع للنظام التقليدي، فـ"معنى الرجل الراشد هو الرجل المتعوّد على الاستقلالية وغير تابع في علاقته مع الوالدين والأم خاصّة".[3]

---

[1]. فسيان حسين، رسالة دكتوراه، سابقة الذكر، ص.ص.301-302.

[2]. .Camilleri C ، مرجع سبق ذكره، ص.122.

•. التفاعليون الرمزيون يعتبرون التنشئة الاجتماعية عملية تعلم مستمرة وتعديل للسلوك والاتجاهات والقيم والمعايير فيمكن للفرد أن يكون له اتجاهات أخرى خاصة به مخالفا تماما ما تعلّمه في طفولته. **عبد الرزاق جبلي، الاتجاهات الاساسية في نظرية علم الاجتماع، جامعة الاسكندرية دار المعرف2011 . ص.261.**

*. يموّه "Didier ANZIEU" الزوجين هما ظرف "enveloppe" .يحمل علاقة بين اثنين. و"Aline FURNEMONT " توسّع هذه الفكرة وتضيف أن الزوجين يخلق مشروع مشترك ...قد يكون: دعم يومي لكل طرف للآخر، طفل، بناء عائلة... ويكون هذا المشروع كحماية ضد الصراع...فيجابهان شيئا ما معا.
© Centre d'Education à la famille et à l'Amour – CEFA asbl – mars 2008, , **Les clefs d'un couple qui dure, apprentissage de la vie à deux**

[3]. فسيان، رسالة دكتوراه، سابقة الذكر، ص.ص.301-302، يوضّح بالتفصيل معنى الرّجل الراشد.

2. <u>علاقة الابن بالأم:</u> ضعف العلاقة مع الأم، تقوّي العلاقة مع الزوجة

منصف ليست له علاقة وطيدة مع الأم مشيرا: "...تربّينا عند عمّي كان أبي يتنقّل من بلاد لبلاد ويأخذ أمي معه...فأين تتكلّم مع "مّا"، هي كذلك طوال حياتها لم تتحدّث معنا ولم تجلس معنا..."

فنفهم أنّه لم يتلقى الدعم العاطفي الأمومي منذ طفولته، وبضعف هذا الرابط سيسهُل الانجذاب العلائقي نحو الزوجة موضّحة الأم: "...ابني لا يعمل بمشورتي ورأيي، لا يُحب عليها أبدا ودائما في صفّها..." معتقدة أن التبادل العاطفي بين الزوجين من أهم العوامل التي تربط بينهما حيث تقول ملمّحة على ظروف ابنتها في علاقتها مع الزوج: "ابنتي المسكينة لم تتعرف عليه ولم تختطفه"، حتى في علاقتها مع الحماة:"...اختارتها هي وانقلبت عليها..." حتى الزوج "..يخاف من آمه.."

فعلاقة الأم بالابن، **كلما كانت العلاقة وطيدة بينهما كلما كانت العلاقة هشة بين الزوجين، وكلّما كانت العلاقة ضعيفة بين الأم وابنها كلما تضاعف الرابط الزوجي**[1] أين ينساق الزوج نحو الزوجة ويعتبرها شريكة الحياة. فلم تجد الحماة فرصة لتقييد الكنّة التي لقيت الدعم من الزوج، مُشيرة الأمّ في حديثها أنّ الكنّة: "تريد كما تحب هي..إلى أن أصبحنا...لا نتدخّل في أمورها الشخصية ومع زوجها..."

فأم منصف لم تكن واعية بضعف العلاقة بينها وبين ابنها سمحت له بالتقرّب أكثر فأكثر من الزوجته أين اندمج الزوجين وَكَوَّنا مجال تصوّري مشترك بينهما(♦)، فيقول "بالزاك": "الحب هو توافق الحاجة والعاطفة. والسعادة في الزواج تنجم من تفاهم روحي تام بين الأزواج..."[2]

---

[1]. LACOSTE-DUJARDIN، مرجع سبق ذكره، ص.181.

<u>أنظر كذلك:</u> .LEMARCHANT C، مرجع سبق ذكره.

♦ . **<u>يوضّح de Singly</u>**: الأسرة تتكوّن في مخيّلة اجتماعية كمجال يشعر كل واحد منهم انه الآخر، حيث تتدخّل عوامل التفاعل المترجمة إلى فن التعامل والتبادل...فالذي يهم في علاقتهما هي المساعدة المتبادلة بينهما والتي تبني الهوية الشخصية في علاقة كل منهما بالآخر، فالحياة الزوجية تخلق هوية مختلفة للزوجين إذ كل زوج يتعلّق بالآخر. **.DESINGLY F ، (2007)، مرجع سبق ذكره، ص.ص.90-91**.

ويشير كوفمان في مرجعه sociologie du couple، السالف الذكر، ص.ص.70-72: الأنا الزوجية تتكوّن في مرحلة الثالثة بعد تكوين الثنائي أين الوقت الرغد أو الرفيه يتحقّق أكثر فأكثر ويصبح أكثر وضوحا واستقرارا في المراحل القادمة حيث كل طرف يشعر بالوفاق مع نفسه و مع الزوج أين تتكون الأنا الزوجية.

[2]. سيمون دي بوفوار، مرجع سبق ذكره، ص.ص.83-84,

خلاصة:

العلاقة الزوجية نشأت بعد إثبات الذات المستقلة أين أصبح الزوجين راشدين متحمّلين مسؤولية اتخاذ القرار، رافضين نمط الحياة التقليدية حيث كوّنا بذلك أسرة نووية مستقلّة عن السكن الأبوي.

خـــــاتـمـة

خـــاتمة

الأسرة هي المؤسسة الاجتماعية التي ينشأ فيها الفرد ويتعلّم من خلالها قواعد التعامل والقوانين الاجتماعية التي توجّه السلوك، إذ تقوم الأسرة بعملية الضبط تحت معايير خاصّة بها، حيث أنّ النظام العائلي يحتوي على أسلوب تقليدي يقوم على التدرّج السلّمي بين الأجيال وبين الجنسين يخضع إلى نظام السلطة؛ خاصّة في مواضيع العلاقات الزواجية بدءا من الاختيار لقرناء الأزواج إلى غاية نشأة علاقة زواجية تدخل في علاقات تفاعل مع أسرة النسب.

ومع دينامية التغيرات الاجتماعية العامّة وبروز العمل والتعليم الإجباري لكلا الجنسين، إلى جانب التوّسع في شبكة وسائل الاتصال والتواصل تدريجيا عبر فترات تاريخية مسترسلة من زمن لآخر، سهّلت على الفرد التفتّح على المحيط والتوسّع في علاقات التّعارف. عمّت بذلك التشوّبات العائلية الاثنية والاختلاط بين الجنسين بعدما كانت الأسرة مغلق عليها في حدود عائلية ضيّقة يتم فيها الاختيار للشريك في قلب العلاقات الأسرية، أين المرأة لا تراها سوى المرأة في عالم خاص إلا بالنساء. فشبكة التعارف تمدّدت إلى مجالات مختلفة وواسعة النطاق أمام المجال العائلي تؤهل إلى تكوين علاقات يكتشف من خلالها الفرد لمستويات إجتماعية وثقافية مختلفة تدفعه إلى البحث عن التجانس الفكري أو الثقافي في علاقته بالآخر.

والميدان المهني هو من بين المجالات الجديدة التي يتم فيها التعرّف على الأخر، حيث يتكوّن ثنائي يطمح في تكوين علاقة زوجية يستوجب عليهما جلب قبول الوالدين وبناء علاقة زواجية، فالاستعداد للزواج قرار أسري وتعاقد بين أسرتين وليس بين فردين؛ ويتمّ قبول العلاقة الثنائية حسب النظام الثقافي للعائلة، إذ أنّ القرين لا يقع عليه الاختيار عشوائيا هو تابع لمعايير مقولبة في نظام ثقافي يختلف من عائلة إلى أخرى. والأم لها دور بارز في البناء الزواجي وإصدار قرار الموافقة، بحكم أنّ الفتى يقوم باختيار زوجة له ولكن الأم تختار كنّة لها.

فرغم التغيرات والتطورات الاجتماعية أين برز الفرد، إلاّ أن ظاهرة الفردانية لم تبرز بشكل قويّ في موضوع الاختيار للقرين واتخاذ قرار الزواج، فالأسر الجزائرية مرتبطة بعلاقات وثيقة لقيم الجيل القديم قد تُوكّل الاختيار الفردي أو بالأحرى التعارف ولكن القرار هو تحت إمرتها.

الاختيار الفردي إذا كان اختيار "صّحيح" ومناسب لمعتقدات العائلة سيتمّ القبول؛ وإلاّ ستحاول الأسرة تقييم والتقويم الاختيار لإعطاء الرأي الأخير، فهناك من يواكب المستجدات، ومن يتمسّك بمعتقدات الأواصر حيث يتمّ الحسم في الموضوع والرفض القاطع؛ فإما أن يخضع الفرد لرأي الوالدين والانسحاب من موقفه الذاتي، أو الإصرار فالمواجهة والضغط على العائلة، من عواقبه تحمّل المسؤولية التامة إذا لم يتوفّق في الزواج.

يشير عدي الهواري أنّ "النجاح أو الإخفاق بعد الزواج يرتكز على درجة التبادل العاطفي بين الحماة والكنّة وليس بين زوجين من جنسين مختلفين"[1]، فنجاح الزواج مرتبط بدرجة اندماج الزوجة ضمن أسرة الزوج، مُحاولة استوفاء دورها كزوجة اتجاه الزوج وكنّة في علاقتها بالحماة، إذ تقوم بذلك علاقة ثلاثية بعد الزواج بين الزوج والزوجة وأم الزوج؛ هذه العلاقة التي لا تتقبّلها الزوجة وتكتشف أنه تمّ بناء رابط زواجي بمقابل علاقتها المحضة بالحماة الحاكمة والآمرة تدفعها إلى الامتثال لمتطلباتها الفائقة وتقوم باحتكار للرابط الزوجي؛ ومنه تتفاقم المشاكل إذ تحاول الزوجة إعادة بناء الرابط الزوجي رافضة العلاقة الثلاثية طالبة الفصل في الأوضاع والأدوار ضمن سكن مستقل، وهذا يتناسب مع نمط شخصية المرأة ودرجة وعيها وكفائتها وقدراتها المادية تساعدها في مواجهة ومجابهة الصراع؛ يدخل بذلك الزوج في موقف الاختيار بين الرشد كرجل مسئول عن أسرة أو ابن متعلّق بالوالدين وخاصّة الأم؛ ومنه يمكن أن تتوفّق الزوجة في إعادة بناء الرابط الزوجي إذا انحاز الزوج نحوها أين تكون صلته بالأم نوعا ما ضعيفة، أو قد لا تتوفّق في إعادة بناء العلاقة الزوجية إذا الزوج يكنُّ للأم عاطفة قوية جياشة.

[1]. عدي الهواري، مرجع سبق ذكره، ص.82.

إنّ الارتباط الوثيق بين الأم وابنها يولّد علاقة هشّة بين الزوجين قد تؤول إلى الطلاق أو التطليق، ويُعاد بناء علاقة زواجية مع امرأة أخرى منافسة للأم حيث تتكوّن علاقة ثلاثية من جديد، ومنه يمكن القول أنّ العلاقة الزوجية كما تُبنى يمكن أن يُعاد بناؤها بشكل أو بآخر، مما يسمح لنا القول أنه نشأ رابط زواجي له شرعية إقامة علاقات جنسية بهدف الإنجاب، ولم ينشأ رابط زوجي له مضمون الزوجين.

من كل ما سبق نشير أن الفرضية تحقّقت في الميدان نوضّحها باختصار:

العلاقة الزوجية كما تُبنى يمكن أن يُعاد بناؤها: اتخاذ القرار كما يحمل مضمون البناء بعد اختيار القرين، قد يقابله قرار إعادة البناء بعد اكتشاف واقع العلاقة الزواجية.

1. **بنـــاء الرابط الزواجي مقيّد بقرار أسري.**

- الفرد مقتديا بمكانة الوالدين ودورهما الاجتماعي في اتخاذ القرار. والأم هي من لها السلطة في اتخاذ القرارات الزواجية قبل الزواج.
- الزواج تعاقد أسري
- الأسرة ساهمت في بناء اتجاهات الفرد لاقتناء الشريك حيث يكون واعيا في مجال التعارف بما يناسب معايير الأسرة.

2. **يعاد بناء الرابط الزوجي بعد فترة من الزواج من طرف الزوجة وليس الزوج.**

- العلاقة الزوجية يُعاد بناؤها بعد فترة من الزواج من طرف الزوجة بردود أفعال مناوئة إلى حدّ التمرّد ضدّ النظام بعدما تكتشف أنه لم ينشأ رابط زوجي وإنما ثلاثي، تتوسّط الأم العلاقة وتحتكرها إذ تمنع إنشاء معنى الزوجين.

قائمة المراجع

قائمة المراجع بالعربية:

- إحسان محمد الحسن، العائلة والقرابة والزواج: دراسة تحليلية في تغيّر نظم العائلة والقرابة والزواج في المجتمع العربي، دار الطليعة، بيروت، ط1: 1981، ط2: 1985.
- إحسان محمد الحسن،علم اجتماع العائلة، دار وائل للطباعة والنشر، الأردن، ط1، 2005.
- أنتوني غدنز، علم الاجتماع، تر: فايز الصباغ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط4، 2005.
- أوقيل برم، ستانتولويلر، تر: علي الرغل: التنشئة الاجتماعية بعد الطفولة، دار الفكر، لبنان، 1982.
- بيار بورديو، الهيمنة الذكورية، تر: سليمان قعفراني، مراجعة: ماهر تريمش، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحددة العربية، بيروت، أبريل 2009.
- جوزيف ابستاين، سير العظماء: "ألكسي دو توكفيل" المرشد إلى الديمقراطية، تر: سمية ممدوح الشامي، مراجعة: أسماء محمد عادل، دار كلمات عربية للطباعة والنشر، مصر، القاهرة، ط1، 2010. www.goodread.com/book/show/18776194
- حسين عبد الحميد رشوان، الأسرة والمجتمع: دراسة في علم اجتماع الأسرة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2003.
- حليم بركات، الاغتراب في الثقافة العربية: متاهات الإنسان بين الحلم و الواقع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2006.
- خلود السباعي، الجسد الأنثوي وهوية الجندر، لبنان: جداول، ط1، 2011 .
- سعيد محمد عتمان، الاستقرار الأسري وأثره على الفرد، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2009.
- سناء الخولي، الأسرة والحياة العائلية، دار الميسرة، عمان: الأردن، 2012.
- سناء الخولي، الأسرة والحياة العائلية، دار الميسرة، عمان: الأردن،2001 .
- سناء حسنين الخولي، الأسرة والحياة العائلية، دار الميسرة، عمان: الأردن، ط1، 2011.
- سيمون دي بوفوار، الجنس الآخر، دار الأهلية للنشر والتوزيع، لبنان، بيروت، ط1، 2008.

- عبد الباسط محمد حسن، علم الاجتماع، الكتاب الأول، المدخل، دار غريب، القاهرة، مصر، دون تاريخ.
- عبد الرزاق جبلي، الاتجاهات الاساسية في نظرية علم الاجتماع، جامعة الاسكندرية: دار المعرفة، 2011.
- عبد الباسط عبد المعطي، اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، دار المعرفة، الإسكندرية، 1995.
- عبد القادر القصير، الأسرة المتغيّرة في مجتمع المدنية العربية: دراسة ميدانية في علم الاجتماع الحضري والأسري، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1999.
- عبد القادر جغلول، تاريخ الجزائر الحديث: دراسة سوسيولوجية، دار الحداثة، لبنان، بيروت، بالتعاون مع المطبوعات الجامعية بالجزائر، ط3، 1983.
- عبد الله محمد عبد الرحمان، علم اجتماع التربية الحديث: النشأة التطورية والمداخل النظرية والدراسات الميدانية الحديثة، دار المعرفة الجامعية، بيروت، 2000.
- عبد المحسن عبد المقصود سلطان، من هو الإنسان ذلك المجهول: دراسة علمية فسيولوجية فلسفية تبحث في أعماق الكيان الإنساني، دار الكتاب العربي ، لبنان، 2008.
- عبد المنعم شحاتة، الأنا والآخر، سيكولوجية العلاقات المتبادلة، أتراك للنشر، مصر، 2001.
- علياء شكري، الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة دار المعرفة، لبنان، 1997.
- فاتن شريف، الأسرة والقرابة: دراسات في الانثروبولوجية الاجتماعية، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2006.
- فيليب بلانشيه، التداولية: من أوستن إلى غوفمان ، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع: سوريا، ط1، 2007.

http://lisaanularab.blogspot.com/2012/01/blog-post_8537/.html

- كوفمان ج.ك.، تر: بسمة بدران،علم الاجتماع الثنائي، ط1، المؤسسة الجامعية، مصر،2001.
- مايسة احمد النيال، التنشئة الاجتماعية: مبحث في علم النفس الاجتماعي، دار المعرفة، لبنان، 2010.
- محمد جوهري، مدخل إلى علم الاجتماع، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، 2008.
- محمد مهدي القصاص، علم الاجتماع العائلي، كلية الآداب، جامعة المنصورة، 2008.

http://www.facebook.com/1705535729584236-مهدي- محمد-القصاص

- محمد نبيل جامع، علم الاجتماع الأسري وتحليل التوافق الزواجي والعنف الأسري، دار الجامعة الجديدة: الإسكندرية، 2010.

- مسعود كواتي، تاريخ الجزائر المعاصرة: وقائع ورؤى، دار هومة، الجزائر، 2011.
- مصطفى حجازي، الإنسان المهدور: دراسة تحليلية نفسية اجتماعية ، المركز الثقافي العربي، ط1، دون تاريخ.
- مصطفى خلف عبد الجواد، قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، القاهرة، 2002.
- مهرة سالم، محمد القاسمي: دور التنشئة الاجتماعية في تشكيل السلوك السوي للأبناء، دار الفكر العربي، 2010.
- نادية حسن أبو سكينة ومنال عبد الرحمان خضر، العلاقات والمشكلات الأسرية، دار الفكر، لبنان، ط1، 2011.
- نبيل عبد الهادي، علم الاجتماع التربوي، دار اليازوري، عمان، الأردن، 2012.
- نخبة من المتخصصين، علم الاجتماع الأسري، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، 2009.
- نخبة من المؤلفين:علياء شكري، احمد زايد، طلعت ابراهيم لطفي، أمال عبد الحميد، عالية حبيب، محمد الجوهري، فاطمة يوسف، القلبني، فاتن الحناوي، عايدة فؤاد عبد الفتاح، علم الاجتماع العائلي، دار الميسرة، 2009.
- نسيم الخوري، الزواج: مقاربة نفسية و اجتماعية، دار المنهل اللبناني، ط1، 2008.
- هشام شرابي، النظام الأبوي وإشكالية تخلف المجتمع العربي، نقله إلى العربية محمود شريح، مركز دراسات الوحدة العربية: بيروت، لبنان، ط1، 1992، ط2: 1993. نشر في الأصل بالانجليزية عام 1988.
- يحي مرسي عيد بدر، أصول علم الإنسان الانثروبولوجيا، الجزئ الاول، ط1، دار الإشعاع الفنية، 2000.
- يوري ريريكوف، الحب والأسرة عبر العصور، تعريب: نزار عيون السود، دار كنعان للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية، ط1، 2006.

قائمة المراجع بالفرنسية:

- ADDI Lahouari, (1994).- Les mutation de la société Algérienne : famille et lien sociale dans l'algérie contemporaine, OPU, Alger
- BOURDIEU Pierre, (1984, 1992)._ La « Jeunesse » N'est Qu'un Mot, minuit, paris. http://ese.urhaj-idf.fr/IMG/pdf/jeunesse_bourdieu.pdf
- BOUTEFNOUCHENT Mustapha, (1980).- La famille algérienne : évaluation, diffusion, Alger.
- CAMILERI Carmel, (1973).- jeunesse, famille et développement, essai sur le changement socio culturel dans un pays de tiers monde (tunisie), centre de recherche scientifique, France.
- DE SINGLY François, (2007).- sociologie de la famille contemporaine, Armand colin, paris.
- DE SINGLY François, (2002).- la famille individualiste face au pratique culturelle, paris, VERLIS.
  http://www.cairn.info/lespublic-de-laculture-politique-97824609212.htm
  www.culture.fouv.fr/deps/colloque/singly.pdf
- DECHAU Jean Hug, (2007).- sociologie de la famille ،découverte, paris.
- DURKHEIM Émil, (1888).- Introduction général à la sociologie de la famille, Un document produit en version numérique par Jean-Marie, Dans le cadre de la collection « les Classiques_des_sciences_sociales »
- DURKHEIM Émile, La famille conjugale, (1892).- Un document produit en version numérique par Jean-Marie, Dans le cadre de la collection
  « les Classiques_des_sciences_sociales »
- KAUFMANN J-C.,(1993).- sociologie du couple, 1ère édition, PUF.

- KELLERHALS Jean, (2004).- WIDMER Eric, LEVY René, mesure et démesure du couple :cohésion, crise de résilience dans la vie des couples, payot § rivages, raris.
- KELLERHALS J., WIDMER E., (2005,2007).- Famille en suisse : les nouveaux liens, presse polytechnique et universitaire romande, Lausanne. http://c:/users/document/« la résidence alternée déstabilise l'enfant ».htm
- KOUAOUCI Ali, (1992).- Famille – Femme et contraception : contribution à une sociologie de la famille algérienne, CENEAP (Centre nationale d'étude et d'analyse pour la planification), FNUAP (Fonds des nations unies pour la population), Alger.
- LACOSTE-DUJARDIN Camille, (1985-1996).- Des mères contre les femmes : Maternité et patriarcat au Maghreb, la découverte, paris.
- LEMARCHANT CLOTILDE, (1999).- préface : François De SINGLY, Belle filles : avec les beaux parents trouver la bonne distance, collection : le sens social, presse universitaire de Renne.
- LESNARD Laurant, (2009).- La famille désarticulée les nouvelles contrainte de l'emploi du temp, collection: le lien sociale, PUF.
- MARANDA Pierre, (1985).- Dialogue conjugal : Pour les couples bien assortis, mal assortis, bien mariés, mal mariés, rafistolés, séparés, divorcés, accotés... Ou ceux qui songent à le devenir, Un document produit en version numérique par Jean-Marie, Dans le cadre de la collection « les Classiques_des_sciences_sociales »
- Michel Bozon et François Héran, (2006).- "formation du couple" : *Textes essentiels pour la sociologie de la famille*, Éditions La Découverte, Paris. www.prepabl.fr/img/pdf/couple.pdf
- NEYRAND Gérard, (2009).- le dialogue familial : un idéal précaire, collection : couple, famille, érès,Toulouse.

- PITARELLI Emilio, (2011).- vous avez dit « sanction éducative ? », congrès CSPS, Haute école spécialisé, suisse. http://file:///c:/users/socio/downloads/pitarelli.pdf
- SEGALEN Martin, (2008).- sociologie de la famille, 6ème Ed, Armand colin, paris.

مقـــالات:

- BOUTEFNOUCHENT Mustapha, la famille Algérienne : Quelle modèle ?, revue : changement familiaux, changement sociaux,2006, N°2 Alger.
- ADEL Faouzi , « La crise du mariage en Algérie »

http://insaniyat.revues.org/11687 4 | 1998 : Familles d'hier et d'aujourd'hui

- CHAUMIER Serge,« Du couple au trouple », Le Passant ordinaire, n°50, octobre 2004.

http://textesetcultures.univ-artois.fr

http://www.passant-ordinaire.com /revue/50-688.asp

- CHAUMIER Serge, « Les Pièges de l'exclusivité », © le Passant Ordinaire, **n°30**. [août 2000 - septembre 2000]
- © Centre d'Education à la famille et à l'Amour, «Les clefs d'un couple qui dure, apprentissage de la vie à deux », – CEFA,ASBL – mars 2008 .

www.asblcefa.be/cefa/images/pdf/clefscouple.pdf

- مصطفى حجازي: المرأة والتحرر من الاعتراف المشروع ، مجلة باحثات، النساء في الخطاب العربي المعاصر، 2003 -2004
- سامية خضر صاح، التغير الاجتماعي وتأثير بعض عناصره على تفجرات الأزمات العائلية: الداخلية -الاقتصادية- الثقافية والعنوسة

Revue : changement familiaux ,changement sociaux, N°2 Alger, 2006.

- مقاربات: أزواج و تساؤلات، سلسلة بإشراف عائشة بلعربي، نشر الفنك، 1992.
- عبد الله محمد الغذامي، الزواج السردي: الجنوسة النسقية

http://www.aljabriabed.net/n51_11ghaddami.htm

مذكـــــرات وأطروحات:

- FSIAN Hocine, Thèse Doctorat d'état, psychologie clinique, identité féminine – identité masculine à propos des relations Homme/Femme en Algérie, université d'Oran, Année universitaire 2005-2006.

- دحماني سليمان، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الانثروبولوجيا: ظاهرة التغير في الاسرة الجزائرية، العلاقات، جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان، السنة الجـامعية 2006-2005.

http://www.univ-tlemcen.dz

http://fr .calameo.com/books/004041730d63f5ed751ff

معـــاجم:

- معجم علم الاجتماع: المفاهيم الأساسية، تحرير: جون سكوت، تر: محمد عثمان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر علي مولا، بيروت ، 2009.

Google book.com

- معجم مصطلحات علم الاجتماع، تأليف جيل فيريول، ترجمة وتقديم: أنسام محمد الاسعد، مراجعة وإشراف: بسام بركة، دار ومكتبة الهلال: بيروت، ط1، 2011.

Google book.com

ملتقيات:

- مداخلة، بوروبي رجاح فريد، الضغوط الأسرية لدى الاسرة الجزائرية، الملتقى الوطني الثاني حول الاتصال وجودة الحياة الأسرية جامعة قاصدي مرباح: ورقلة، أيام 6-10 أفريل 2013. http://manifest.univ-ouargla.dz

الفهرس

الصفحة

مقدّمة عـــامة 1

الإشكالية..... 4

الفرضية..... 4

الإطـــار المنهجـــي 5

1. الدراسات السابقة المعتمد عليها 6
2. المنهجيّة المتّبعة 8
3. مجتمع البحث 9

الفصـــل الأول: الإطار النظري والمفهوماتي 10

1. تعريف الأسرة..... 11
2. مميزات الأسرة 12
3. مميزات الزواج 13

1.3. البعد بيولوجي والاجتماعي للزواج 13

أ. البعد البيولوجي للزواج 13

ب. البعد الاجتماعي للزواج..... 14

4. أنواع الأسر ومقوماتها 16

1.4. الأسرة النووية 16

2.4. الأسرة الممتدة 16

3.4. الفرق بين مفهوم الأسرة والعائلة 17

4.4. الأسرة الأبوية والنظام الأبوي 18

5. طبيعة العلاقات الأسرية 19
6. القرابة..... 19

1.6. الزواج الداخلي والزواج الخارجي..... 20

2.6. نظام العلاقات القرابية نتاج اجتماعي..... 20

7. المقاربات النظرية 22

1.7. النظرية البنائية الوظيفية 22

2.7. النظرية التفاعلية الرمزية 23

1.2.7.نظرية التبادل 24
2.2.7.نظرية الصراع..... 24
3.7. النظرية التطوّرية لدراسة الأسرة..... 26
1.3.7.دراسة فريديريك لوبلاي 26
8. دورة حياة الأسرة 28
أ. الشخصية الفردية وإعادة بناء الأسرة..... 29
- التغيرات العامة وأثرها على الفرد..... 30
الفصل الثاني: التغيرات الاجتماعية وأثرها على الأسرة الجزائرية 32
تمهيد 33
I. مراحل تطوّر المجتمع الجزائري 33
II. التغيرات الاجتماعية وعلاقتها بالمجال الخاص 35
1. التغير في التنشئة الاجتماعية 35
2. أثر عوامل التغيير على العلاقات الزواجية 37
1.5. الأسرة متمسكة بخلفية ثقافية..... 37
2.2. الأسرة مواكبة للتغيرات 40
3.2. الأسرة النووية والواقع الاجتماعي: برزت الأسرة النووية ببروز فردية المرأة..... 42
3. التغير في وظائف الأسرة النووية 44
4. الشخصية الفردية وأثرها على التغيير 45
خلاصة الفصل. 48
الفصل الثالث: العلاقات الزواجية والروابط الأسرية 49
تمهيد 50
I. علاقة القوة وطبيعة السلطة 51
II. الزواج مسألة تفوق الفرد 53
1. اختيار الشريك قرار للمرأة 53
2. الزواج تعاقد أسري 55
III. واقع الحياة الزوجية 56
1. مضمون العلاقات الزواجية 57

1.1. علاقة الزوجة بأسرة الزوج..... 58
أ. الاندماج الأسري: تنصاع المرأة لتحرز رضا الحماة..... 58
ب. وضع الزوجة ضمن أسرة الزوج 59
2.1. العلاقة بين الأم وابنها 61
3.1. العلاقة بين الزوجين 63
▪ معنى الرابط الزوجي 64
IV. نتائج العلاقات الأسرية بعد الزواج 66
1. إعادة بناء الأسرة الزوجية: قرار صادر من المرأة 66
2. استقلالية السكن وواقع العلاقات الأسرية..... 67
3. الصراعات الأسرية خلفت أشكال أخرى من العلاقات 69
خلاصة الفصل 70
الفصل الرابع: تحليل المقابلات 71
جدول المقابلات 72
سرد حياة للحالة الأولى: "شريفة"..... 73
تحليل الحالة الأولى: امرأة أثبتت ذاتها وفرديتها ضمن المجال العائلي بقوّة شخصيتها 76
سرد حياة الحالة الثانية: "سكينة" 84
تحليل الحالة الثانية: ذاتية المرأة المستقلّة منحتها الجرأة لمواجهة الواقع الزواجي 89
سرد حياة الحالة الثالثة: "حنان"،..... 99
تحليل الحالة الثالثة: العـــلاقة الزوجية تحت سلـــطة الأم..... 102
سرد حياة الحالة الرابعة: "صابر"..... 109
تحليل الحالة الرابعة: الأم مركز ثقل العلاقة الزوجية 114
سرد حياة الحالة الخامسة: "رامي"..... 125
تحليل الحالة الخامسة: اندماج تام للزوجين ضمن الإطـــــار العائلي 127
سرد حياة الحالة السادسة: "منصف" 132
تحليل الحالة السادسة: الرجل يصبح راشدا بعد أخذ الاستقلالية من الأسرة 136
خاتمة 142
قائمة المراجع 146

"الزوجان والعلاقات الأسرية "

الملخص :

الموضوع يتضمّن دراسة العلاقات الزواجية؛ يهدف إلى معرفة التغيرات التي طرأت على البناء الزوجي في المجتمع الجزائري ونتائج علاقته مع الأسرة الممتدة بعد الزواج.

الكلمات المفتاحية: الزواج، الزوجين، الأسرة الممتدة، التغير الاجتماعي و التغير الأسري

« Couple et relations familiales »

Résumé :

L'objet de ce travail porte sur les relations conjugales au sein de la famille de l'époux.

Le but de cette étude porte sur les changements apparus dans la construction d'un couple en Algérie et ses conséquences dans sa relation avec la famille de l'époux.

Mots clés : mariage, couple, famille élargie, changement sociale et changement de l'organisation familiale

« Spouses and family relations »

Abstract :

The Object of This work focuses on the conjugal relationships. The purpose of this study insists on the changes which occurred in the construction of spouses in Algeria and its consequences in its relationship with the family of the husband.

Key words : Marriage, spouses, extended family, social change and family change